Е. ДМИТРИЕВ. В. ЛАДЕЙКИН

ПУТЬ К МИРУ НА БЛИЖНЕМ ВОСТОКЕ

الطريق إلى السلام

تأليف: ى. دميتربيف
ف. لاديكين

جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
" رقم ٧٣٢ "

الطريق إلى السلام

تأليف: ى . دميتربيف
ف . لاديكين

الشرق الأوسط فى نظام العلاقات الدولية المعاصرة

يعتبر الشرق الأوسط خلال فترة زمنية طويلة واحدا من اكثر المناطق توترا فى عالمنا ويخلق توتر الموقف فى هذه المنطقة ، وتفاقم العلاقات الى أقصى مدى بين الدول العربية الواقعة هنا وبين اسرائيل ، فضلا عن تعقد الوضع السياسى الداخلى فى بعض دول المنطقة ، وتدخل الدول الامبريالية المستمر فى الشئون الداخلية للدول العربية ، والنمو الجارف لحركة التحرر الوطنى للشعوب العربية — كل هذا يخلق تلك الصورة السياسية المتعددة والمتباينة الألوان ، والدائمة التغير التى تجذب الى منطقة الشرق الأوسط الاهتمام الزائد .

وتنبع الاهمية السياسية والاستراتيجية « لمسرح الشرق الاوسط » من مجموعة كاملة من الاسباب ذات الطابع الاقتصادى والاستراتيجى العسكرى والسياسى .

فيعتبر الشرق الاوسط مسرحا لصراع علنى بين قوى حركة التحرر الوطنى والامبريالية والاستعمار ، وبين قوى التقدم وقوى الرجعية ، وبين الجديد والقديم ، ويتعقد هذا الصراع بالكثير من العوامل الخارجية والداخلية .

واذا نظرنا الى البلاد العربية التقدمية فى الشرق الاوسط يتضح لنا كيف يزداد ايمان قادة هذه الدول بمزايا طريق التطور غير الرأسمالى وذلك من خلال النضال ضد المصاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع الموضوعى ، والطابع الذاتى وحين يواجهون ضرورة اعادة بناء الاقتصاد والقضاء على التخلف الذى خلفته القرون وضرورة التحسين الجذرى لحياة الشعب ، ذلك لأن الشعوب لن تستطيع التخلص من الاستغلال والفاقة والجوع ، الا اذا سلكت هذا الطريق وحده (١) .

ويعتبر انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية فيها ، نقطة الانطلاق نحو التطور غير الرأسمالى للبلاد العربية الرائدة . وتتولى السلطة فى هذه البلاد

---

(١) وثائق برامج النضال من اجل السلام والديمقراطية والاشتراكية « موسكو » عام ١٩٦١ ص ٧٦

عناصر ديمقراطية ثورية تتكون من ممثلى جماهير البروليتاريا ، وشبه البروليتاريا من كادحى المدينة والقرية . كما يساعد على تطور الثورة المعادية للاقطاع والامبريالية فى الدول العربية التقدمية بخطى منتظمة ، أن الاشتراكية فى أيامنا هذه تعتبر القوة الرئيسية للتطور العالمى ، وتعتبر دول المعسكر الاشتراكى منذ زمن بعيد الحليف الاكيد والطبيعى للشعوب والبلاد العربية . ونتيجة لذلك ينحصر الواجب الأممى للدولة السوفيتية ، كما أكد الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى — فى يونيو (عام ١٩٦٧) فى تقديم التأييد الشامل للشعوب المناضلة من أجل الحرية والاستقلال الوطنى ، ومن أجل التقدم الاجتماعى (٢) .

وتحدد المقاييس المشار اليها بشكل خاص موقف الاتحاد السوفيتى من مشاكل بلاد وشعوب منطقة الشرق الاوسط كما تنطلق منها خطواته الرامية الى درء التدخل الامبريالى فى شئون هذه المنطقة وضمان المصالح العادلة والشرعية لجميع دولها . ولذلك يقف الاتحاد السوفيتى انطلاقا من القواعد المبدئية لسياسته الخارجية ، بقوة ووضوح رؤية وثبات ، ضد السياسة العدوانية لاسرائيل ازاء الدول العربية المجاورة وهذه السياسة العدوانية لاسرائيل تعتبر النتيجة المباشرة للسياسة الخارجية التى تتبعها العناصر الاكثر تطرفا فى القيادة الاسرائيلية .

ويعتبر الشرق الاوسط منذ فترة طويلة مسرحا للنمو العاصف لحركة التحرر الوطنى وقد حاولت الدول الغربية الكبرى — وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية — فى الآونة الأولى أن « تغازل » النظم العربية الجديدة مع التأثير فيها اقتصاديا وسياسيا فى بداية الستينات ، ولكن هذه المحاولات تحولت الى ضغط مكشوف وجاد . وقد اعتمدت واشنطن نهائيا على اسرائيل باعتبارها القوة ، التى تستطيع بمساعدتها بلوغ أهداف السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط وتتلخص تلك الاهداف فى محاربة النظم العربية التقدمية وتقويض العلاقات السوفيتية العربية ومواجهة توسع حركة التحرر الوطنى فى الشرق الاوسط بكل الوسائل وقد كتب الباحث الامريكى الشهير لينفسفكى يقول « بدات الولايات المتحدة الامريكية فى الفترة الاخيرة تنفيذ دورها الجديد ، دور القائد والمدافع الرئيسى عن أمن العالم الحر » (٣) . لا شك أن الاعتراف بالدور الحقيقى للولايات المتحدة الامريكية فى الشرق الاوسط ليس جديدا ، خاصة أنه يصدر من هذا الخبير بالشئون السوفيتية ، الامريكى الكبير الذى ينظر الى جميع مناطق الكرة

---

(٢) « البرافدا » ٢٢ يونية عام ١٩٦٧ .
(٣) ج . لينسزفسكى

الارضية من منظار ضرورة مقاومة النمو الجارف لما يسمى بالنفوذ السوفيتى فى جميع انحاء العالم .

وتتصل المصالح الاستراتيجية والعسكرية للغرب اتصالا وثيقا بمصالحه السياسية فى الشرق الاوسط : فهذه المنطقة تنتمى الى عداد ما يسمى برؤوس الجسور الحرجة بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية وحلفائها فى حلف شمال الاطلنطى ، ورؤوس الجسور ، هذه ، تشكل الاساس الاستراتيجى لهيكلهم العسكرى وخطط انتشار القوة العسكرية فى حالة التفاقم العام للموقف الدولى . والسيطرة على رؤوس الجسور المشار اليها ذات اهمية خاصة ، ذلك أن رؤوس الجسور هذه يمكن أن تستخدم ضد المناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتى ، كما يمكن أن تستخدم ضد دول الجناح الجنوبى لحلف شمال الاطلنطى ذاته فى حالة الضرورة وتؤدى كبوات هذه السياسة التى تسير عليها الولايات المتحدة الامريكية الى تحولات جديدة فى السياسة الامريكية الخاصة بالشرق الاوسط والى اعادة النظر فى بعض أوجه سياستها أزاء الدول العربية .

ان تطور الموقف فى الشرق الاوسط بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة فى السنوات الاخيرة يشير الى حدوث عمليات هامة فى هذه المنطقة كما يتبلور الاتجاه غير الراسمالى لتطور بعض البلاد العربية ، ويتوسع تعاون الدول العربية مع الاتحاد السوفيتى ويزداد عمق المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى تشهدها غالبية البلاد العربية وهذا من شأنه أن يخلق موقفا جديدا فى المنطقة ويزيد من قوة جذب طابع النظم العربية التقدمية بالنسبة لشعوب جميع البلاد العربية ، ويوجد موقفا مناسبا لتنشيط القوى الديمقراطية والتقدمية وتقوية موقفها وتأثيرها المباشر على جميع جوانب الموقف فى الشرق الاوسط فى الواقع .

وقد نمامع تعزز الاتجاه نحو التطور المستقل للبلاد العربية ــ اتجاه الحياد وعدم الانحياز ، وقد قومتهما الادارة الامريكية ــ (على سبيل المثال ــ فى عهد أيزنهاور ــ دلاس) باعتبارهما « غير اخلاقيين » ان عدم التوافق بين مصالح الولايات المتحدة الامريكية والبلاد العربية قد ظهر بشكل خاص ــ وفقا لرأى المختصين الامريكيين فى شئون الشرق الاوسط والمشكلة العربية ــ فى ثلاث حالات محددة : اذا اتخذت الحكومة الجديدة ١ او النظام الجديد الذى حل محل النظام القديم فى اى بلد عربى موقفا

---

(٤) نفس المرجع صـ ٥٧ .

(٥) د. بريجنيف ، النهج اللينينى . خطب ومقالات . موسكو عام ١٩٧٢ المجلد الثالث صـ ١٢٣ ــ ١٢٤

معاديا لأمريكا) ، أو اذا كانت هذه الحكومة الجديدة (أو النظام الجديد) تسمح « بالتغلغل الشيوعى » أو اذا كانت تتبع سياسة عدوانية ازاء جيرانها . وبكلمات أخرى أن مبادىء السياسة الخارجية الامريكية ومجالاتها العملية لا تسمح الا بتغيرات الموقف فى الشرق الأوسط التى لا تتعارض تماما مع المصالح الاساسية للولايات المتحدة الأمريكية فى هذه المنطقة . ويمثل الاعتماد الصريح على طرق الاستعمار الجديد وعلى استخدام « قوى الامس » نهج الولايات المتحدة الامريكية فى قضايا سياسة الشرق الأوسط .

ولا يعتمد الغرب فى تدعيم مراكزه فى الشرق الاوسط على القوى الرجعية فى نفس البلاد العربية وعلى النظم العربية المحافظة فحسب — بل يعتمد بالدرجة الأولى على استخدام القوة المسلحة لاسرائيل — حليفه المخلص ، الذى يتجاهل قرارات مجلس الأمن التابع للامم المتحدة وقرارات المنظمات الدولية الهامة الأخرى ولقد تسببت اسرائيل وحماتها الامبرياليون فى اندلاع حروب مدمرة أربع مرات خلال خمسة وعشرين عاما .

وكان عدوان اسرائيل على الدول العربية فى يونيو ١٩٦٧ يهدف الى تأخير التطور السريع للبلاد العربية والقضاء على النظم العربية التقدمية ولن نكون مبالغين أن نعتبر أن هذا العدوان كان شكلا من الاشكال التى يستخدمها المستعمرون والتى استنكرتها البشرية منذ زمن بعيد ، كان انعكاسا واضحا لجوهر القرصنة الذى يميز الامبريالية المعاصرة . ولقد قال ليونيد بريجنيف « ان عدوان اسرائيل و .. الاستفزازات العسكرية ضد الدول العربية كانت تمليها مخططات الدوائر الامبريالية العالمية للقضاء على النظم التقدمية فى الجمهورية العربية المتحدة (١) ، فى البلاد العربية الأخرى ولضرب حركة التحرر الوطنى بصفة عامة وصمود البلاد العربية وموقفها الشجاع وتأييد البلاد الاشتراكية والقوى التقدمية الأخرى النشطة ، أحبط هذه المخططات .

لقد أريق الكثير من المداد وقيلت الكلمات الجميلة فى تبرير العدوان الاسرائيلى . ولقد سعى المدافعون عنه بجميع الاوصاف الفنية الرائعة لاختباء الجوهر الحقيقى لهذا العدوان . ومن بين الموضوعات الذائعة الانتشار والتى طرقت وتنوعت دفاعا عن العدوان الاسرائيلى موضوعات « كفاح اسرائيل من أجل البقاء » ومقاومة داود الاسرائيلى الصغير لجوليات العربى الضخم .. الخ .. غير ان الحياة قد فضحت الوجه الحقيقى للمعتدين الاسرائيليين أكثر من مرة ، وهم يسعون فى بعض الاحيان وبمزيد من الديماجوجية الماهرة الى تغطية نواياهم الحقيقية من حيث الجوهر

(*) : اعتبارا من ٢ سبتمبر ١٩٧١ ونتيجة للاستفتاء الشعبى سميت الجمهورية العربية المتحدة بجمهورية مصر العربية .

— ولا يرغبون فى البحث عن ظـروف السـلام الدائم والعادل والمقبـول مع جيرانها العرب . ومن بين دلائل ذلك القرار الذى لم يسبق له مثيل والذى أتخذته الحكومة الاسرائيلية فى ٤ يونيو ١٩٦٧ ، والذى لا يخرج عن كونه أمرا للقادة العسكريين لبدء العمليات العسكرية ضـد الدول العـربية ولقـد جاء فى القرار : استمعت الحـكومة الى تقـارير رئيس الوزراء والدفاع ، ورئيس هيئة أركان حرب وقائمة المخابرات العسكرية عن الموقف السياسى والعسكرى ، وتأكدت أن جيوش مصر وسوريا والاردن تعـد لعـدوان متعدد الجبهات سريع ، يهدد وجود الدولة ذاته .

وعلى هذا تتخذ الحكومة قرارا ببدء العمليات العسكرية ، لكى تحرر اسرائيل من حلقة العدوان ، التى تضيق تدريجيـا حول اسرائيـل . وتكلف الحكومة رئيس الوزراء ووزير الدفاع تحـديد توقيت هـذه العمليـات مع رئيس هيئة الاركان .

وسوف يتلقى أعضاء الوزارة بأسرع ما يمكن معلومات خاصة بالعمليات العسكرية ، المقرر القيام بها نفذت . وتضع الحكومة أمام وزير الخارجيـة مهمة استخدام جميع الامكانات للعمـل السياسى لشرح موقف اسرائيـل ، وتلقى التأييد من الدول الاجنبية . (٦)

لقد فجر عدوان اسرائيل — كما فجرت فيما بعد العمليات العسكرية على الجبهة المصرية الاسرائيليـة والجبهة السورية الاسرائيليـة — أمـام الرأى العام العالمى عددا من مشاكل الوضع الدولى المعاصر لم تكن معروفة من قبل ، أو لم تدرس جوانبها دراسة وافية . وترتبط هـذه المشاكل بشكل أو بآخر بالموقف فى الشرق الأوسط . ولذلك ضرورة التسوية البناءة والدائمة للنزاع العربى الاسرائيلى وازالة آثار العـدوان الاسرائيلى هى احـدى المهام الرئيسية للسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى .

كل هذا يحدد الأهمية الخاصـة للشرق الأوسط من وجهـة نظـر طبيعـة المهـام الحالية والمستقبلة ، وبالتالى من وجهـة نظر مكانة مشكلة الشرق الاوسط فى جهود السياسة الخارجية للدولة السوفيتية .

وختاما من الضرورى أن نشير الى أن اكثر من ٦٦٪ من احتياطيـات النفط فى العالم غير الاشتراكى تتركز فى الشرق الأوسط . ومن الطبيعى أن تسترعى هذه الحقيقة اهتماما جادا وعاليا من الدول الـكبرى الامبرياليـة للحفاظ على سيطرتهم السياسية والاقتصادية فى المنطقة وهنا نضمن حـرية نشاط الاحتكارات البترولية الاجنبية دون عقبات .

---

(٦) « واشجتون بوست » ٥ يونية عام ١٩٧٢

وتبلغ مساهمة الدول الامبريالية فى استخراج النفط فى الشرقين الاوسط والادنى النسب التالية : الولايات المتحدة الامريكية ٦٠ فى المائة انجلترا ٢٦ فى المائة ، فرنسا ٦ر٥ فى المائة ، هولندا ٤ فى المائة ، واليابان ٣ر٥ فى المائة .

وتسيطر على استخراج النفط فى الشرق الاوسط بشكل رئيسى سبع شركات بترولية + جلف أويل كوربوريشن ، ستاندارد أويل كومبانى أوف كاليفورنيا ، اكسون (سابقا اسو أو ستاندرد أويل كومبانى أو نيوجرسى ، تكساس أويل كومبانى ، سوكونى موسيل أويل كومبانى ـ وهى كلها شركات امريكية ، ثم شركة برتش بتروليم كومبانى ، وهى شركة انجليزية ، شركة رويال دانش شل ـ وهى شركة أيجلو ـ هولندية وتتخذ هذه الاحتكارات كلها فى الاتحاد الدولى للبترول الذى ينتهج سياسة تحديد كميات استخراج « الذهب الأسود » ، ويقسم أسواق الاستهلاك ويسعى الى الحفاظ على أعلى الاسعار .

وتسيطر الشركات الامريكية على تسويق خام النفط ومنتجاته بشكل رئيسى (حوالى ٨٠ ٪) فقد بلغ نصيب الشركات الامريكية ما يزيد على ١٥٠٠ مليون طن من مليارين و ٦٨ مليون طن فقط استخرجت فى العالم غير الاشتراكى عام ١٩٧٢ ، من بينها ما يزيد عن نصفه مليار طن استخرجتها من البلاد العربية . ووفقا للبيانات الرسمية تستثمر الشركات الامريكية فى صناعة النفط خارج الولايات المتحدة الامريكية ٢٤ مليارا و ٢٥٨ مليون دولار ، منها مليار و ٦٥ مليون دولار فى الشرق الاوسط (عدا ليبيا والجزائر) وفى عام ١٩٧١ بلغت ارباح الشركات الامريكية وحدها العاملة فى استخراج البترول ثلاثة مليارات و ٩٣٢ مليون دولار ، من بينها مليار و ٨٥٤ مليون دولار فى الشرق الاوسط ، اما فى ليبيا والجزائر فقد حققت من الارباح ثلاثة مليارات دولار ، اى أنها حققت فى عام واحد فقط من الارباح ما يزيد بدرجة كبيرة رغبة استثماراتها فى صناعة النفط فى الشرق الاوسط طول الوقت ابتداء من وسط الثلاثينات (٧) .

وقد استخرج فى عام ١٩٧٢ فى الدول العربية مليونان و ٢٨١ الف طن من النفط وهو ما يشكل ٣٩٪ مما يستخرج فى العالم غير الاشتراكى .

وتضاعف الاحتكارات النفطية الغربية عادة من الكميات المستخرجة من النفط فى المناطق التى تحقق أكبر نسبة من الربح واقل قدر من المخاطرة السياسية . لذلك ليس عبثا ، ان هذه الاحتكارات تعمل بنشاط أكبر فى

---

(٧) انظر « واشجتون بوست » ٥ يونية عام ١٩٧٢

العالم العربى فى البلاد ذات ما يسمى بالنظم المحافظة « المملكة العربية السعودية ، الامارات العربية والكويت » .

ومن الصعوبة بمكان تحديد أرباح الاحتكارات النفطية فى الشرق العربى فى نفس الوقت كان من الممكن ان تزداد دخول دول الشرقين الادنى والاوسط من البترول — وهى الدخول التى حققت نموا كبيرا فى السنوات الاخيرة نتيجة زيادة الكميات المستخرجة من البترول — لو ان الاحتكارات الغربية لم تخف الاحجام الحقيقية لارباحها . فتقدم الحسابات الخاصة بأرباح الاحتكارات النفطية — كقاعدة — ارقاما مزورة وبيانات أقل من الحقيقة وبصفة عامة لا تنشر بعض الشركات النفطية حسابات عن نشاطها ، كما أن اسهمها لا تتداول فى البورصات .

وقد عقدت اتفاقيات الامتياز ، التى تحدد نظام الخصم من الارباح الاحتكارية النفطية بواسطة حكومات البلاد المسئولة ، فى الغالب فى العشرينات والثلاثينات . فى هذا الوقت كان نفوذ الدول الكبرى الامبريالية فى هذه المنطقة كبيرا حيث أمليت على دول الشرقين الادنى والاوسط شروط تتسم بالخصوصية ، نذكر من بينها وضع أسعار الامتياز المحددة لكل طن من النفط المستخرج بغض النظر عن أرباح الشركات وحالة السوق ، مع الاعفاء الكامل لأصحاب الامتياز من جميع أنواع الضرائب والرسوم ، ومن بينها الرسوم الجمركية .

ومن المعروف أن النفط ذو أهمية استثنائية كاملة فى انشاء وتطوير الهياكل الاقتصادية المتطورة المعاصرة وفى تدعيم القدرة العسكرية والاقتصادية للدول . ولذلك ينمو دور النفط باستمرار . والجدير بالذكر — على سبيل المثال ووفقا للتقديرات الامريكية أن احتياجات الولايات المتحدة الامريكية من النفط فى عام ١٩٨٠ ستصل الى ١٨٣٦ مليون طن هذا وستحصل على ثلث احتياجاتها من النفط المستورد من بلدان الشرق الاوسط .

ونفط الشرق الاوسط — هو أرخص نفط من حيث السعر بسبب كميات النفط المتدفق واستخدام أحدث المعدات ورخص الايدى العاملة المحلية . والمقارنة نشير الى أن استخراج برميل (*) واحد من النفط فى الولايات المتحدة الامريكية يتكلف دولارين ونصف دولار (٢ر٥) ، أما فى الشرق الاوسط ، فيتكلف . سنتا . فى نفس الوقت يحدد أعضاء الاتحاد الدولى لشركات اسعار سوق النفط على المستوى العالمى .

ان التهديد الواقعى لتأميم الاحتكارات المستخرجة للنفط العربية أمر وارد منذ زمن بعيد ، ولقد أوضحت الاجراءات الحاسمة لحكومة العراق ،

(*) : يساوى البرميل الواحد ١٥٨ر٧٦ لتر او ٤٢ جالون فقط امريكى .

الخاصة بتأميم ممتلكات شركات النفط الامريكية والانجليزية فى ١٩٧٢ ، ١٩٧٣ للغرب أن فترة سيطرتهم التى لا حدود لها فى مجـــال أستخراج النفط فى الشرق الاوسط قد ذهبت فى ذمة التاريخ وان رياح التغيير التى تؤثر تأثيرا كبيرا على المناخ السياسى فى الشرق الاوسط قـ دمست بلادا عربيـــة أخرى لم تكن فى الحسبان مثل العربية السعودية والكويت ، فقـد أتخـذت هـذه الدول خطوات تستهدف الحد من انتاج البترول ردا على استمرار العدوان الاسرائيلى ، الأمر الذى دفع بعجلة ما يسمى بأزمة الطاقة فى الغرب نتيجـة ظهور مشكلة قصر امداد أوروبا الغربية والولايات المتحدة بالبترول .

ان تجدد العمليات العسكرية فى الشرق الأوسط فى أكتـــوبر ١٩٧٣ قد ساعد على تضافر صفوف العرب فى النضال ضد المعتدى ، حيث انعكس ذلك فى الخطوات المشتركة للدول العربية المنتجة للبترول .

ففى ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ فى الكويت اتخذت منظمة البـلاد العربيـــة المصدرة للبترول قرارا بالتخفيض الشهرى لانتـــاج النفط بنسبة ٥٪ وتنفيذا لهـذا القرار ، خفضت جميع الدول العربية ــ عدا العراق ــ ابتداء من أكتـــوبر سنة ١٩٧٣ ، انتاج النفط وقد خفضت بعض الدول (الجزائر ، الكويت ، والعربية السعودية) الانتاج فى الحال ١٠٪ وفى الشهور التالية بنسبة ٥٪ فى الشهر . وعند ذلك أعلنت الدول العربية رسميا ، أن القـرار الخـاص بالتخفيض الشهرى لانتاج النفط سيظل نافذا ما دامت الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل منذ ١٩٦٧ لم تتحرر ، وما دامت الحقوق الشرعية لشعب فلسطين لن تقرر الى جانب ذلك ، حظر تصدير النفط الى الولايات المتحـدة الامريكية والى هولندا ، وبعد مؤتمر قمـة الجـــزائر فى (٢٦ ــ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٧٣) حظر أيضا تصدير النفط الى البرتغـال والى النظم العنصرية فى جنوب افريقيا .

وتشير احصاءات الخبراء الغربيين الى أن انتاج النفط العربى فى نوفمبر سنة ١٩٧٣ قد انخفض عمليا الى ٢٥٪ تقريبا بالمقارنة الى مستوى الانتـــاج فى سبتمبر .

وقبل ذلك اتخذت الدول العربية قرارا بزيادة أسعار النفط الى ١٧٪ من الاســعار المقـارنة وأســعار الســوق (من ١٢ر٣ دولارات للبرميل الى ٦٥ر٣ دولارات) .

وقـد حاولت البلاد الغربية التى انزعجت من هذه الاجراءات ــ تهديد

---

(٨) أنظر النشرة الاحصائية للامم المتحدة الشهرية ــ يونية ١٩٧٣ .
(٩) أنظر النشرة الاقتصادية للشرق الاوسط . بيروت . لندن . ١٩٧٢ صــ ٦٦٤
(١٠) نفس المرجع .

الدول العربية باجراءات مضادة هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى حاولت استمالتها للسير الى التساهل . ورغم أن حظر النفط قد الغى فيما بعد ، الا أن تضافر الدول العربية المنتجة للنفط قد أجبر الكثيرين فى الغرب على ان يفكروا جديا .

وقد صرح فى باريس ب . عبد السلام وزير الصناعة والطاقة الجزائرى بأنه اذا أتخذت الولايات المتحدة الامريكية اجراءات موجهة ضد البلاد العربية ، التى خفضت انتاج النفط ، فان هذه البلاد ستوقف استخراجه بالكامل (١١) . وقد حذرت العربية السعودية بأنه اذا ما اتخذت الولايات المتحدة الامريكية اجراءات عسكرية ، فانها ستفجر بعضا من آبار بترولها الامر الذى يحرم أوروبا واليابان من النفط لسنوات كثيرة .

وقد قرر مؤتمر الجزائر لرؤساء الدول العربية مواصلة استخدام النفط كسلاح للضغط — وخاصة ، ووضع شروطا لتصدير النفط الى أى بلد وفقا لموقفه بالنسبة للقضية العربية العادلة ، ولقد شكلت لجنة خاصة ، كلفت بمتابعة تنفيذ هذه القرارات ، التى اتخذت فى هذا الصدد .

ان رفع أسعار النفط وما تبع ذلك من أزمة فى الطاقة اظهر — ربما لأول مرة — تبعية الدول الرأسمالية المتطورة فى الغرب للدول النامية . وفى ذلك يكمن فى الواقع أحد جوانب المشكلة فقط ، وينعكس الجانب السياسى أولا وقبل كل شىء فى أن الدول العربية المنتجة للبترول قد خلقت بجهودها المشتركة موقفا خطيرا بالنسبة للغرب وذلك فى مجال امدادات البترول ومستقبل هذه الامدادات . ورغم ان الولايات المتحدة الامريكية تعرضت كذلك للحظر العربى للنفط الا انه اتيح لها — باستخدام مركزها فى الاتحاد العربى لشركات البترول — ان تخفض خسائرها الى أقل حد .

ولكن الخلافات بين الدول الامبريالية تختفى الى حد كبير حينما تصطدم هذه الدول بزيادة فعالية الدول النامية ومن بينها الدول العربية ، وخاصة فعاليتها فيما يتعلق بمسائل السياسة النفطية .

لقد وجهت عمليات الدول الكبرى الامبريالية فى الشرق الاوسط الى عرقلة ووقف عملية نمو الوعى الذاتى للدول العربية — وتقويض الشرق الاوسط ، ومن هنا تنبع الأهمية السياسية للمنطقة بالنسبة لهم وتتضح أهداف سياستها الاستراتيجية ووسائل وأساليب اجازات هذه الاهداف .

---

(١١) « البرافدا » فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٧٣ .
(١٢) « البرافدا » فى ٢٢ يونية عام ١٠٦٧

ولا يزال الموقف فى الشرق الاوسط فى الوقت الحاضر خطيرا جدا وقابلا للانفجار ويعتبر العدوان الاسرائيلى ضد البلاد العربية نتيجة لتآمر أكثر القوى الامبريالية العالمية هذا التآمر احدى رجعية موجه ضد أحدى فصائل حركة التحرر الوطنى وضد الدول العربية التقدمية ، التى اتخذت طريق المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية لصالح الكادحين والتى تسير على سياسة معادية للامبريالية — ولا يزال هذا العدوان قائما من حيث الجوهر . وتشهد على ذلك أحداث أكتوبر ١٩٧٣ ، حينما عادت الحرب من جديد الى أرض الشرق الاوسط — التى عانت كثيرا — ، حاملة معها الموت لآلاف البشر من العرب والاسرائيليين ، وتدميرا جديدا للقيم المادية ، التى بنتها جهود السنين الكثيرة للشعوب والحكومات .

ان رفض اسرائيل العنيد الانسحاب من الاراضى العربية المحتلة وتدخل الامبريالية المستمر فى شئون البلاد العربية الداخلية يخلق تهديدا جادا للسلام الشامل ويدفع بالعقبات فى طريق التطور الاقتصادى والاجتماعى لجميع بلاد هذه المنطقة .

وتسعى الدعاية الغربية ، وأبواق بكين ، جاهدة الى المضاربة بالقول بأن النزاع العربى الاسرائيلى يعتبر أحد اشكال المواجهة بين ما يسمى بالقوتين العظميين — الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، وأن المصالح الأساسية لهاتين القوتين العظميين تحدد سلفا استراتيجيتهما وتكتيكهما فى مسائل تسوية الشرق الاوسط ، كما أن هذه المصالح تعتبر عوامل محددة فيما يتصل بمختلف خطوات حكومتى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية فى قضية البحث المشترك عن طرق حل النزاع العربى الاسرائيلى .

وبطلان هذا التصور واضح للعيان ذلك لأن أساس النزاع العربى الاسرائيلى ، هو تحرك الدول الكبرى الامبريالية ضد النظم التقدمية فى البلاد العربية وسعيها بكل الطرق الى المحافظة على مواقعها . ولكن الى جانب ذلك تبقى حقيقة أن أية تسوية فى لشرق الاوسط ، لايشارك الاتحاد السوفيتى فى اعدادها تحقيقها سيكون مصيرها الفشل سلفا . وهذا أمر طبيعى ، ذلك لان سياسة الاتحاد السوفيتى فى قضايا التسوية متوازنة ولهذا تتفق تماما مع مصالح جميع الدول المشتركة فى النزاع . ونتيجة لهذا الموقف كان نهج سياسة الشرق الاوسط فى السياسة الخارجية السوفيتية هو نهجا عادلا من حيث الجوهر ، لأنه ينبع من ضرورة الحل المباشر والكامل للقضية الاساسية للتسوية — وهى قضية تحرير الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل .

ويساعد الفهم المتزايد لأهمية وجود لغة تفاهم مشتركة مع الاتحاد السوفيتى فى مسائل التسوية على ظهور اتجاهات جديدة فى سياسة الولايات المتحدة الامريكية أزاء الشرق الاوسط وأصدق دليل على ذلك وقف

اطلاق النار في الشرق الاوسط في أكتوبر ١٩٧٣ الذي اصبح ممكنا نتيجة للخطوات السوفيتية الامريكية المشتركة ونتائج محادثات هـ . كيسنجر وزير خارجة الولايات المتحدة الامريكية في موسكو في أكتوبر ١٩٧٣ وفي مارس ١٩٧٤ ومحادثات أ. جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي في واشنطن في فبراير ١٩٧٤ مع ر. نيكسون وهـ . كيسنجر في جنيف « ابريل ١٩٧٤ وفي نيقوسيا « مايو ١٩٧٤ » ونتائج اللقاء السوفيتي الامريكي للقمة في يونيو ١٩٧٤ ، هذا بجانب عقد مؤتمر السلام الخاص بالشرق الاوسط في جنيف في ديسمبر ١٩٧٣ . وقد اشار الرئيس نيكسون بطريقة مباشرة الى اهمية تحقيق موقف مشترك سوفيتي امريكي واتفاق في مسائل تسوية الشرق الاوسط في خطابه في الدورة الخامسة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة . واشار بصفة خاصة الى أن من الاهمية بمكان ، أن نوجه نحن والاتحاد السوفيتي جهودنا لتجنب الحرب في الشرق الاوسط وتهيئة مناخ يسمح لدول الشرق الاوسط بأن تتعلم العيش معا وتترك الآخرين يعيشون . وهذا أمر هام جدا ، لا بالنسبة لمصالح شعوب الشرق الاوسط ذاتها فحسب ؛ بل لان البديل يمكن أن يؤدي الى صدام ذي آثار مدمرة للشرق الاوسط ولدولتينا وللعالم ككل (١٣) .

وإذ لانتنكر أهمية بلوغ اتفاق سوفيتي ـ أمريكي أزاء مشكلة التسوية يجب أولا التأكيد على أن الطريق نحو السلام العادل والدائم في الشرق لا يتأتى عن طريق التهديد والمغامرات العسكرية ، التي يهرع اليها دائما المتطرفون الاسرائيليون . فان السلام ممكن التحقيق لو تحققت جميع بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتم تنفيذ اهم شروطه ، الذي يشكل لب التسوية الا وهو ضمان انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧ .

وكان الاتحاد السوفيتي ولا يزال ينطلق دائما من ضرورة اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ويؤكد على السلام الدائم وليس هدنة هشة .

ومن الطبيعي تماما أن السلام في هذه المنطقة لا يمكن أن يتحقق على حساب تشجيع المعتدي ولا سيما تقديم « مكافأة » له على شكل اى توسعات اقليمية أو اى تغييرات في الحدود العربية الاسرائيلية تناسب اسرائيل وحدها .

---

(١٣) وثيقة هيئة الامم المتحده رقم أ ـ ب.ف ، ١٨٨٢ صـ ٢٩

والهدف من هذا الكتاب هو تحليل الموقف العام فى الشرق الاوسط وتتبع نشأة الأزمة حتى يومنا هذا ويكشف الكتاب عن بطلان أسس الدعاية الصهيونية ، التى تشوه بانتظام سير الحوادث والتى تسعى للتأثير على وعى الجماهير العريضة ، التى غالبا لا تفطن الى دس الصهاينة بمهارة للآراء حول بعض المجالات الحقيقية للموقف فى الشرق الاوسط .

ولم يهدف مؤلفا الكتاب الى التلخيص والترتيب الزمنى المتتابع للحوادث والظواهر ، التى تشكل الحلقة المتشابكة للعلاقات العربية الاسرائيلية ، بل تتلخص مهمتهما فى عرض المشاكل الرئيسية للوضع الحالى فى الشرق الاوسط .

الباب الأول

الصهيونية وقيام دولة اسرائيل

فلسطين كهدف للتوسع الامبريالى

لم تقتصر الدول الامبريالية ، التى بدأت فى نهاية القرن الماضى تقسيم العالم فيما بينهما على قوة السلاح وحده فى الصراع من أجل المستعمرا ومجالات النفوذ ، ومن أجل رؤوس الجسور البعيدة عن أراضيها ومن أجل السيطرة على المواصلات فلقد خصص دور كبير للديبلوماسية الاستعمارية والصفقات السياسية بين الدول المتنازعة على الخبرات الاجنبية «غير المملوكة لاحد » — فى اكتساب أراض جديدة للتوسع الاقتصادى والمالى والثقافى والسكانى على حساب الشعوب « غير المتحضرة » .

وجاهد المستعمرون حتى لا يتركوا الفرصة للسيطرة السلمية على الاراضى الاجنبية لم يدخلوا فى حساباتهم قمع مقاومة سكان البلاد الاصليين . والادهى انهم كثيرا ما بادروا الى خلق الامكانيات الضرورية لاضفاء الشرعية الدولية على عملياتهم الاغتصابية ، وساعدهم فى ذلك قواعد « القوانين » الاستعمارية المتعارف عليها فى عالم قطاع الطرق الامبرياليين وهى القوانين التى أصبحت أساسا قانونيا لتصرفاتهم هذه ، ان نظام الاستسلام والاتفاق على تحديد مناطق النفوذ والاستبعاد الاقتصادى للدول المستقلة سياسيا ، وفرض الاتفاقيات الخاصة بالوصاية ، واخيرا اختراع نظام المحميات ضمن اطار حدود السلام نتيجة للحرب العالمية الثانية ، كل هذا يعد اشكالا « سلمية » لتوسيع الامبراطوريات الاستعمارية ، التى تميزت بمزاعم مفتراه حول سيادة « القانون فوق القوة » بيد أن هذا القانون لم يكن سائدا الا فى العلاقات بين الدول الامبريالية وحدها بصفتها واضعة هذا القانون الاستعمارى ، هذا بجانب انها لم تتورع فى أى وقت من الاوقات عن استخدام القوة ضد الشعوب والبلدان المستعمرة دون أن تعتبر هذا خرقا للقانون .

وقد كان لخبرتهم العملية فى تشجيع توطين السكان من بلاد ما وراء البحار مكانة هامة فى هذه اللعبة وفقا لقواعد القانون الدولى الامبريالى ، الى جانب خلق فئات مميزة متعاونة مع العدو من بين وسط السكان الاصليين . ولقد كانت الاعتبارات الانسانية « لضمان حماية مواطنيهم الاجانب

واتباعهم من أهالى البلاد الاصطيين بمثابة حجة للتدخل فى شئون البلاد اكثر من مرة ـ هذه البلاد التى أصبحت ضحية الغزو الجماعى للمهاجرين وكانت هذه الحجة « مناسبة » تماما من وجهة نظر المستعمرين ، الذين كانوا يتسترون فى مثل هذه الحالات بأسباب انسانية بالطبع .

وكانت هذه الاسباب الانسانية بالذات ـ وسنتحدث عنها فيما بعد) بمثابة الذريعة المناسبة لاقامة نظام الوصاية على فلسطين ، التى لفتت نظر المستعمرين لمجموعة كاملة من الاسباب ولا يدور الحديث هنا حول أية ثروات طبيعية ، فهذا البلد لا يملك من ذلك شيئا ، والحديث لا يجرى عن أسواق جديدة ، فان فلسطين أيضا لا تمثل اهتماما خاصا بسبب قلةسكانها وفقرهم فقد برزت فلسطين فى اهتمامات الدول الكبرى نظرا لموقعها الاستراتيجى الاستثنائى ، خاصة بعد أن حفرت الى جوارها فى الاراضى المصرية قناة السويس ، التى تربط البحر المتوسط بالمحيط الهندى الامر الذى أدى الى تشابك محور أهم طرق الامبراطوريات فى الشرق الاوسط . أما فى البلاد ما وراء النهرين فان الجيولوجيين الالمان قد اكتشفوا بحيرة من النفط ولذا اشتعل الصراع من أجل ميراث الامبراطورية العثمانية ، التى كانت توجد فى النزع الاخير . وكما أشار فيما بعد كمال صايغ ـ الاستاذ فى جامعة فلوريدا ، « لقد سيطرت الامتيازات النفطية على سياسة الدول الكبرى وتقسيم الاراضى الواقعة ووضعها تحت نظام الوصاية » (١) .

وقد تمركز الانجليز فى هذا الوقت فى مصر واستعدوا للقفز الى شبه الجزيرة العربية وبين النهرين ، كما أعدت المانيا القيصرية وفرنسا الجمهورية خطط تأكيدا (وجودهما) الاستعمارى فى الشرق الاوسط ، وأخذ كل واحد من هؤلاء المنطلقين يبحث بجنون عن الاسس القانونية لاثبات (حقوقه) فى فلسطين ، بجانب البحث عن وسائل الصراع ضد مقاومة السكان العرب الاصليين ، الذين لن يعترفون بشرعية أية أسس لاحلال السادة الجدد محل السادة القدماء .

المطلوب هو « العنصر البشرى »

كان المستعمرون يدركون من واقع خبرتهم فى اغتصاب و « استيعاب » الدول الاخرى أن السيطرة على اراضى الغير تمثل مشكلة ولا تتضح معالم مستقبلها وذلك بدون العنصر البشرى الذى يضمن الوجود الدائم والفعلى ، ويضمن سيطرة الدولة الاستعمارية الأم فى المستعمرات .

---

(١) ى. صايغ . النفط والتنمية الاقليمية للعربية ـ ١٩٦٨ ـ ص ١٢ .

ولا تختلف فلسطين من هذه الناحية عن المواقع الاخـــرى للمطامـــع الامبريالية ، ولكن خاصيتها تكمن فى أنها لم تجذب اليها الباحثين عن السعادة من الاوربيين فقـد تجنب السيل الرئيسى منهم هذه البلاد الخالية من الموارد الطبيعية والتى لا تمثل أية امكانيات جادة للحصول على النجاح أو ما يقال عن الثراء السريع .

الا أن العنصر البشرى وجد تحت تصرف الدول الكبرى الاستعمارية فقد وضعت الحركة الصهيونية بدايته فى صورة منظمة وهى الحـركة التى تشكلت من الناحية السياسية فى نهاية القرن التاسع عشر . ولقد كان حـل المشكلة اليهودية عن طريق توطين اليهـود فى فلسطين وانشاء دولة يهـودية هناك ، هو هدف المنظمة الصهيونية العالمية التى تشكلت عـام ١٨٩٧ أن التضليل باعلان فلسطين كموطن (لاجداد) اليهود والوعود البـاطلة التى لن تتحقق بالنجاح والثراء والحياة الآمنة فى وطنهم الخـاص قـد لقيـا فرصـا محـدودة النجاح ان لم يكن لدى الجميع ، فلدى البعض واكثرهم من اليهـود ضعاف العقيدة ، الذين كانوا يعيشون فى هذا الوقت فى أوطانهـم تحت وطأة المعاداة للسامية . وكان العالم العربى مكانا مضيافا ، لجأ اليه اليهـود المهاجرون من أوربا المسيحية ، وقامت منذ زمن بعيد فى فلسطين أواصر حسن الجوار بين الاغلبية المسلمة والاقلية اليهودية ، ولذلك فان المسألة الخاصة بملء الاراضى الفلسطينية بالمهاجرين ، المستجلبين لكى يلعبوا دور حصان طراوده للاستعمار ، قد حلت نفسها بنفسها ، ولكن القضـية من الذى يستطيع أن يسرج هذا الحصان ، حيث يمكن بمساعدته ، الاستيلاء على فلسطين .

وقبل أن نتعرض الى هـذه القضـية التى فرضها التـاريخ لننظر فى ماهية الحركة الصهيونية ، ما هى مسلماتها الرئيسية ، وعلى أى شىء تقوم أسسها الفكرية ، والى أى مدى تتناسب الفكرة الصهيونيـة المقـدمة لجمع شمل جميع اليهود على أرض الميعاد « زعما لنبـوءة عزقيـال التى وردت فى التوراة — كما يروق هذا على أقل تقـدير للمـؤمنين اليهود » مع مصالح ووجهات نظر ومزاج وشعور من توجه اليهم الدعاية الصهيونية .

وأخيرا ، ما هو الجوهر السياسى والطبقى لكل هذه المخططات الصهيونية التى لم يكن مبدعوها الحقيقيون ممن اعتبروا أنفسهم آباء الصهيونية أو من لعبوا فى الواقع — سواء برضاهم أو دون رضاهم — دورا لمنفـذين لعبـة سياسية . اجتماعية قضية معينة وهى اللعبـة التى لا يجمـع بينها وبين الاهتمام تنظيم حياة اليهود شىء ، البتة .

من الذى وراء الفكـر الصـهيونى ؟

لقد ذكرنا آنفـا ، ان ظهـور المنظمـة السياسية ، التى وضعت نصب عينيها هدف اعادة تهويد فلسطين ، قد لبى تلبيـــة ليس لها مثيل فطالب الدول الامبرياليـــة ، التى كانت تحتـــاج الى العنصر البشرى لاستعمار هذا البلد .

لقد ظهرت فكرة استخدام اليهـــود لانشاء نقط ارتكاز للاستعمار فى فلسطين تحت ستار بعث الديانة اليهـــودية القديمة ، التى احتفظت بعلاقة دينية تصوفية قائمة على أساطير العهد القديم وتقاليد التلمود لدى المؤمنيـن من اليهود وذلك منـذ زمن بعيد قبل ظهـــور الصهيـــونيين على المسرح السياسى .

ولم تظهر هذه الفكرة بين اليهود ، بل لدى المفكرين المسيحيين المتعصبين وبين فلاسفة الفتح الاستعمارى ، الذى استحقوا فيما بعـــد « شرف » أن يضافوا الى عداد « الصهاينة المسيحيين » .

لقد كان نابلبون بونابرت واحـــدا من هؤلاء الصهاينة المسيحيين ، كمـا كان حفيده نابليون الثالث أيضا فيما بعد ، حيث أصدر لاجرائى ـ سكرتيره بتأييد واستحسـان منه ـ كتابا دعا فيه الى انشاء اسرائيل تحت رعاية فرنسا المانحة للحرية بطبيعة الحال وسبق بذلك تيودور هرتزل أن الصهيونية ، كما لم تخل بريطانيا العظمى من الصهاينة المسيحيين من امثال لورد شافتسبيورى الذى اقترح على سبيل المثال ، عودة اليهود الى أرض الاجداد عام ١٨٤٠ ، والكولونيل تشرشل وكازليت رجل الصناعة . وهكذا ، لم يكن آباء الصهيونية الحقيقيون أو من المفكرين اليهود على الاطلاق أو على أقل تقدير ، بل كانـوا فى الواقع من فلاسفة الاستعمار . وقد لعب اسلاف هرتزل اليهـــود مثـل موزيس جيس لوى بنسكو ـ فى واقع الأمـر ـ أدوارا مساعدة ، مجســدين الفكرة الاستعمارية فى رداء « القومية » اليهودية ، التى وجدت حينئـذ فى القـــالب على الورق فقط . وهـكذا أعطى الاستعمار أول دفعــة للحـركة الصــهيونية ، ورأى فى بعث « حب صـــهيون » بين اليهـود وسيلة سـهلة للاستعمار « اللائق لفلسطين » . ولكن الامر لم يكن فى الاستعمار فقط .

ففى نهاية القرن التاسع عشر وفى بداية القرن العشرين ، بلغت الحـركة العمالية الثورية المسلحة بالنظرية الماركسية عن الصراع الطبقى والثورة الاشتراكية ـ بلغت قدرا لا نظير له فى أوروبا وامــريكا وقد اصبح فصل الحركة العمالية وادخال الانشقاق بين فصائلها من اكبـــر مهام البرجوازية الامبريالية ، التى هرعت الى استخدام سلاحها المجرب فى خداع الجماهير . والذى كان موجودا دائمـا فى أيدى الطبقـات المستغلة المسيطرة ، ونقصـد

به الافكار « الشوفونية » والعنصرية . ويقـــول فلاديمير لينين فى هـــذا الصدد عام ١٩١٣ :

« أن التعصب القومى البورجوازى العسكرى الذى يعمى ويخدع ويفرق العمال ، لكى يقودهم على طريق البورجوازية ، هو حقيقة هذا العصر » (٢) وكانت ملاحقة اليهود ببشاعة من بين وسائل تفـرقة الـكادحين وشغلهم عن العمل الثورى .. وحينما يقوم مفكرو البورجوازية الامبـريالية الـــرجعية بتشجيع معـاداة السـامية والاعتمـاد عليهـا ، يسعون فى نفس الوقت الى تسميم الجماهير اليهودية بالروح « الشوفونية » .

ولكن المعضلة أساسا كانت فى أن اليهود لم يكونوا أبدا أمـة واحـدة . فقد اندمجوا أساسا فى أوروبا الغربية وفى أمريكا وذابوا فى البيئة القومية المحيطـة بهم . وكانوا فى روسيا وفى النمسا والمجـر فئـة من الفئـات (٣) ولذا لم يكن هناك ما يسمح بقيام « القومية » اليهودية وعلى هذا كان عليهم أن يخترعوها فورا ولقد اخترعوها على شكل فكرة « خلود معاداة السامية » والرابطة التاريخية لليهود مع أرض الاسلاف « وحب صهيون » ، باعتبارها « المنقذ الوحيد » من جميع الاعداء ، هذه الفـكرة التى تستهدف « السلام الطبقى » للكادح اليهودى مع صاحب البنوك وفصل العامل اليهودى عـــن الحركة الثورية البروليتارية . وبهذه الطريقة ، الدفعـة الثانية لمولد وتطـور الصهيونية قدمتها الرأسمالية ، التى بدأت صراعا علنيا ضد البروليتـاريا الثورية الاشتراكية الصاعدة » .

ثم كانت هناك دفعة ثالثة . والحقيقة ، أن هذه الدفعة قد تكشفت بعد أن أصبح للحركة الصهيونية طابع منظم وبرهنت على نفعيتها . وتنبع هذه الدفعة من القمة البرجوازية اليهودية فى الغرب ، الخائفة من تدفق الفقراء اليهود من بلاد أوروبا الشرقية والهـاربين من المذابح . ولقـد كان روتشيلد وأشباهه يخافون من اليهود الفارين من المذابح أكثر من خوفهم من أية حـركة معادية للسامية من النموذج الغربى . ولقد كان كبار رجـــال الاعمال من ذوى الاصل اليهودى مستعدين للتبرع بأى جزء من دخـولهم من أجـــل التخلص من أخوتهم فى الدم . ولقـد قابل كبـار رجـال المـال ذوو الاصـل اليهودى ، الضوضاء الصهيونية حول « أرض الميعاد » بعداء شديد ، معتبرين اياها باعثا خطيرا للمسألة اليهودية وخطرا على نجـاحهم الشـخصى . غير انه ـ وبقدر ما أظهرت الصهيونية صـفاتها القيمـة من وجهـة نظر الدوائر الامبريالية اظهروا تعـاطفهم الشديد نحو هـذه الاداة الجـديدة للسياسة

---

(٢) ف. لينين ، مجموعة المؤلفات الكاملة المجلد ٢٤ صـ ١٢٢
(٣) نفس المرجع صـ ١٢٦

الاستعمارية والثورة المضادة . ولقد هدأ التعاطف بشكل خاص بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى ، التى كانت ضربة مميتة وساحقة للرأسمالية وبقايا الاقطاع ، وتحققت الاسس الاقتصادية والاجتماعية لجميع أشكال القهر القومى أو الدينى وأعلنت الحرب على جميع مظاهر الشوفونية والعنصرية ، ومن بينها معاداة السامية . ولقد أعلنت السلطة السوفيتية أن المشتركين فى مذابح اليهود والذين يقومون بالدعاية لها من الخارجين على القانون ، وهكذا سحبت البساط من تحت أقدام من تاجروا بمعاداة السامية وجر اليهود الى مستنقع القومية أو العنصرية الدينية والجهل . ولقد أستحق أكتوبر العظيم الغضب المكشوف من ساسة الصهيونية الذين يحتلون منذ ذلك الوقت وحتى الآن مكانهم المرموق فى مطبخ معاداة السوفييت ومعاداة الشوعية ، الامبريالى .

وبهذه الطريقة – لقى تنفيذ الصهاينة للمطلب السياسى والاجتماعى للامبرياليين ، الذين يمكن اعتبارهم آباء حقيقيين للصهيونية – لقى ، أيضا تفهما واضيف اليه فيما بعد دور رجل الشرطة ازاء حركة التحرر الوطنى فى الشرق العربى وازاء القوى التقدمية فى هذه الحركة ، ووظيفة الاستعمار الجديد وازاء – بلدان افريقيا واسيا التى اتيح فيها للصهاينة ان يقدموا التأييد « المعنوى » لجميع النظم العميلة والرجعية ، ابتداء من دولة جنوب أفريقيا العنصرية الى زمرة سايجون ، كل هذا بجانب دور اسرائيل كقاعدة استراتيجية للامبريالية العالمية وبؤرة للنزاعات العالمية .

عقيدة الصهيونية

كان من الضرورى للصهيونيين – أولا – كما هو ضرورى بالنسبة لأى من الشوفونيين ، ايجاد أية عقيدة أخلاقية خاصة بهم تقوم أساسا على الاعتماد على التاريخ كما كانوا فى حاجة كذلك الى قاعدة ، قومية يمكن أن يكتسبوا منها العنصر البشرى الضرورى لهم . ولهذه الاغراض رفعت النظرية الصهيونية حول الامة اليهودية العالمية ، وكان ف. فلاديمير أ. لينين قد وصف فكرة الشعب اليهودى خاصة بانها فكرة باطلة من الناحية العلمية ورجعية من حيث أهميتها السياسية (٤) . ويتضح فى هذه النظرية الجانب الرجعى الخطير للعقيدة الصهيونية .

ويحاول الصهيونيون تقديم كل من ينتمى الى الاصل اليهودى « كأمة » واحدة خارج الوطن ، نقية من الناحية العنصرية ، لم تتأثر بقوانين التطور الاجتماعى الاتنولوجى ، (مختارة من الرب) ولها الحق فى أن تختلف عن

(٤) انظر : ريابنون ، افلاس ايديولوجية وسياسة الصهيونية العالمية . « الاقتصاد والعلاقات العالمية » عام ١٩٧٢ رقم ٦ صـ ١٨ .

الجميع . تدافع عن امتيازات خاصة لنفسها ولا تخضع للقواعد المعمول بها فى الحياة الدولية ، متضمنة حق المطالبة بأرض شعب آخر . ونظرية الامة اليهودية العالمية لا تحتمل النقد العلمى ، « فيهود العالم » يفتقرون الى الملامح الضرورية للدخول فى الجسد الاجتماعى الاثنولوجى ، الذى يسمى امة ، على أساس وحدة الارض واللغة والحياة الاقتصادية والثقافية « غالبا ما يدخل ذوو النشأة اليهودية فى عداد الامم التى « تبنتهم » ، متعرضين لتجانس كامل معها » . أما ما يختص بزعم « النقاد العنصرى » لليهود ، فانه مثير للضحك ، لدرجة انه لا يجد تأييدا حتى من ناحية الكثير من الصهيونيين المؤمنين ، الذين هم على دراية بالحقائق العلمية التى وصلت اليها الانتربولوجيا والانثوجرافيا والآثار والتاريخ . وهذه المزاعم مثلها مثل الاساطير الاخرى الكثيرة للصهيونيين موجهة نحو جهل « الزبائن » الصهيونيين وتسعى الى هدف واحد وهو اشعال الروح الشوفونية سواء اليهودية أم معاداة السامية ، التى تساعد الصهيونيين على تكتل ضحايا معاداة السامية « المختارين من قبل الرب » حولها حيث تتغذى معاداة السامية هذه بقدر كبير بالدعاية الصهيونية حول التفوق العنصرى لليهود .

وقلما تجد من بين اليهود الحاليين ــ واليهودى هو كل من يعترف الحاخامات فى اسرائيل بأن أمه يهودية أو دخل الدين اليهودى « وفقا لقانون الجنسية الصهيونى الصادر عام ١٩٧٠ » ــ من يمكنه أن يثبت وجود صلة قرابة الدم باليهود القدامى وعلى هذه الصلة بالذات يقوم الاساس الصهيونى « للحقوق التاريخية » لجميع اليهود فى أرض الاسلاف رغم كل الحقائق الثابتة علميا . فحينما ينطق تلميذ المدرسة الفرنسى اليهودى الاصل جملة من كتابه المدرسى فى التاريخ « بأن أسلافنا هم الغالبون » يكون اقرب الى الحقيقة من الداعى الصهيونى الذى يريد ان يدخل فى روعه أن فلسطين تعتبر (وطنه التاريخى) كما لاترجع أصول غالبية يهود شرق أوروبا الى فلسطين بل الى دولة الخزر والى المانيا فى العصور الوسطى ، التى كان لسكانها اليهود « أسلاف من الاوروبيين » (٦) وحتى اذا افترضنا أن شخصا ما ــ على امتداد الف عام ونصف عام أو الفى عام ــ استطاع أن يحافظ على نقاء عنصره واستمرار سلالته الوراثية التى ترجع الى اليهود القدماء . فان هذه حالة نادرة الحدوث فى الواقع وأشبه بالمعجزات وحديثنا يدور حول اقوام فقد أسلافهم كل صلة بالوطن المفترض ــ وعلى اقل تقدير ــ لمدة ١٣ الى ١٥ قرنا مضت ــ واستقرت جذورهم ، أو اندمجوا مع غيرهم فى أماكن بعيدة عن « أرض الميعاد » التى بقيت وطنا منذ قديم الازل لسكانها

---

(٥) انظر . لينين . مجموعة المؤلفات الكاملة المجلد ٨ صـ ٧٤ .

(٦) انظر . بولياكوف تاريخ المعاداة للسامية المجلد ١ عام ١٩٦٨ صـ ٣٠٧ ـ ٣١١ .

العرب وحفنة من اليهود الفلسطينيين . وكان عدد هؤلاء اليهود فى القرن السادس عشر متواضعا هو خمسة آلاف شخص ، وفى منتصف القرن التاسع عشر بلغ العدد أثنى عشر ألفا بصعوبة . لذلك لا يمكن القول أن أحفادهم هم الذين يسيطرون فى اسرائيل المعاصرة ، بل المهاجرون من أوروبا وأمريكا وظاهرة الصابرا من ولدوا فى فلسطين من ابناء الرواد الصهيونيين ، الذين يرجعون بأصلهم أساسا الى اوروبا وامريكا . لقد فقد الاساس الصهيونى « الحقوق التاريخية » كل الاسس للعودة الى « وطن الاسلاف » بالنسبة لليهود المشتتين فى العالم ومما يثير الدهشة انهم بقوا خلال أكثر الاوقات ظلما واضطهادا فى العصور الوسطى لا فى فلسطين بل فى بلدان المغرب وفى تركيا أو تحركوا نحو الشرق الى الاراضى السلافية . وفى فترة المذابح اليهودية فى روسيا القيصرية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين انتقلت (*) الموجة الاساسية للمستوطنين اليهود الى أوروبا الغربية والى أمريكا واستراليا ، ولم يستسلم منهم للدعاية الصهيونية ، سوى ٦٥ الفا فقط الذين توجهوا لاستيعاب « وطنهم » . وخلال نصف قرن تقريبا فى الفترة من ١٨٨٢ الى ١٩٢٩ أختار ثلاثة من المائة فقط من المهاجرين اليهود فلسطين كمكان لاستيطانهم . بينما فضل كثيرون منهم اعادة الاستيطان فى أماكن اخرى . حتى المرحوم بن جوريون كان قد اعترف بأنه لم يتبق من كل ما يسمى بالموجة الثانية من المهاجرين (١٩٠٤ — ١٩١٣) فى فلسطين سوى ثمانية فى المائة فقط من المستوطنين ولم تغير الحركة النشيطة المميزة التى صاحبت الهجرة اليهود الى هذا البلد فى سنوات الحرب العالمية الثانية وفى السنوات الاولى بعد انشاء دولة اسرائيل — من الوضع شيئا — والجدير بالذكر ان هذه الحركة كانت مصطنعة الى حد كبير ولا يمكن أن يكون انعكاسا حقيقيا لصدق الشعار الصهيونى القائل « بسعى اليهود الابدى » نحو فلسطين . ولقد نتجت عن هذه الحركة نتيجة ظروف أستثنائية ، لا حيلة لها بأفكار السكان اليهود فى البلاد ، الذين لم يكن لهم أى ارتباط بهذه الحركة وأول هذه الظروف السياسية والتطبيق الاجرامى لابادة الشعوب وهو النهج الذى اتخذته المانيا الهتلرية ازاء ما يسمى « بالاجناس السفلى » التى كان اليهود من بينها ، وكما كانت حدود الدول الغربية كلها تقريبا مغلقة أمام اليهود وهذا دفع عجلة نشاط المؤسسة الصهيونية . وبعد انتهاء الحرب ، وقع من استطاع البقاء حيا أو وجد فى معسكرات المهجرين ، تحت تأثير وسيطرة المنظمات الصهيونية ، ولم يكن لديهم فرصة فعلية فى السفر الى أى مكان عدا فلسطين وتحولوا الى صهيونيين رغما عنهم .

غير أن المجموعة الاساسية للموجات المهاجرة بعد الحرب كانت تتشكل من المهاجرين من بلدان آسيا وشمال افريقيا ، وغالبيتهم من الفقراء ، الذين سلموا أنفسهم بسهولة للاغراء الصهيونى والوعود بالحياة المرفقة فى « دولة يهودية خالصة » هذا بجانب تخويفهم بنمو روح التعصب القومى ، كما كانوا يتعرضون لاستفزازات معادية للسامية يديرها الصهيونيين ومعاونوهم الاستعماريون ، والحقيقة أن القوة الدافعة الرئيسية لليهود على الهجرة من بلدان المغرب على سبيل المثال الى اسرائيل كانت موجودة قبل حصول تلك البلاد على الاستقلال . وفى الفترة التالية ، غادر اليهود هذه البلاد باعتبارهم مواطنين فرنسيين ولم يتوجهوا الى اسرائيل ، بل الى فرنسا وكندا وساحل العاج وما شابه ذلك . وخلال كل فترة وجود دولة حتى عام ١٩٧١ ، كان عدد المهاجرين الذين استقروا فيها « وفقا لمعلومات الوكالة اليهودية ، التى لا تميل الى تقليل هذا العدد ، ولكن العكس » قد شكل ١٢٣ر٤٣٣ر١ نسمة (١٠) وفيهم ٢٤ر٤٢٤ر٦٤ من ذوى « الاقامة المؤقتة » الذين لم يعلنوا رغبتهم فى أن يربطوا مصيرهم الى الابد « أرض الميعاد » ، هذا بجانب عدد من الاسرائيليين العائدين .

واذا أضفنا الى ذلك (اليورديم) وهم اليهود الذين يغادرون اسرائيل يعنى « النازحين من صهيون » والذين بلغ عددهم خلال نفس الفترة ٢٠٠ الف نسمة (١١) على اقل تقدير نجد أن ٦ر١ مليون يهودى أبدوا رغبتهم فى السفر الى اسرائيل فى فترة حركة الهجرة النشيطة ، الأمر الذى يشكل ما يزيد قليلا على ١١٪ من جميع السكان اليهود فى العالم « فى ذلك اسرائيل » ، وقد بلغ عددهم فى نهاية ١٩٧٠ حوالى ١٤ مليونا (١٢)٭ . والجدير بالذكر وكما أكد ناتان بيلير وزير شئون الهجرة الاسرائيلى السابق ، ان ٩٪ من المهاجرين من اسرائيل يسافرون الى وطنهم أو الى بلاد أخرى بعد مكوثهم عاما واحدا فى « جنة » صهيون ، و ٣٪ يتركون اسرائيل بعد عامين ، ولكنه لم يذكر من يغادر البلد بعد ثلاث سنوات أو أكثر من الحياة فى اسرائيل .

(٭) رغم أن الوكالة اليهودية تثبت العكس ، فان مصادر اخرى لها سمعتها مثل الكتاب السنوى اليهودى الامريكى (نيويورك) ، ١٩٧٢ ص ٤٣٦ ، والنشرة الشهرية التى يصدرها بنك باركليز العالمى (أبريل ١٩٧٢) تشير الى أن هذه الاحصاءات سليمة وان هذه الارقام هى المثبتة فى الوكالة اليهودية فى السنوات الاخيرة على أسوأ الفروض .

(٩) انظر « جيروساليم ماجازين » مارس عام ١٩٧٢ .

(١٠) انظر « جيروساليم بوست » ٢٣ مارس عام ١٩٧٢

(١١) انظر « الموند » ٢٢ مارس ١٩٧٢

(١٢) انظر الكتاب السنوى اليهودى الامريكى ـ نيويورك ـ فلادلفيا ١٩٧١ ص ١٧٤

ففى أعوام ١٩٦٨ ــ ١٩٦٩ ، على سبيل المثال بلغت نسبة المغادرين لاسرائيل ١٨ ٪ من عدد الذين وصلوا اليها وقد هاجر الى اسرائيل خلال هذين العامين ٦٧ الف شخص وفى ذلك ذوو الاقامة المؤقتة ، وهاجر من اسرائيل ١٢ ألف شخص . وخلال الفترة الطويلة من ١٩٦٠ الى ١٩٦٩ هبط المتوسط السنوى للهجرة الى اسرائيل هبط الى ٣٦ر٧ الف بالمقارنة لـ ٦١ر٦ الف فى الفترة من ١٩٥٠ ــ ١٩٥٩ .

ولم تفلح جهود الصهيونيين فيما يتعلق بالرغبة « الازلية » لجميع اليهود فى السفر الى بلد الاسلاف . فان ما يزيد عن ٨٠ ٪ من اليهود يفضلون حتى الآن الاقامة فى وطنهم الحقيقى لا الوطن المختلق ومن هنا كان التصريح بأن « اليهود لم يثبتوا ، بعد ، نهائيا وبالكامل ان اسرائيل هى وطنهم القومى ، ذلك لأنهم لم يملأوه بالكامل » (١٥) . لعلهم يعتقدون أن ملء أرض الغير ، التى يتباكى عليها دافيد كريفين معلق صحيفة « جيروساليم بوست » فى سطوره هذه ، يكفى وحده لاثبات ما لا يمكن اثباته ــ أى لم يثبتوا تبعية الارض الفلسطينية ليهود العالم كلهم المعاصرين بمعنى أن هذه الارض التى لم نكن فى يوم من الايام تابعة من بعيد أو قريب لاسلافهم الحقيقيين الذين يرجعون بأصولهم الى أى مكان آخر لا الى فلسطين . « الا فى حالات نادرة جدا » . وفلسطين كما هو معروف ، لم تكن وطنا حتى للشعب اليهودى القديم الذى يسعى الصهيونيون الى أن يرجعوا اليه اليهود المعاصرين . وحينما غزا الشعب اليهودى القديم فلسطين ، لم يملأها أبدا بالكامل ولكنه كان مضطرا فى جميع العصور الى أن يقتسم هذه الأرض مع الشعوب الاخرى (١٦) ، حتى فى عصرى داوود وسليمان ، وهما العصران اللذان يعتبرهما الصهاينة عصرين مثاليين .

وبهذه الطريقة ، يعتبر حق الملكية الاستثنائى لليهود فى فلسطين يعتبر احدى الخرافات الصهيونية التى لا حصر لها ، والتى سرعان قد تفحص عند الاصطدام بالحقائق التاريخية ، ومن بينها حقيقة أمتناع غالبية اليهود من الناحية الجدية عن تقديم أية ادعاءات للمطالبة بهذا الحق .

حتى ذلك الاساس الدينى للفكرة الصهيونية القاضية بجمع كل اليهود على « أرض الميعاد » والذى تجسد فى بداية الأمر فى اقامة « الوطن

---

(١٣) انظر « جيروساليم بوست » ١٨ ابريل عام ١٩٧١ ونفس الارقام واردة بصحيفة « الموند » ٢٣ فبراير عام ١٩٧٢ .

(١٤) نفس المرجع .

(١٥) « جيروساليم بوست » ٢٦ ابريل عام ١٩٧٢

(١٦) انظر « لوموندى دبيلوماتيك » يونية ١٩٧١ .

القومى اليهودى » فى فلسطين ، ثم بعد ذلك انشاء دولة اسرائيل الصهيونية ـ هذا الاساس يكشف لنا عند التمعن فيه النوعية المميزة عموما لجميع الاسس النظرية للصهيونية : فليس هذا الاساس سوى تزييف فاحش . أن واضعى نصوص التوراة « قاصرى النظر » و « غير الحذرين » لم يفكروا فى أن أناسا من ذوى العقول الماكرة الذين قرروا ابهام العالم ، معلنين أنفسهم ورثتهم المباشرين سيحتاجون الى مؤلفاتهم بعد مرور قرون عديدة وحينما سجل هؤلاء الكتاب على ربهم الرغبة فى الانعام على ذرية أبيهم الاسطورى ابراهام عن طريق اقطاع هذه الذرية الحق الالهى فى أرض كنعان لم يفترضوا أبدا أن أحدا سيحتاج الى اعلان ان هذه الذرية شعب واحد ، ولذا كتب واضعو هذه النصوص يقولون بسذاجة ان ابراهام «أب لشعوب كثيرة » (التوراة ـ سفر التكوين ـ ١٧ ، ٩ ـ ٦) وهم على قدر من الرعونة ، الا انهم قد أكدوا بما لا يدع مجالا للشك نبوءة عزقيال حول جمع اليهود على « أرض الميعاد » يجب أن تتحقق وفقا لرغبة الاله مع قدوم الرسالة ، ويحتفظ اليهود المعتدلون حتى يومنا هذا بهذا الرأى ، ويعتبر بعضهم من لم يستطع الصهاينة اغراءهم عمل الصهيونيين دنسا شديدا ، أما أنبياء الصهيونيين أنفسهم ، الذين ألبسوا أنفسهم « الوظائف الالهية » فهم محتالون عاديون .

لم تكن الصهيونية وليدة حلم المثاليين الخياليين ولا المصالح الحيوية للكادحين اليهود ، بل وليدة المطالب الماسة للتوسع الامبريالى والثورة المضادة البورجوازية . ولقد كانت وستبقى منذ أول يوم لظهورها فى الوجود ، وحتى يومنا هذا ، سلاحا للاحتيال السياسى فى أيدى البورجوازية الامبريالية العالمية ، بغض النظر عن الفضائل القومية التى كانت ولا تزال وستظل تربط مصيرها بها على مختلف فترات التاريخ لقد عرض الساسة الصهاينة خدماتهم على الجميع ، لكل من يحتاج اليهم غير ناسين فى ذلك منفعتهم الذاتية ، واذا قبلت خدماتهم ، فانهم يخدمون السيد الاكثر مقدرة على الدفع والتأثير والقوة .

انجلترا و « صهينة » فلسطين

تشكل التحالف الانجلو ـ صهيونى نهائيا قبيل توزيع الانتدابات على الممتلكات العثمانية التى وصل اليها الجيش الانجليزى فى تلك الفترة ومن بينها فلسطين . لقد أعطى اعلان بلفور فى ١٩١٧ الصهيونيين وطنا قوميا فى فلسطين ، كما أن حماية الصهيونيين قد أعطت انجلترا وزيعه (نبيلة) فى أعين شركائها فى الصفقات الامبريالية) لطلب الانتداب على فلسطين ذلك أن البريطانيين يتمتعون بصفات انسانية .

ولقد تم التدعيم المشترك للمستعمرين الصهيونيين فى فلسطين وللاوصياء عليهم من الانجليز على حساب السكان العرب المحليين ، وضد المصالح القومية لهؤلاء السكان ، ولم يستطع الاستعمار أن يمنع مقاومة هؤلاء (السكان) . وتأزم الموقف فى فلسطين وأدى تطوره المستمر الى الصدامات المسلحة لاكثر من مرة والى سقوط الضحايا من البشر . وتقع المسئولية فى تلك الامزات بالطبع وبالدرجة الاولى على المستعمرين البريطانيين وورثتهم من معسكر الامبريالية العالمية . ويرجع اليهم والى الصهيونيين المنفذين للمؤامرة الامبريالية ضد العالم العربى — الفضل فى اظهار وتطوير وتعميق الوضع المتازم فى الشرق الاوسط .

وقد اشار كل تاريخ المتعمرات الصهيونية فى فلسطين ابتداء من الموجة الثانية (١٩٠٣ — ١٩١٣) التى حملت الى هنا هؤلاء الرسل العسكريين للرسالة الالهية لليهودية العالمية أمثال بن جوريون وليفى أشكول — أشار كل تاريخ المستعمرات الصهيونية فى فلسطين الى الاستخفاف والعبث المنظم بحقوق ومقدسات السكان الاصليين للبلاد . ولم يكن وجود هؤلاء السكان فى حد ذاته يناسب الصهيونيين ، الذين رأوا فيهم مجرد عقبة محزنة فى طريقهم . ولقد أسرعوا منذ البداية الى عزل أنفسهم عن هؤلاء الناس ، وطبقوا نظام التمييز العنصرى وجعلوا هذا النظام سلاحا لطرد الفلسطينيين العرب من وطنهم ووسيلة لبناء القاعدةالاجتماعيةوالاقتصادية للنظام الصهيونى وكما ساد مبدأ « تعميم الآرية » فى المانيا الهتلوية ، فقد بدأ الصهيونيون فى فلسطين « تهويد » الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لبلد يسكنها العرب ، وذلك حين كان المفكرون العنصريون لسياسة النموذج الآرى ولا يزالون تلاميذ يجلسون خلف مناضد الدرس فى المدارس الثانوية . وكان الشعار الرسمى للمستعمرة الصهيونية فى فلسطن هو غزو الارض والسيطرة على العمالة ، وسرعان ما اكتشف جوهره التعصبى الاستعمارى ، بعد أن أدى الى « نجاحات » للافكار فى الفكر والتطبيق السياسى الصهيونى ، فى « أرض الميعاد » . فهذه ثقافة يهودية بل (رياضة يهودية) وهذا وذاك يتطلب الحماية ضد الغالبة الساحقة التى تتعرض للتفرقة العنصرية ، وتتجسد هذه الحماية فى « دفاع اليهود عن أنفسهم » . لقد أعلنت هذه المبادىء بصراحة تامة وعلنا. وحتى المتعصبون الهتلريون لم يخفوا مثل هذه المبادىء أيضا فيما بعد . وقد افترض هؤلاء وأولئك انه اذا كانت القرصنة الاستعمارية التى تبررها العنصرية قد أصبحت احدى معدلات القانون الدولى فى العصر الامبريالى ، فمن حقهم خلق عنصرية قومية خاصة بهم هدفها التبرير الايدلوجى لاغتصاب أراضى الغير واخضاع ، ان لم يكن ابادة السكان المنزوعة ملكيتهم .

ومع اقرار نظام الانتـــداب الذى دفع تشكيل « الوطن القــومى » اليهودى فى فلسطين ــ كان تهويد هذا البلد يجرى بصورة رسمية تماما ، وبتأييد من السلطات الاستعمارية وبالتعاون معها .

وادخلت قرارات الادارة الاستعمارية اجــراءات محــددة بالنسبة لملاك الاراضي العرب ، لكى تيسر للصهيونيين تحقيق مبدأ « الارض اليهودية » ونتيجة لذلك ، بدأ الفلاحون الفلسطينيون يفقدون أسباب الوجود وازدادت صفوف العــاطلين فى المــدن فى ظــل التغــاضى الصريح من جانب السلطات ولقد وضح الصهاينة قوانينهم للمؤسسات الصناعية والمؤسسات الاخرى ، التى يمتلكها اليهود لمنع استخدام القوى العاملة غير اليهـــودية فى هذه المنشآت وباتبــاع الصهيونين لهــذا المبــدأ ، نراهم قــد أغلقوا امام العــرب البــاب للالتحــاق باتحــاد عمالهــم القــوى الهستدروت ، الذى يحتكــر سوق القوى العــاملة ، وأقاموا دولة لهم داخــل الــدولة ، باصرار ودأب . دولة تقوم على تحقيق السيطرة بالنازحين المستعمرين ، لكى يمتلكوا البـــلد المستعمر بالكامل مع مرور الوقت .

حدث كل هذا امام اعين الانجليز ، الــذين تولوا الانتــداب ، والــذين التزموا فى رياء بضمان الحقوق الاساسية والدفاع عن المصالح الشرعيــة للشعب العربى فى فلسطين ، والأكثر من ذلك أن نظام الانتــداب وضــع فى أيدى الصهاينة ممن هم تحت وصايته الســلاح ودربهم على استخدامه ضد الفلسطينيين . وليس سرا على أحد أن « المحارب الشجاع » الاستعمارى ، كان المنظم لوحدات الهاجانات التى كانت تكفل « الدفاع عن اليهـــود » (والتى اصبحت القوات المسلحة الاسرائيلية فيما بعد) وهــو المحــــارب الذى كان يحظى باحترام تلاميــذه يشكلون حاليا قيــادة الجيش الاسرائيلى : موشيه دايان واحد من أولئك التلاميذ . وقد قامت الهــاجانات بالاشتراك مع القوة البريطانية باخماد مقاومة الفلسطينيين للغزو الصهيونى والاســـتعمار البريطانى . ولقد هزمت قــواتهم المتحــدة الثــورة القــومية الفلســـطينية ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ، التى فقد الفلسطينيون بعدها ولعدة ســنوات تكوينهـــم السياسى ولم يستطيعوا الدفاع عن حقهوقهم القومية رغم اعتراف منظمة

الامم المتحدة بهذه الحقوق .

الا أن الاستعمار البريطانى ، الذى أطلق المارد الصــهيونى من القمقــم ، (والذى افترض أن المارد الصـــهيونى ســوف يكون فى خدمته أى الاستعمار البريطانى وحده فقط) ، قد خاب أمله . أما المارد ، فما أن بدأ يستعيـــد قوته ، حتى ظهرت شهيته نحو الامتلاك لنفسه . وظهــرت وبدت المطامـــع الخاصة الطموحة ، التى لم تتطابق دائما مع مطامع حماقة الرئيسيـــين . وظهرت الروح العسكرية الخاصة بهم وضرورة السيطرة عليها انطــلاقا مــن

مزاج وادعاءات هـذا المارد ولم يقتصر الصهيونيون فى سعيهم الـى جـذب المزيد من البشر بقدر المستطاع الى جانبهم ، على الدعاية لمسلماتهم الدينية غير المفهومة ، مدركين أن « هذا الجواد لن يحملهم طويلا » فى عصر ثورات البروليتاريا سيواصلون عصر الثورات البروليتاريا . ورغم كونهم الـد أعداء ــ الاشتراكية الثورية والثورة الاشتراكيـة ، الا أنهم اعتبروا أن من صالحهم الأخذ ببعض ما يوجد فى الترسانة الاشتراكية وارتدوا رداء حماة مصالح البروليتاريا وشكلوا مجموعة كاملة من الاحزاب « اليســـارية » و « اليمينية » و « الوسطى » الصقت بنفسها اسم العمالية . وأهمها : خابوئيل خاتسائير (العـامل الشـاب) ويترجم أسمه بالـكامل « اتحـاد العمال الشبان لارض اسرائيل » (العامل الشاب) . وحزب أحدوت هافودا «العمل المتحد » ويترجم اسمه بالكامل الاتحاد الاشتراكى الصهيونى لعمال أرض اسرائيل » العمل المتحد . وقد أتخذ عام ١٩٣٠ فى « حزب العمـال لأرض اسرائيل » والمشـهور باسـمه المختصر الماباى ، الذى أصبح فى عام ١٩٦٩ بدوره نواة لحزب « العمل الاسرائيـلى » . ويوجـد فى يسار هـذه الاحزاب منظمات محلية أخرى وهى حزب يوعالى صهيون الاشتراكى الامى « عمال صهيون » وحزب هاشومير هاتسائير (الحـارس الشاب) الذى أصبح فى ١٩٤٨ نواة لحزب المابای اليسارى الصهيونى « الحزب العمـالى المتحد » ، الذى كان يسعى الى ابراز مستوطناته الزراعيـــة التى كانت تسـتهدف تهـويد الارض وتعتبر بمثـابة نقط ارتكاز للدفاع عن اليهـود وهو نموذج « للشيوعية الزراعية » وباختصار أخذوا يلعبـــون بدهاء فى « الاشتراكية الصهيونية » . ولكن كما كان متوقعا تطلبت هذه اللعبة قواعد محـددة ، وانهمك المشتركون فيهـا فى « الديماجية » الصهيونية ، ولـكنهم ظلوا من البروليتاريا وفقا لوضعهم الرسمى وأخذوا هـــذه القواعد مأخذ الجد . وظهرت معضلة أمام القيادة الصهيونية ، هى اما يتجاوبوا مـع قواعد اللعب بشكل أو بآخر بالاشتراكية ، وأما الافتضـاح الكامل وفقـدان كـل دعامة اجتماعية ، ولا سيما أن الوسط العمالى للمسرح السياسى مجموعة المن المستنيرين سياسيا قوية العقيـدة تدرك جيدا ــ رغم قلـة عـددها ــ تدرك جيدا الجوهر الطبقى « للاشتراكية الصهيونية » وتعلن عليها الحرب من واقع البروليتاريا الاممية . أن مولد الحزب الشيوعى فى فلسطين قد قلب رأسا على عقب خطة الداعين الى « أخوة الدم بين اليهود » واجبرهم على المناورة ، وان يهرعوا الى تعبيرات مهـذبة لاشـتراكية كاذبة وان يقـدموا بعض التنـــازلات للعمـــل ، مقـابل الحفاظ عـلى سمعتهم (الاشتراكية) . وفى الوقت الذى كان الصهيونيون يتعاونون فيه مع السلطات الاستعمارية كانوا مجبرين ــ على الاقل ــ على عدم مواجهة شعور الجماهيـــر المعادى للبريطـانيين . وحينمـا وصل الامر الى الصدام بين الجماهير (ونقصد هنا

العمال اليهود فى فلسطين) وسلطات الانتداب ، اضطروا كذلك الى تأييد « ذويهم » ضد الانجليز .

وكان سعى الصهيونيين الى تحقيق برنامجهم الى الحد الاقصى مصدرا لتقوية الخلاف بين القيادة الصهيونية ومصدر الهامهم : البريطانيين ، وهو البرنامج الذى كان يقضى بجعل كل فلسطين وطنا قوميا يهوديا . ولقد لقى ذلك البرنامج مقاومة من جانب المستعمرين البريطانيين الذين كانوا مستعدين لتأييد الوطن القومى لليهود فى فلسطين ، ولكنهم ليسوا على استعداد لتقديم كل فلسطين للصهيونيين وكان سبب المقاومة هو خطط بريطانيا العظمى ذاتها الرامية الى البقاء بشكل خاص فى هذه البلاد ، هذه الخطط ، والتى خصص فيها « للوطن » الصهيونى دور مساعد بالطبع . كما كان يكمن وراء هذه المقاومة سبب آخر ، فقد كان الانجليز يلعبون على « الحبلين » فى وقت واحد : فالصهاينة صهاينة ، ولكن ينبغى اخذ العالم العربى فى الاعتبار كذلك .. واستمرت العملية على هذا النحو .

لقد تردد صدى حركة التحرر الوطنى العربى فى فلسطين ، وتطورت فى جميع البلاد العربية الاخرى من الاطلنطى حتى الخليج الفارسى . وبدات هذه الحركة تعى المعنى الحقيقى لكل ما يحدث فى فلسطين ، فاكتسبت اتجاها ليس معاديا للاستعمار فقط ، ولكن معاديا للصهيونية أيضا وظهر هذا الشعور فى فلسطين قبل أى مكان آخر وبشكل حاد جدا ، ومن هنا تأتى المحاولات العديدة التى قام بها الانجليز لاقامة شهية الصهيونيين . ومن هنا أيضا البحث المجنون للصهيونيين عن أسياد جدد وحلفاء جدد . وفى هذا تبرز الولايات المتحدة فى المقام الاول حيث يكون الصهيونيون المزيد من المنظمات الجديدة ويشكلون مجموعات الضغط الصهيونى فى المؤسسات الحكومية ويشكلون اتجاه الرأى العام . ويفتح ضعف الانجليز فى الحرب العالمية الثانية أمام الولايات المتحدة الامريكية الابواب الى الشرق الاوسط . وحصلت فلسطين على نفس الاهمية فى أعين الولايات المتحدة الامريكية . مثلما كانت تحصل عليها فى أعين لندن . ولم يمر ذلك دون ملاحظة من القيادة الصهيونية وقد تشجع الصهيونيون وقدموا أكثر المطالب وقاحة ، وساروا الى النهاية نحو الصدام مع الانجليز ، الى درجة الصدامات المسلحة مع قواتهم واصبحت المشكلة الفلسطينية مادة للمناقشات الحادة فى منظمة الامم المتحدة المشكلة حديثا . وبدأت انجلترا تدرس فى هذه المناقشات امكانية جديدة لاصلاح المشكلة التى خلقتها بأيديها ، راجية الحصول على تأييد المنظمة الدولية لكى تعيد المارد الصهيونى العاق الى القمقم وتحت علم الامم المتحدة .

وتبارك الولايات المتحدة القرار الانجليزى لعرض المشكلة الفلسطينية للمناقشة فى الامم المتحدة مفترضة انه فى أثناء هذه المناقشة سيجرى نوع من الصفقات من وراء الكواليس وتستطيع الاستيلاء على فلسطين فى أيديهم وبعد اقامة نظام انتداب ثنائى انجلو أمريكى . ولم تشترك فرنسا أشتراكا فعالا فى هذه اللحظة فى مصير فلسطين ، معترفة بها كمنطقة نفوذ بريطانيا . فقد كان لديها ما يكفيها من المشاكل فى الهند الصينية ، وسوريا ولبنان والمغرب . ولقد كانت الصين الوطنية تؤيد الولايات المتحدة. غير أن مجلس الامن كان يضم كذلك الاتحاد السوفيتى الذى يملك موقعا ذا أهمية حيوية غير أن هذه الأهمية غير حاسمة فى الحالات التى تعرض فيها المسألة للنظر على الجمعية العامة ، حيث كانت تسيطر آنذاك مجموعة التصويت الانجلوامريكية .

الاتحاد السوفيتي وحل القضية الفلسطينية فى الامم المتحدة عام ١٩٤٧

كيف كانت علاقة الاتحاد السوفيتى بالمشكلة الفلسطينية وما هو الدور الذى لعبته الدبلوماسية السوفيتية فى محاولات حلها التى اتخذتها منظمة الامم المتحدة ؟

قبل أن نجيب على السؤال الاول ، نذكر الظروف التاريخية الحقيقية ، التى كان لها تأثير على موقف الاتحاد السوفيتى وعموما جميع القوى المعادية للامبريالية العالمية فى القضية الفلسطينية ويجب أن نضع فى فى الاعتبار . أن الصدام العلنى بين الجالية اليهودية وبين المستعمرين البريطانيين فى تلك الفترة كان أحد جوانب الوضع فى فلسطين . ولقد هرع قادة الصهيونية . المدافعون بالنيابة الجالية اليهودية فى فلسطين فى هذه المرة ، الى الوسيلة المختبرة للعبة السياسية وارتدى هؤلاء القادة رداء حركة التحرر الوطنى ، لم ينجلوا فى وعدهم احترام حقوق السكان العرب فى فلسطين والدفاع عن مصالح السلام والعدالة . والمهم لم يكن يكمن فى تصريحات حاييم وايزمان وجولدا مائير والقادة الصهيونيين الآخرين بل فيما كان يحدث بالفعل فى فلسطين نفسها ، حيث كانت الضربات تتوالى على احدى أهم قلاع الامبريالية وهى بريطانيا .

ولم تكن هذه الحقيقة بعيدة عن الاهتمام اثناء تحديد الموقف السوفيتى من القضية الفلسطينية كما لم تكن هى الحقيقة الوحيدة . فقد كان الاتحاد السوفيتى ولايزال ينطلق دائما من ضرورة احترام حقوق جميع الامم فى تحديد مصيرها . ومن الطبيعى تماما انه وفقا لهذا المبدأ تنبع الدبلوماسية

السوفيتية آنذاك حينما كان عليها ولأول مرة أن تقول كلمتهـا فى القضية الفلسطينية كما كان من الاهمية بمكان أن يتخذ « الوطن القومى اليهودى » فى فلسطين مواصفات جديدة اذ أن هذا (الوطن) كان يعتبر بعد الحرب العالميـة الثانية ملجأ لجزء من اليهود الذين تعرضـوا للاضطهاد من جـراء النازية غير أن القضية تعقدت بوجود النزاع الحاد بين الجالية اليهـودية والسكان العرب الاصليين فى فلسطين هذا النزاع الذى أشعله المستعمرون البريطانيون الصهيونيون وزادت من اشعـاله القيادة الاقطاعية الرجعية العربية ، هذا النزاع الذى استخدم فيه كلا الطرفين الاشـكال القوميـة الدينية لكى يبلغ كل منهما أهدافه السياسية والاجتماعية وضد مصـالح العمال اليهود والعرب . واصبح الموقف ذا طابع قابل للانفجار وخيم خطر الحرب ، الامر الذى يتعـارض فى الاساس مع مضالح الجماهير العاملة لكلا الجانبين . وكان درء هذه الحرب يوافق المبادىء الاممية للسياسة الخارجية واعتبر الاتحاد السوفيتى أن واجبه أن يفعل كل ما هو ممكن لأجل ذلك .

وطالب الاتحاد السوفيتى بايفاد الانتداب وخروج المستعمـرين من فلسطين دون شروط ، وأيد فى بادىء الامر فكرة انشاء دولة عربية يهودية مستقلة موحدة هناك ، وما أن تأكد من عدم امكانية تحقيق هذه الفكـرة حتى أيد خطة تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية مع جعل القدس وضواحيها منطقة دولية . وكان هذا حلا وسطا ولكنـه كان الحل الممكن الحقيقى الوحيد لضمان الظروف الضرورية لاقرار السلام بين الجاليتين الدينيتين القوميتين لفلسطين واستبعاد الحجج للتدخل الامبريالى فى شئونها .

وحين أيد الاتحاد السوفيتى التقسيم ، اقترح الى جانب ذلك وبشكل تفصيلى تنفيذ الاجراءات لتجسيده ، « لكيلا تحمـل عملية قيام دولتين جديدتين اضرارا للعرب ولا يهود فلسطين ، فيما يتعلق بحقـوقهم القوميـة والحريات الديمقراطية . ان تحليل قرار الجمعية العامة للامم المتحـدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، الذى أعلن تقسيم فلسطين يدل بما لا يدع مجالا للشك على التأثير البناء ، الذى أثرته الديبلوماسية السوفيتية على عمل واضـعى هذه الوثيقة القانونية الهامة . ولقـد أدخلت فى القرار أسس دستورية تقدمية لنظام دولتى المستقبل كما وضع نظـام قيامهـا ، الـذى يسـتبعد الافسـاد خاصـة ازاء حقـوق الاقليات القومية والدينية . وقد تضمن القرار مطالب حول التزام كلتا الدولتين بالسير على سياسة خارجية محبة للسـلام كما تضمن القرار مجموعة كاملـة من الشروط كان يتوقف عليهـا اعتـراف الامم المتحدة الحديثة التكوين بالدولتين . ولا جدال أن هذا القـرار لـو لـم يخرق من الناحية العملية فى جميع أوضاعه الاساسية ، لما كان لدينا الآن

قضية مع اسرائيل كدولة صهيونية معتدية ، تلعب دورا شريرا كمصدر دائم للازمات ولما أصبح الموقف المتأزم فى الشرق الاوسط : فزمن الطابع . وكان الصهيونيون — وهذا ما يشير العرب — أول من خرق قرار الامم المتحدة، الذى أعطى الحياة للدولة اليهودية . فقد اغتصب الصهيونيون السلطة ، التى كان ينبغى — وفقا لآراء واضعى قرار الجمعية العامة للامم المتحدة — أن تتسلمها الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية « والدولة العربية » من الامم المتحدة بعد انتخاب جمعية تأسيسية ووضع الدستور والتصديق عليه وتقديم اعلان رسمى مناسب للامم المتحدة يتضمن الالتزامات الموضحة فى القرار الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، ولكن الصهيونيين لم يريدوا لا جمعية تأسيسية ولا دستور ولا اعلانا ، لأنهم لم يرغبوا فى تقييد أنفسهم بأية التزامات أمام المجتمع العالمى والغالبية العربية لسكان فلسطين وقد كان هدف الصهيونيين — كما أعترف بن جوريون فيما بعد — هو الحصول على دولة ، لحظة جلاء القوات البريطانية من فلسطين تقوم الهاجاناة « بتوسيعها وتهويدها » ، أى دولة بواسطة القوات المسلحة الصهيونية (١٧) . ولم يكد الصهيونيون يتسلمون فى أيديهم مقاليد الحكم ، حتى داسوا على قرار الأمم المتحدة والذى يعتبر الاساس السياسى والقانونى الوحيد والذى أصبح الآن الاساس التاريخى لحق وجود دولة يهودية فى فلسطين وكانت العصابات الفاشية الصهيونية لتنظيمى أرجون وشتيرون (اللذين أتحدا فيما بعد مع الهاجاناة ، واعترفت الدولة الصهيونية بخدماتها) قد بدأت فى ديسمبر ١٩٤٧ ارهاب السكان العرب من أجل القضاء على مقاومتهم وطردهم من ارضهم الوطنية . وتعتبر مذبحة ابريل فى قرية دير ياسين المسالة عام ١٩٤٨ — ذروة أعمال الصهيونيين فى هذا الاتجاه فى فترة ما قبل انشاء الدولة غير أن مذبحة دير ياسين لم تكن العمل الوحيد ، فان تاريخ الاستعمار الصهيونى فى فلسطين يعرف العشرات الكثيرة من الامثلة المشابهة . وفى نفس الوقت بدأت وحدات « الهاجاناة » — بالتعاون مع العصابات التى ذكرناها آنفا — فى الاستيلاء على ما لم يكن يدخل فى عداد الدولة اليهودية وبهذه المناسبة دير ياسين كانت تقع فى المنطقة ، التى كان يجب أن تدخل ضمن المنطقة الدولية فى القدس ، وليس فى الدولة اليهودية .

وقد رفض الصهيونيون الاعتراف بالخطوط الموضوعة على أساس خريطة تقسيم فلسطين كحدود لدولة اسرائيل ، وفضلوا عدم وضع حدود ، اعتمادا على التوسع فى الارض أثناء ما يسمى بحرب فلسطين التى بدأت فى مايو ١٩٤٨ . ولم يتحولوا عن ذلك حتى يومنا هذا . واليكم ما كتبته

(١٧) انظر « بعث اسرائيل ومصيرها » بقلم بن جوريون — نيويورك ١٩٥٤ صـ ٢٩٢

جريدة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية فى يوم الاحتفال بالذكرى الرابعة والعشرين لاستقلال أسرائيل والذى يوافق بالتقويم اليهودى القديم يوم ٥ آيار عام ٥٧٣٢ (أى ١٨ أبريل ١٩٧٢) : « ان الاستقلال هو يوم بعث القومية الاسرائيلية والحدود الاقليمية ولكن أية حدود هى — لا أحد يعرف وهنا تحمل هذه الكلمات سوء نية واضحة فان حدود الدولة اليهودية فى فلسطين قد حددت بدقة فى قرار الامم المتحدة والجميع يعرفون ذلك .. وهذه الكلمات تتضمن اعترافا صريحا بالحقيقة المتمثلة فى عدم رغبة الصهيونيين فى الاعتراف بهذا القرار وتحويلهم المتعمد لاسرائيل الى دولة بلا حدود .

وعلى هذا لا توجد أية اسس لاخذ احاديث الصهيونيين حول « هجوم » الدول العربية على اسرائيل مأخذ الجد .

وانتهت أول حرب فلسطينية ١٩٤٨ — ١٩٤٩ بضم اسرائيل لمجموعة كاملة من الاراضى العربية وطرد حوالى مليون عربى فلسطينى من وطنهم .

ويسعى الصهيونيون الى تبرير عدوانية دولتهم الساعية للضم ، بعدم اعتراف العرب بها ، والتهديد بالابادة ، التى تهدد اليهود الاسرائيليين من ناحية جيرانهم وضرورة اتخاذ اجراءات وقائية لكى تبقى على قيد الحياة ، وما شابه ذلك من الخرافات والاساطير ، التى ألفها السياسيون والايديولوجيون الصهيونيون بوفرة ، والذين يستخدمون — بلا شك — فى هذه الاغراض التصريحات العفوية لبعض الشخصيات العربية من طراز احمد الشقيرى ، هادفين الى خداع الرأى العام العالمى ، والى استدراء للتعاطف الى جانبهم والى عزل الدول العربية على المسرح العالمى والى افقادها تأييد مطالبها الشرعية والعادلة . ولكن الاساطير الصهيونية تقوم على أساس جهل الذين توجه اليهم وتسوية حقائق التاريخ المتعمد . غير أن هذه الحقائق تتكشف أن عاجلا أم آجلا .

فقد تهاوى الزعم الصهيونى حول عدم اعتراف الدول العربية باسرائيل لان هذه الدول كانت مستعدة للاعتراف بها عام ١٩٤٩ ، حينما وقع مندوبوها بروتوكول لوزان ، القائم على قرارات الامم المتحدة ومن بينها القرار الصادر فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وفى عام ١٩٥٥ ، اعلن الرئيس ناصر أمام الملأ استعداده الاسترشاد بهذه المبادىء بشرط أن تطبقها اسرائيل بالطبع وفى ١٩٦٧ وافقت مصر على قرار مجلس الامن للامم المتحدة الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٧٦ ، الذى ينص على حق كل دولة فى الشرق الاوسط (وبالتالى اسرئيل) فى الوجود المستقل والسيادة ، وفى عام ١٩٧٠ — ١٩٧٣ اقترح الرئيس السادات أكثر من مرة البدء فى تنفيذ هذا القرار وعقد معاهدة سلام مع اسرائيل ولكن لم يكن مصادفة أن تعلن جولدا مائير

ذات مرة ان اعتراف العــرب بدولة اسرائيل لا يهــم الصهيونيين بصفة عامة (١٨) .

وتكشف القناع كذلك عن اسطورة التهديد بالابادة ، والتى دحضهــا فى البداية النقاد المعادون للصهيونية وللسياسة العدوانية لاسرائيــل ثم مالبث أن انتقدها عدد من الجنرالات الاسرائيليين انفسهم من واضعى تلك السياسة فلا يخفى على أحد ـ على سبيل المثال ـ تصريح الجنرال بارلييف رئيس هيئة اركان حــرب الجيش الاسرائيــلى السابق ، الذى اعترف فى لقاء مع مراسل جريدة معاريف قائلا : لم يهددنا أحد بالابادة قبيل حــرب الايام الستة كما اننا لم نقل أبدا .. ولم نفكر ـ أن هذا الاحتمال قائم .

ان الكثيــر من افكــار الصــهيونية تحتمــل النقــد والدحض ، غير أن التفاخر الذى لا حد له ووقاحة المدافعين عنه سواء من النظريين أو التطبيقيين قد أسهم اسهاما ايجابيا فى التعرف على الطبيعة الحقيقية للدولة الصهيونية والملامح الرجعية الخاصة لسياستها ، التى ترجــع أسسها الى ما قبــل رسوخ الدولة الصهيونية فى فلسطين . ويعتبر القصور الغريزى للسياسة الصهيونية الذى تطور تطورا طبيعيا ومنطقيا فترة قيــام الدولة الصهيونية والذى يحدد وجود الاداة الحكوميــة الصهيونية فى الوقت الحاضر ـ يعتبر القوة الداخلية الرئيسية لعدوانية دولة اسرائيل .

---

(١٨) انظر « الموند » ١٥ اكتوبر عام ١٩٧١ .

الباب الثانى

العــدوانية الغــريزية للدولة الصــهيونية

مصــدر العــدوان

اسرائيل مصدر العدوان ، ولقد اصبح هــذا حقيقة مسلما بها فى وقتنا الحاضر ولقد اكتسبت الدولة الصهيونية خلال فترة وجودها القصيرة نسبيا (ربع قرن) سمعة راسخة كقاعدة حربية للامبريالية ، تظهر بصورة مستمرة عدوانيتهــا ، وتعمــل أكثر من مــرة كمــولد للنزاعات العسكرية فى الشرق الاوسط .

ولا شك أن عدوانية اسرائيل ترتبط بالمطلب السياسى والاجتماعى الذى أدى الى التغلغل والاستقرار الصهيونى فى الشرق الاوسط . ولكن توجد أيضا أسباب خاصة لتلك العدوانية وترجــع هــذه الاسباب الى اساس ايديولوجية منفذى خطط انشاء « الوطن القومى اليهودى » فى فلسطين ، وهدف هذه الخطط هو تحويل هذا « الوطن » أى راس الجسر هــذا الى دولة على أكبر مساحة من الارض على أن تكون هذه الــدولة قادرة على أن تلعب دور القاعدة القوية القادرة على توجيه اكثر الضربات الممكنة فعالية الى حركة التحرر الوطنى العربية . ولقد أثارت هذه الـدولة اهتمام الســادة الامبرياليين وحماة المؤسسة الصهيونية منذ زمن بعيد كما أن هــذه الدولة تلبى المخططات الطموحة الخاصة للصهيونيين الذين اعتبروا انفسهــم ورثة غزاة التوراة — المتعصبين من أمثــال يسوع ؟؟ نافين والملك داود والذين سعوا لانشاء « اسرائيل الـكبرى » من النيل الى الفرات او وفقــا لتغييرهم الخاص « ارتس ازرائيل» . ولكن يصدق القول موشيه مينوخين اليهــودى الامريكى المعادى للصهيونية ومؤسس حــركة البدائل اليهودية للصهيونية « ان المتعصبين الاجانب الذين اجتمعوا معا لاغتصاب فلسطين العربية ليس لديهم من حق انشاء هذه « الامبراطورية الــكبرى » اكثر مما كان لدى الاشتراكيين الوطنيين الهتلريين فيما يتعلق بمخططاتهــم الكبــرى تجاه أوروبا » (١) .

---

(١) انظر « موشى منوجين يتحدث عن اسرائيل الكبرى » ، « العالم العربى » اغسطس — سبتمبر ١٩٧١ ، ص ٣

ويعوض عدم وجود الحق بالوقاحة ،ويعوض بطلان الايديولوجيةبعقيدة المجال الحيوى التى صاحبت الصهيونية منذ مولدها ـ هذه « القوميـة » اليهودية العدوانية التى اخترعتها وشجعتها الرجعية الامبريالية ويقـول موشيه مينوخين : « ان اسرائيل الصهيونية هى نتاج عقيدة متوحشة فاجرة لتعصب القرن التاسع عشر القومى السياسى حيث تؤمن دائما بنظـام حق الغزو القديم ، الذى يقوم على غطرسة القوة ، ثم تتمسك « بثمار النصر » باعتبارها غنيمة شرعية ، وحينما يطبقون مبدأ الامم المتحدة حول عدم جواز الاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب ، يعتبر ببساطة من وجهـة نظرهم « معاداة للسامية » . ومن هنا كان احتقارهم للامم المتحـدة ، رغم أن الامم المتحدة هى التى انشأت اسرائيل » (٢) . ومن هنا كذلك اغفالهـم للقانون الدولى ويستخدم الصهاينة فى تغطية هذا المـوقف اسانيد تاريخية ، غيـر انهم لا يأخذون من دروس الماضى ما يفيدهم ، بل يأخذوا بمبـادىء وطـرق القرصنة التى يستنكرها الجميع ـ واليكم مثـالا واضحا يبين تعـاملهم مع التاريخ .

فقد عبر شخت مان الصهيونى الامـريكى والعضـو السابق فى اللجنـة التنفيذية للوكالة اليهودية فى « دائرة معارف الصهيونية واسرائيل » بصراحة مطلقة عن علاقة الصهيونية واسرائيل ازاء مبدأ عـدم جواز الاستيلاء على الارض عن طريق الحرب بقوله : « ليس لهذا الموقف أسس فى التاريخ ، لأن التغييرات الاقليمية ، التى حدثت نتيجة الصدامات العسكرية ، تعتبر دائمـا بمثابة قاعدة للتسوية السلمية » (٣) . وهذا ليس سوى محاولة مستهتـرة لبعث حق الفرد الذى ذهب مع الماضى وازدراء صريح للنظم القانونية العالمية لصالح نوايا الغزو الصهيونى .

والهدف من هذه الحيلة الصهيونية التى يشير اليها موشيه مينـوخين الى جانب لصق تهمة معاداة السامية نحو كل ما لا ينـاسب الصـهيونيين ـ هو تحييد كل فقد موجه الى الاستفزازيين الصهيونيين وتبرير اعمالهم الاجرامية وكما رأينا أن سياسة « المجال الحيوى » قد صاحبها تكييف النظام الاجتماعى وأجهـزة الدولة فى المانيـا الهتلرية نجـد أن مثـل هـذه السياسة التوسعية استطاعت أن تؤثر على طبيعة التطـور السياسى والاجتماعى للمؤسسة الصهيونية . ولم يكن من الممكن تحقيق هذا « المجـال الحيوى » الـذى يحتاجه الصهيونيون الا على حساب الآخـرين . وحسب تعبير موشيه مينوخين « أصبح غرب فلسطين والدول المجاورة ضحايا » التعصب القومى اليهودى المجنون » وتقدر الخسائر المادية لعـرب فلسطين بمئـات الملايين من

---

(٢) نفس المرجع .

(٣) « دائرة معارف الصهيونية واسرائيل » نيويورك ١٩٧١ المجلد الاول صـ ١١٥٢

الجنيهات الانجليزية (حوالى مليارين ـ حسب بعض التقـــديرات) وأن حوالى نصف السكان اليهود فى اسرائيل عام ١٩٦٧ كانوا يعيشون على حساب الممتلكات العربيـــة (٤) .

ويستمر نهب العرب الفلسطينيين بطريقة رسمية حتى يومنا هـذا . كما أعلن مستشار عمدة القدس للشئون العربية فى وقاحة « فى البداية نأخذ الارض ، ثم يظهر القانون بعد ذلك » . فقد صودر منـذ عام ١٩٦٧ ١٥ ألف دونم (١٥٠٠ هكتار) من الارض العربية فى القطاع العربى بالقدس حيث ينوى الصهيونيون توطين ١٠٠ ألف يهودى مهاجر حتى عام ١٩٧٥ . وتعتبر المكافأة التى أقرها القانون عادة ـ أقل عشر مرات من القيمة الحقيقية للارض فى المدينة . ونتيجة لذلك كما كتب ديفيـد هيرست مراسل مجـلة « جين افريك » يحصل الاسرائيليون مجانا تقريبا على قطع من الارض يبلغ ثمنها .. ٦مليون فرنك فرنسى (حوالى ١٢٠ مليون دولار) . ومن لا يريد استلام هـذه المكـافأة ومغادرة الارض يتعرض للتهديد أو يفقدونه ببســاطة امكانية الحياة فى منزله بخلق ظروف لاتطاق : فيهدمون كل ماحول منـزله أو يهدمون جـدرانه بطـريق الخطـأ ويلقـون بالانقـاض فـى الداخــل ويكســرون المجـارى ويقطعـون الميـاه .. الى آخـره . ويجبـر الفلاحون الفلسطينيون فى غرب الاردن على « بيع » أراضيهم وأقل ما يوصف به ذلك أنه طرق بربرية . ففى ربيع ١٩٧٢ دمر كل محصول الحاصلات الزراعية فى منطقة أكروبات بالقرب من مدينة نابلس بمساعدة القوات العسكرية بمـا فى ذلك الطيران ، وهى الطريقة المناسبة للمستعمرين اليهود .

فقد سمم « حاملوا الحضارة » محصول القمح بالكيماويات السامــة هـذا هو قانون اسرائيـل أزاء الفلسطينيين ، وأصـبحت المبـادىء العنصرية (العمل اليهـودى) ، (الارض اليهـودية) التى طبقهـا آباء اسرائيـل فـى عصر ما قبل الدولة ، لتهويد فلسطين ، أصبحت هذه المبادىء قانونا للحياة الاجتماعية فى دولة اسرائيل ومحور ارتكاز لكل السياسة الداخلية لحكومتها وبرلمانها وقواتها المسلحة وحاخاماتها والشبكات الاخرى للنظام الداخلى. وأصبح العربى الفلسطينى غريبا فى وطنه وغير مرغوب فيه سواء من الدوائر الحـاكمة أو من الجمهرة الغالبـة للسكان الواقعة تحت تأثير وجهات النظر « الشوفونية » العنصرية .

وكان جولدين فيرز عالم انتروبولوجيا الامـريكى قد كتب عام ١٩٢٣ يقول أن اليهود فى فلسطين يرددون آراء باطلة ضد الفلسطينيين باعتبارهم كائنـا دنيا . وفى ١٩٦٧ وصف ى. ستويه الصـحفى الامـريكى انتشار

---

(٤) انظر « ربما ركيوس افريكانيس » ٢٤ اغسطس عام ١٩٦٧
(٥) انظر « جون افريك » أول يولية عام ١٩٧٢
(٦) « جون افريك » ٣ مارس عام ١٩٧٠ صـ ٥٩ ـ ٦٠

العنصرية فى اسرائيل كاحد أوجه انفصام الشخصية الاخلاقى ، والصهيونية هى مصدر هذه العدوى ذات الخاصية النازية . واصبحت معاداة العرب المتعصبة المطلقة العنان سكينا ذا حدين كما كان متوقعا وقد أمتد الاحتقار بزنوج اسرائيل الى اليهود ، الذين « لا يشبهون اليهود » . وهؤلاء اليهود فى اسرائيل أكثر من نصف السكان وكلهم من البلاد العربية فى شمال أفريقيا والشرق الاوسط ومن اليهود ذوى البشرة السوداء من الاثيوبيين والهنود والزنوج المهودين وفى امريكا الشمالية وكل هذه المجموعة من اليهود « غير الكاملين » يسمونهم اصطلاحا اليهود الشرقيين أو اليهود الافرو آسيويين مع الخلط فى كثير من الأحيان مع اليهود « الصفرديم » وهم عدد قليل من سلالة أبناء الاندلس الاسلامية الذين دخلوا الدين اليهودى واضطروا الى مغادرتها للنجاة بأنفسهم أثناء محاكمات التفتيش وأنتشروا على شواطىء البحر المتوسط من المغرب حتى تركيا . ويحتل اليهود الافرو آسيويين فى اسرائيل درجات أقل فى السلم الاجتماعى فى المجتمع اليهودى النقى (اما العرب ففى أسفل الدرجات) ان وضع اليهود الشرقيين فى (جنة) صهيون فيتلخص فى أن نصيبهم من الحياة هو العمل السيىء ، والمسكن السيىء ، والمرتب المنخفض والنسبة العالية من العاطلين والنسبة المنخفضة من الحاصلين على التعليم والفرص المغلقة أمامهم للوصول الى المناصب القيادية فى السلم الوظيفى للدولة والاحزاب السياسية والنقابات (والاستثناءات من هذه القاعدة الفردية) وفتح أكثر الامكانيات اتساعا للخدمة فى البوليس والجيش — واليهود الاوربيون والامريكيون أو الاشكنازيم بغض النظر عن كونهم ولدوا هنا فى الارض الفلسطينية مثل موشيه ديان واسحق رابين وايجال آلون أو وصلوا الى هنا من بعيد مثل بن جوريون وليفى أشكول وجولدا مائير رؤساء الوزارات السابقين . وأبا ايبان وكثيرون آخرون ممن تقلدوا السلطة فى الدولة الصهيونية يحظون بجميع الامتيازات ويتولون جميع أمور الدولة . وتعتبر زيادة الخلافات ذات الطابع الاثنولوجى بين اليهود الشرقيين والغربيين فى اسرائيل احد مصادر الازمات السياسية الداخلية التى يبحث الصهيونيون عن مخرج منها فى اشعال الروح الشوفرنية التى تسمى بالقومية الاسرائيلية ، والهدف من الشوفونية مع الاتجاه المعادى للعرب هو تكتيل الامة ، والحفاظ عليها فى حالة استعداد للقتال من أجل الاعمال العدوانية .

اليهودية الصهيونية

لا ترتبط الشفونية الصهيونية بعدم التجانس الاثنولوجى للمجتمع الاسرائيلى فحسب ، بل بالسعى للقضاء على عدم التجانس هذا بمساعدتها .

---

(٧) انظرى . بيرتباوم . « سياسات الحل الوسط والدولة والدين فى اسرائيل » نيويورك ١٩٧٠

كما انه لدى الشوفونية الصهيونية ترجع الى المصـــــادر المختلفة للازمات الداخليـــة وهى الازمات التى تميز تطوير رأس الجسر الصـــهيونى فى الشرق الاوســـط . واليهودية الصهيونية تحتــل مكانة خاصة بين هـــذه المصـــادر . ونحن لم نخطىء الحديث ولم نلحق الا كلمة اليهـــودية بصـــفة الصهيونية . والامر ينحصر فى أن اليهودية ، التى اتخذها الصهاينة سلاحا لهـم تختلف فى الكثير عما آمن به ويؤمن به الكثيرون من أتباع هـــذا الدين .. وجـــوهر اليهودية الصهيونية ينحصر فى التغيير الماهر للاعتقاد فى الاله اليهودى بعقيدة دنيوية مطلقة وهى بناء « اسرائيل الكبرى » . وتعتبر اليهودية الصهيونية انتاجا سياسيا وليست نتاجا دينيا وهدفها اعطاء الشكل الدينى لهذه المؤسسة واجتذاب اليهود المؤمنين ، الذين لا يفهمون كثيـــــرا فى العقائد الجامدة والحاخامات المستفيدين لسبب أو لآخر للتنازل عن هذه العقائد الجامـــدة وتجنيد المؤمنين لخدمة الصهيونيين . ولقد أدى هذا النوع من الاتحاد مـــع الدين الى استعارة الصهيونية من اليهودية طقوس العصور الوسطى والفلسفة الرجعية . ويعتبر اكتساب دولة اسرائيل الملامح المرسومة بوضوح للنظـــام الثيوقراطى نتيجة للمعايشة الصهيونية للسياسة الامبريالية مع الجهل الدينى ويعزو ارفين بيرنباون المؤرخ الامريكى هذا الى تعدد الاحزاب السياسية ، التى تسعى الى الوصول الى السلطة فى اسرائيل . فالحزب الاشتراكى لجولدا مائير ، الذى كان يسمى فيما مضى « بالمابام » وحاليـــا حزب العمـــل فى اسرائيل — الذى يتولى الحكم من الناحية العمليـــة منـــذ أول يوم لتأسيس الدولة الصهيونية — لم يحصل على الاصوات الضرورية فى البـــــرلمان ولذا اضطر أن ينقذ موقفه اكثر من مرة بائتلاف مع الاحزاب الدينية والتى دخل ممثلوها فى جميع التشكيلات الحكومية ، التى وجدت منذ ذلك الحين فى اسرائيل . وكانت « تنـــازلات » هـــذه الاحـــزاب فى المسائل الدينية هى « العنصر » الضرورى لعقد الصفقات مع هذه الاحـــزاب ، واسرائيـــل دولة دنيوية بلا دستور ، ولذلك يطالب الحاخامات بأن يكون القانون الاساسى لهذه الدولة هو التوراة — واسرائيـــل دولة دنيوية تتبع فيهـــا المعابد والمؤسسات الدينية المشابهة الدولة . ويعتبر القائمون بالخدمة فيها موظفين حكوميين ، تدفع أجورهم الخزانة وليس اتباع المعبد . واسرائيل دولة دنيوية ، والوضع الشخصى للمواطن فيها بغض النظر عن كونه مؤمنا أو غير مؤمن « الغالبيـــة الساحقة لسكان اسرائيل ملحدون » ينظمه قانون الحاخامات والمحاكم الدينية مخولة السلطة الى درجة ارسال العصاة الى السجن .

غير أن الامر كما نعتقد انه ليس فى « اللعبة الأئتلافية » فالاحزاب الدينية فى نهاية المطاف ليس لديها عدد كبير من المقاعد فى البرلمان يصبح من المتعذر اغفالها والقضية من الناحية العملية تنحصر فى ان كل المؤسسة الصهيونية

فى الشرق الاوسط تقوم على « أساس قانونى » من التوراة والتلمود ، ورفضه غير ممكن فى بساطة ، لانه حينئذ ، لن يبقى بعد ذلك شيء لدى الصهيونيين فان أيدلوجيتهم الخاصة بالمجال الحيوى « لشعب الله المختار » وكل نظرياتهم حول الامة اليهودية العالمية على « أرض الميعاد » ، وكل سياستهم الشوفونية العنصرية ازاء من يجب انتزاع هذا المجال الحيوى منه وكل دعايتهم « لحب اسرائيل » و « الايمان باسرائيل » الرامية الى ادماج اليهود فى الشتات بالصهيونية — كل هذا يقوم على أساس دينى محرف ومكيف حسب الحاجيات العملية للصهيونية وحسب آلاف الطرق المرئية وغير المرئية فى الشرائع الدينية وتقاليد اليهودية ولا يعتبر اتحاد الاحزاب الدنيوية الصهيونية فى اسرائيل مع الاحزاب الدينية مخرجا لا مفر منه فى اللعبة السياسية ، ولكنه تجسيد منطقى وطبيعى للفكرة الصهيونية فى الاشكال السياسية غير أن التطاول اليومى على الحرية الفردية والنضال ضد الاتجاهات المعارضة حتى فى اليهودية نفسها ، وفرض القوانين العتيقة البالية ، التى تنشر عدم مساواة الاجناس وادخال الدين فى النظام السياسى للدولة وخداع الاطفال فى المدارس بالمواد القومية ، اى بالعقائد الدينية الجامدة والتاريخ « الدينى » وادخال دروس يسوع نافيين وقدسية الطاعة للمجندين فى الجيش . كل هذا لا يمكن الا ان يؤدى أثارة الاحتجاج فى المجتمع الاسرائيلى . ان الشعور بعدم الاحترام نحو مؤسسات اليهودية الصهيونية فى اسرائيل ظاهرة يشير اليها حتى الكتاب المتعاطفون مع الصهيونية ، الذين ذكرنا منهم ارفين بيرن بادن ، الذى اضطر الى الاقرار بأن « المؤسسة » الدينية قد ولدت « أزمة العقيدة والضجر الاجتماعى » فى اسرائيل (٨) ويبحث الصهيونيون عن مخرج من هذا فى الشوفونية والعدوان .

ولكن المرجح أن الأزمات الداخلية الناتجة عن الصراع الطبقى — هى التى تلعب دورا هاما فى هذا المجال .

---

(٨) نفس المرجع صـ ٢٨٠
(٩) « البرافدا » فى ٢٠ يونية عام ١٩٧٢ م

الاشتراكيـــة الصـــهيونية

لقد أصبحت الرأسمالية الخاصة ، منذ زمن ، القانون الاساسي للحياة السياسية لاسرائيل وتسيطر راس المـال الاسرائيلي والاجنبي ـ الامريكي بصفة خاصة على الاقتصاد الاسرائيلي ولا يمكن بحـال من الاحوال اخفاء هذه السيطرة لا سيما أنها تأخذ بالنسبة للعامل شكل الاستغلال الصريح وتخلف الاجـر الدائم عن تكاليف الحيـاة مع وجود أعلى نسبة ضرائب فى العالم ، والبطالة « المقنعة » والبطالة المكشوفة وغيرها من « روائع » نموذج الحياة الرأسمالية العادى . وقد أشار مائير فلز السكرتير العام للحـزب الشيوعى الاسرائيلي قبيـل المؤتمر السابع عشر للحـزب الشيوعى الاسرائيلي الى أن الغلاء فى اسرائيل قد أخذ مقاييس كبيرة . فقد زادت الاسعار فى ١٩٤٩ الى ٤٪ ، وفى عـام ١٩٧٠ الى ١٢٪ ، وفى ١٩٧١ من ٢٠ الى ٢٥٪ ، وخلال الشهور الاخيرة (١٩٧٢ ـ الكاتب) ارتفعت اسعار المواد الغذائيـة بحدة ، وارتفعت بسرعة ايجارات الشقق وأصبح ثقل الضرائب العسكرية غير محتمل ، ونتيجة لذلك انخفضت الى حد كبير الاجـور الحقيقية للعمـال ، وفى نفس الوقت زادت بحدة ارباح الرأسماليين المستفيدين بالحرب .

ويؤكد اسرائيل كاتس مدير المعهـد القومى الاسرائيلي للتأمين الاجتماعى من واقع المعلومات أن الزعم بأن الفقراء فى اسرائيل هم من ليس لديهم عمل فقط هو رأى خاطىء فقـد أعلن فى العـام الماضى فى (أبريل ١٩٧٢) قائلا : « لقد دفعنا معونات اضافية خاصة (بسبب ارتفـاع الاسـعار) لعشرة فـى المائة من القوى العاملة ، أى حوالى ٨٠ ألف عامل أجيـــر تقـــريبا (١٠) و « المعونة الخاصة » هى عبارة عن صدقة لا تكاد تكفى سد الرمق . ويؤكد اسحق بن أهارون السكرتير العام لنقابات العمال الصهيونية الهستدروت « ان الدخول التى يحصل عليها البعض لا عن طريق العمل بل عـن طـريق المضاربة ، أعلى من مثيلاتها التى يحصل عليها الآخرون عن طريق العمل وهذه الدخول تشكل واحدة من اهم المشاكل التى ظهرت فى الاقتصاد المعاصر . هذا هو المجتمع الرأسمالى الجديد ، ونحن الذين بنيناه » (١١) .

ولكن حين بنت الصهيونية هذا المجتمع ، اصطدمت ولا تزال تصطدم بصفة مستمرة مع المصالح الطبقية للكادحين ، الذين تعرضـوا للاستغلال الراسمالى والذين هبوا للنضال ضد المستغلين . ان السخط الشعبى المتزايد لا يمكن أن ينكره أحد حتى أجهزة الصحافة الصهيونية ذاتهـا وهذا السـخط لا ينصب فى حركة الاضرابات التى تتطور رغم حظر الهستدروت والقـوانين

---

(١٠) جيروساليم بوست ٢٦ ابريل عام ١٩٧٢

(١١) نفس المرجع .

المعادية للعمال ، التى أقرت بعلم رؤساء النقابات ، الذين يتحركون فى آن واحد مع سادتهم والشوفونية هى الوسيلة الوحيدة التى يستخدمها الصهيونيون فى مواجهة نمو الوعى الطبقى للعمال والموظفين .

ان التناقضات القائمة على أساس جنسي وديني وسياسي وطبقي والتى تمزق المجتمع الاسرائيلى تساعد على « تسرب » وهجرة من أصابتهم خيبة الامل وتختصر عدد الذين يرغبون العيش فى « جنة » الصهيونية ان سعى الصهيونيين الى مضاعفة سيل المهاجرين بكل وسيلة أمر مفهوم تماما : فهم محتاجون الى أيد عاملة لاستيعاب الاراضى المستولى عليها ومحتاجون لجنود لحماية الغزوات والعمليات العدوانية الجديدة ، ويحتاجون الى النقود التى يبتزها الصهيونيون من الشتات بحجة المساعدة فى اسكان القادمين الجدد (وفقا لآخر المعلومات . جمعت المنظمات اليهودية الامريكية حتى نهاية ١٩٧٣ فى « صندوق الاعاشة » حوالى مليار دولار لاسرائيل) . غير أن سياسة الهجرة التى تتبعها تل أبيب تصطدم بمقاومة السكان الذين يستقبلون موجات الهجرة الجديدة بعداء متزايد ذلك لان المهاجرين الجدد لا يعتبرون بالنسبة للسكان القدامى اكثر من مصدر اضافى للمصاعب الداخلية والمشاكل بالنسبة للاسكان والعمل والمدارس الخ ..

ان المشاكل الحيوية للاسرائيلى البسيط تتعقد لعدم وجود قاعدة اقتصادية صحيحة وقوية لدى هذا المجتمع ، الذى يعيش فيه ويعتبر المجتمع الصهيونى والدولة الصهيونية ظاهرة فريدة من وجهة النظر الاقتصادية . فهما لا يملكان القدرة الذاتية على الحياة ويوجدان فى حالة تبعية شديدة للدعم الخارجي ــ المعونة الاقتصادية للولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية و «الضرائب» التى تجمع لصالح اسرائيل بواسطة المنظمات الصهيونية من اليهود فى كل مكان وحيث أمكن ، والاموال التى تجمع من بيع « سندات اسرائيل » وما شابه ذلك . وفقا لشهادة بنحاس سابير الوزير السابق زاد الدين الخارجى لاسرائيل عام ١٩٧٢ الى ٢ر٤ مليار دولار ، وتضاعف العجز فى التجارة الخارجية من ١٩٦٧ الى ١٩٧٢ حيث بلغ ٧.٥ ملايين دولار مقابل ٢٨٥ مليونا . وفضلا عن استيراد الاسلحة التى ضاعفت العجز الحقيقى ثلاث مرات ــ وكما أعلن اقراهام أجمان المدير العام لوزارة المالية الاسرائيلية يبلغ متوسط سرعة التضخم فى العام ١٢ ٪ وان كمية النقود الورقية تتزايد فى التداول بسرعة أكبر من الدخل القومى . وأن الجنيه الاسرائيلى يسير من تخفيض ويهبط سعره استمرار (١٢) .

---

(١٢) انظر « جيروساليم بوست » ١٨ ، ٢٣ فبراير عام ١٩٧٢ ، ١١ ، ١٧ ابريل عام ١٩٧٢ ، ٣ مايو عام ١٩٧٢ ، ١٦ يولية عام ١٩٧٢ . وحول الموضوع نفسه انظر ميدل ايست ايكونوميك ويجبيت ٣١ ديسمبر عام ١٩٧١

ويؤكد مارك خاليلى الصحفى الشهير أن « اسرائيل تستهلك اكثر بأربع مرات » مما تنتج .. وانها اذا كانت حتى الآن لم تفلس ، فهذا فقط بفضل الحقن المالية المستمرة من الخارج ، والتى تحفظ الحياة فى جسمها الاقتصادى النحيل . وضرورة الحقن هذه تتطلبها بدرجة كبيرة النفقات العسكرية الضخمة للدولة الصهيونية المعتدية ، ونفس هذه الحقن تقوم بدورها . أولا من أجل تأييد الامكانيات العدوانية لاسرائيل ، والتى لو فقدتها اسرائيل لفقدت الجوهر ، الذى يجذب اليها حماتها الامبرياليين .

الصهيونيون يخافون السلام

لقد استعرنا تعبير مارك خليلى الذى ذكرناه آنفا من كتابه « اسرائيل تحت تهديد السلام » الذى صدر فى باريس فى ١٩٦٨ . وعنوان الكتاب يعكس الوضع الحقيقى للاشياء ، الذى برز بشكل كامل وكاف وواضح فى تصريح بن جوريون المستهتر « ان أكبر خازوق يمكن أن يدقه لنا العرب هو عقد سلام معهم » (١٣) . وكان بن جوريون يدرك تماما ما يقوله ، فهو الذى رفض عام ١٩٤٨ اقتراح ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى بتأجيل اعلان دولة اسرائيل لعدة أسابيع ، لعقد لقاء بين القادة الصهيونيين وممثلى الدول العربية بمبادرة من الدبلوماسيين المصريين فى واشنطن وفى بعض العواصم الاوروبية ، كان من الممكن أن تزيد فرص منع الحرب العربية الاسرائيلية الاولى . ولقد تحدث ناحوم جولدمان عن هذه الامكانية فى « سيرته الذاتية » وعاد من جديد الى هذا الموضوع فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى القدس فى ٩ ابريل ١٩٧٢ .

حيث عرض بالتفصيل احاديثه مع بن جوريون منذ ربع قرن مضى تقريبا وكان قد رفض آنذاك فكرة السلام مع العرب مقدما مبدأه المضاد عن « القبضة الحديدية » .

ان شعب اسرائيل مثله مثل اى شعب آخر مهتم بشدة بالسلام . وهذا الاهتمام يحمل طابعا موضوعيا . ولكن طالما لم يحصل هذا الاهتمام على قوة الضرورة الواعية ، وطالما لم ينتشر هذا الوعى انتشارا حقيقيا واسعا وسط الجماهير يمكن للصهيونيين الا يخافوا على مؤخرتهم انهم يستطيعون مواصلة رفض اقرار السلام العادل الوطيد ، الذى يهددهم — يهدد الشعب فقط وليس القيادة الصهيونية — بمتاعب جادة كثيرة ، لان هذا السلام يضع فى دائرة الشك كل معنى وجود الصهيونية واستقرارها نفسه فى الشرق الاوسط كما يثير الشك فى قيمتها فى أعين الامبريالية .

---

(١٣) « الفيجارو » ٢٠ فبراير عام ١٩٧٠ .

الا يساوى السلام على حدود اسرائيل التضحية بالاموال الامبريالية ، التى يعيش بهـا الاسرائيلى البسيط عيشة ليست أفضل من عيشة بدونها ، وهو مطالب من أجلها أن يدفع دمه ودم الآخرين والقيم المعنـوية ودخـول عمـله التى تصب فى ميزانيـة العـدوان ، هـذا ما يتساءل به المفـكرون الاسرائيليون الواعـون والجـدير بالذكر أن عددهم يزداد أكثر فأكثر : ويتردد صدى الروح المعادية للحرب أكثر فأكثر وقد أصبحت أكثر قوة ، وهذا ما يثير فزع القادة الصهيونيين ، الذين يملكون كل المقـومات لافتراض أن الاســاس المزعزع للحصن الامبريالى ، الذى بنى لهم فى الشرق الاوسط سيهدم ان آجلا أو عاجلا وهم يعملون كل ما فى وسعهم لكى يؤجلوا فشلهم الحتمى . لذلك يتحتم عليهم أن يتخذوا الاجراءات لتهدئة وتسوية وتحييد الخلافات الداخلية بطريقة ما ، تلك الخلافات السائدة فى المجتمع الصهيونى على الطبيعة ولذلك لا يوجد بها حل حتى الآن ، ما دامت تنبع من أســاس صهيونى . والوسيلة الوحيدة للتغلب على الازمات الداخلية ، التى يضعها الصهيونيون فى أعتبارهم والتى يهرعون اليها كل يوم وكل ساعة ، هى بعث وتشجيع حالة الكراهية العنصرية لدى السكان اليهود فى اسرائيل نحو الجيران العرب ، واخافتهم من « التهديد العربى الابدى » والنتيجة المباشرة لاستخدام هذه الوسيلة التى تساعد على الايحاء بما يمكن تسميته بعقدة « ساكن القلعة المحاصرة » هو الهستيريا السوفيتية التى تسيطر على طبقات عريضة من الاسرائيليين ، الذين يفترضون جديا أنه ليس لديهم اختيـار آخـر سوى الحرب الأبدية مع العرب من أجل حياتهم الخاصـــة ، أنه « يحق » لهم اللجوء الى أية وسائل من أجل تنفيذ « رسالتهم الالهية » .

وتؤكد الحقائق أن النواح الصهيونى حـول حظـر « أبادة السكان اليهود » لاسرائيل لا يساوى شيئا . فحتى الآن لم يهدد العرب اسرائيل ، بل أن اسرائيل لم تترك العرب فى راحة من أفعالها العدوانية . فلم يطرد العرب اليهـود من أرضهم ، ولـكن اليهود هم الذين سلبوا شعبا عربيـا كاملا وطنه الذى عاش فيه قرونا .

والكذب الاسرائيلى ، الذى تركز عليه كل نظرية « بقاء » و « أمن » الأمة الاسرائيلية ، بالغ البشاعة والسخف لدرجـــة أن بعض السياســيين الاسرائيليين ، الذين لا يعادون الصهيونية ، ولكن يقفون ضـد التوســع ، يصفون الفكرة المفتراة وهى أن الشعب الاسرائيلى مقدر له القتال لـكى يعيش يصفونها بأنهـا خدعة ، هدفها تبرير التوسع . ولقـد اخـذ كـل من جولدا مائير وأبا ايبان ووزير الدولة واسرائيل جاليلى العضـــو الدائم فى

---

(١٤) انظرن « جولدمان » مذكرات حياته . باريس . ١٩٧١ صـ ٣٥٣
(١٥) انظر « جيروساليم بوست » ١٠ ابريل صـ ١٩٧٢

(مطبخ (x) جولدا مائير) والمسئول بالاشـــتراك مع وزير الحـربية عـن « الأمن الخارجى » للدولة الصهيونية – يردد رغم الحقائق – أن اسرائيل لم تحارب الدول العربية الا أن وجودها كان « مهددا » (١٦) ويعتبر المبدأ الصهيونى القائل بأن الجغرافيا تلعب دورا حاسما فى الحرب المعاصرة وأن خطوط وقف النـار ، التى تحـدد الفـزوات الاقليميـة لاسرائيـل ، يمكن أن تضمن فى الواقع أمنها – خدعة كذلك ، يؤكدون عليها لتحقيق أهـدافهم التوسعية .

لقد أوضح تجدد انفجار الازمة عسكريا فى أكتوبر ١٩٧٣ مرة أخـرى بطلان نظريات الأمن القائمة على مبدأ جغرافى ، اى مبدأ التوسع الاقليمى .

ونظرية البقـاء ، التى يبشر بهـا الصهيونيون تثير الروح التوسعية العدوانية الشوفونية فى المجتمع الاسرائيلى المبنى على التضامن المصطنع للامة على أساس غير صحى وتعمـل على تدعيم السيطرة الصهيونية على السكان الاسرائيليين وهذه النظـرية ضرورية للصهيونيين لجـذب يهـود الشتات الى اسرائيل ومواصلة ابتزاز الدولارات والجنيهـــات من الشتات لدعم مؤسستهم فى الشرق الاوسط وتأييد استفزازاتهم الدولية ..

وقد اعترف شاؤول فريد لندر الاستاذ الاسرائيلى واحـــد مفكرى الصهيونية ، بصراحة ، بأن الحفاظ على موقف الصدام (ونظـرية البقـاء تسعى الى هذا الهدف بشكل خاص) ، يناسب التكامل الاجتماعى للجماعات مختلفة الصفات ، التى تشكل الدولة اليهودية وأن الصدام يدعم أيضـا الاواحد بين اسرائيل ويهود الشتات . وفى الوقت الذى يقدم فيه ميزات عدم تسوية مشكلة الشرق الاوسط بالنسبة للمؤسسة الصهيونية – وتعتبر هذه الميزات عقبات (ثانوية) نحو السلام ، نراه يفترض – ان هذه الميـزات تجعل ضرورة السلام اقل « الحـاحا » (١٧) بالنسبة للاسرائيلى العـادى (قل الصهيونى) ، كما تتضمن نظرية (البقاء) وكما يقولون – جانبـا غيـر صهيونى . فليست هذه النظـرية موجهـة للاسرائيلى – ويهـود الشتات فقط ، بل الى الرأى العام العالمى ، حيث تلعب فى هذه الحـالة دور تبرير السياسة العدوانية للحكام الاسرائيليين ، بهدف تجنب الاستنكار ، وعدم الوقوع فى العزلة العالمية ، التى تهـدد المعتـدى بشكل حقيقى . وتستخدم الحجة الزائفة حول الضرورة الجبرية ، التى تقدمها هذه النظرية ، لتأجيل الحق فى اللجوء الى الحرب الوقائية .

(*) هكذا يدعون فى اسرائيل جماعة الوزراء والمقربين الى جولدا مائيـر ، والتى تجلس معها فى المطبخ اشارة الى الثقة الخاصة .

(١٦) انظر « الموند » ٣ ، ٦ يونية عام ١٩٧٢

(١٧) انظر « انعكاسات حول مستقبل اسرائيل » بقلم اس. فريد لاندلر ١٩٦٩ ص ٦٠

وتحير الثرثرة حول النضال من أجل « البقاء » ضد التهديد المختلق لأبادة اليهود الاسرائيليين على أيدى العرب تحير القارىء غير المطلع ، الذى لديه كل الحق فى التساؤل : من اين ينبع هـذا التهـديد ؟ ومـاذا يريـد الاسرائيليون فى الحقيقة ؟ واذا كان العـدو رقم واحـد كمـا صوره دائمـا الصـهيونيون اذا كان هـذا العـدو هو مصر ؟ لقـد أعلنت أكثر من مـرة استعدادها للاعتراف بأسرائيـل وضمان عدم خرق حدودها الشرعيـة الى جانب حرية الملاحة فى قناة السويس ومضايق تيران ـ أى خـلال اراضيها ومياهها الاقليمية ، مقدمة فى ذلك ـ فى واقع الأمر ـ شرطا وحيـدا هـو رفض اسرائيل للتوسع والتخلى عن السياسة التوسعية على حساب الجيران واحترام المصالح المشروعة والحقوق الوطنية للشعوب المحيطة بها ، ومن بينهـا الشعب العربى الفلسطينى الذى عانى كثيرا من السياسة التوسعية الاسرائيلية . ويجيب موشيه منوخين اليهودى الامريكى المعـادى للصهيونية على هذا السؤال ، بقوله : « يستخدم القناع الذارف للدموع ، الذى تهرع اليه الأجهزة الدعائية الصهيونية لاسرائيل بكل قواها ـ يستخدم بكل وضوح وسوء نية لاخفاء تمويه الحيلة الصهيونية حول ما يسمى بالحدود الآمنة . ويسعى الصهيونيون الى التستر على الفكرة القديمة لامبراطورية اسرائيل الكبرى « التى لم يتخلوا عنها فى وقت من الاوقات أبدا والتى لم ترفضـها القيادة الصهيونية أبتداء من هرتزل الى بن جوريون وجولدا مائير وآبا ايبان وجميع التوسعيين العسكريين للوطن اليهودى (١٨) . وقد أحسن السناتور فولبرايت القول حينما أوضح فى ندائه الى مجلس الشيوخ للولايات المتحدة الامريكية عما تعنيه (الحدود الآمنة) للدولة الصـهيونية بقوله « يبدأ المـرء فى فهم سيكولوجية المناصرين لمناطق النفوذ ، هذه السيكولوجية التى تقنع الشـعب بأن يؤمن بأنه فاقـد للامـن حتى يسلب جـيرانه كل مظـاهر الامن » (١٩) .

وفى الحقيقة ، المدرسة والحاخامية والبيروقراطيـة المدنيـة والجيش والصحافة والاذاعة والادب والفن ـ كل شىء فى اسرائيـل يخدم هدف تربية السكان فى روح الصهيونية والمواطن الاسرائيلى الذى ربى فى روح القوانين الصهيونية ويعتبر كل الاعمال ، التى تعترف باسمه ازاء غير اليهود طبيعية وظاهرة شرعية « للعمل الالهى » و « الروح القومية » التى تتخلل الخير الالهى « ويمثل هذا المواطن بالنسبة للصهيونية » ، عنصرا بشريا » مطيعا لارادتها ، وهو العنصر الضرورى لمواصلة تحقيق مخططاتها .

---

(١٨) انظر « منوخين » المصدر السابق .
(١٩) العالم العربى اغسطس ـ سبتمبر عام ١٩٧١ صـ ٤

الدولة كلهـــا حاميـــة عسكرية

كمـا يشير ف. سجرى عالم الاجتمـاع الصـهيونى ، اثبت الجيش الاسرائيلى وجوده ، لا كعامل عسكرى فعـا لفحسب ، بل كعـامل سياسى واجتماعى كذلك يدعم النظام الاجتماعى الصهيونى فى اسرائيل (٢٠) ، غير أن وجود الجيش ينحصر فى هـــذا الدعم فقط . فانه يدعمه كى يستطيع هو الوجود والقيام بوظائفه معتمدا على هذا النظام ومستخدما اياه كمصدر للتغذية . وتتخلل عملية التدعيم الحياة الاسرائيلية العسكرية والاقتصادية والروحية ، وتبدو الدولة فى قبضة مؤسسة عسكرية ، يذهب معظم ميزانية الدولة فى الحفاظ عليهـا . ومن أجلهـا تغرق الدولة اكثر فأكثر فى الديون للدائنين من وراء البحـــار ، ومن أجلها كذلك يعتصر عرض الـكادحين . وما من شيء يزداد فى اسرائيل بنسبة زيادة الضرائب والنفقات العسكرية ، كما لا يوجد ما يحظى بالاهتمام مثلما يحظى الجيش والصناعة العسكرية ، فقد كان من المقرر فى العام المالى ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ ، أن تصل حصيلة ميزانية الدولة من الضرائب وغيرها من المدفوعات الاجبارية الى ٩٨٥٠ مليون جنيه اسرائيلى بالمقارنة مع ٨٨٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى العام السابق (٢١) . وتبلغ النفقات العسكرية الفعلية مبلغا قياسيا هو ٧٣٥٠ مليـون جنيـــه اسرائيلى (٢٢) وفى العـــام المالى ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ أعلن ايشاهو لافى المدير العام لوزارة الدفاع الاسرائيلى فى مايو ١٩٧٢ « ان القوة العسكرية الاسرائيلية ستنمو بمعدلات لم يسبق لها مثيل » سواء عن طريق المشتريات الجـديدة للسلاح من الخارج بالدين وبشكل رئيسى من الولايات المتحـدة الامريكيـة أم بدفع عجلة الصناعة العسكرية الخاصة ، التى يرتفع ثقلها بمـا قيمتـه ٣٠٠ مليـون جنيه اسرائيلى فى المتوسط كل عام (٢٣) ، أما بنحـاس سابير وزير المالية السابق فقد أسعد دافعى الضرائب الاسرائيليين بتحـذيره من أن احـلال السلام لن يؤدى الى انكماش النفقـــات العسكرية الاسرائيليـــة ،

---

(٢٠) انظر « سبرج » المصدر السابق ص ١٧٥

(٢١) انظر « باركلايز انترناشينونال ريفيو » ابريل عام ١٩٧٢ ص ٢٨

(٢٢) انظر « جيروساليم بوست » ٢٣ فبراير ١٩٧٢ .

(٢٣) انظر « جيروساليم بوست » ٥ مايو ١٩٧٢

التى ستنفق فى السنوات الست القادمة على الاحتياجات العسكرية المباشرة ٤٠ مليار جنيه اسرائيلى مقابل ٢٥ مليار أنفقت فى الست السنوات الأخيرة (٢٤) .

يقول بول جينقسكى الصهيونى العسكرى أن جميع الاغانى تقريبا تولد فى الجيش (٢٥) . أن الجيش الاسرائيلى لا يملك نقودا خاصة وهو مثله مثل كل الدولة الصهيونية يعيش على حساب الغير وفى أحسن الاحوال على الديون ولكنه ـ على أية حال هو الذى يطلب عزف الموسيقى . فممثلوه من الجنرالات والكولونيلات يؤثرون فى الاحزاب السياسيةالصهيونية ويحتلون المناصب القيادية فى الحكومة وفى المجالس الادارية للشركات الاسرائيلية ويقودون التعليم الوطنى ولديهم رجالهم فى الهيئات العليا للحاخامية ويحددون اتجاه نشاط الهيئات الدعائية ويتتبعون اتجاه مواطنيهم بمساعدة أحدث وسائل التصنت والتخويف وتعتبر المؤسسة العسكرية الصناعية الاسرائيلية ـ وسيلة للعدوان الامبريالى وباعثة الروح العدوانية التى تعطى للدولة الصهيونية وزنا حقيقيا فى أعين حماتها . أن العدوانية تسمح لهذه الدولة بالخروج من الازمات الداخلية الخاصة ، التى تولدها طبيعتها الامبريالية الصهيونية والنابعة من هذه الطبيعة مع تطورها السياسى والاجتماعى غير الصحى والمضاد للطبيعة وهو التطور الذى يعتبر العدوان المستمر واحدا من مكوناته الاساسية . ومن هنا هذه الحلقة المغلقة المشوبة بالكوارث التى يعيش فيها هذا الشعب . وهناك طريق واحد للخروج من هذه الحلقة الا وهو رفض العنصرية والشوفونية والتوسع وسياسة الضم والروح العسكرية والعدوانية والانتقال الى طريق الشرعية والديمقراطية والاممية سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية .

وتعبير آخر ، ينحصر الخروج من هذه الحلقة المغلقة التى دفع اليها الحكام الصهيونيون دولة اسرائيل فى عدم « صهينة » هذه الدولة وعدم صهينة تركيبها السياسى وأسسها الايدلوجية ويتخذ الشعب الاسرائيلى وممثلوه من بعيدى النظر بشكل خاص والشرفاء المفكرون بعقل مفتوح هذا النهج حيث يدركون جيدا وبوضوح كل ما يخدم . كانت فى الحقيقة وبطريقة

---

(٢٤) انظر « جيروساليم بوست » ٢٨ يولية ١٩٧٢

(٢٥) انظر « نظره عسكرية عامة » العدد ، العام ١٩٧١ صـ ١٦٩

صحيحة المصالح الحقيقية للشعب الذى ينتمون اليه ، وهو الشعب الذى يحبـونه حب الابنـاء الابرار ويناضـلون من أجله فى بسـالة ضـد المفـدين الصهيونيين ، الذين يجرون هـذا الشعبالى مهاوى الجـريمة والقصاص الحتمى لهـا .

ولكن ما دامت الجمهرة الاساسية من الاسرائيليين تواصل وجودها تحت التأثير المخدر للخداع الصهيونى ، فان الخيـار السلمى لتطـور دولة اسرائيل والذى يرتبط ارتباطا وثيقا ـ بتسوية أزمة الشرق الاوسط على أساس عادل ـ يبقى غير واقعى . وتتشابك الدوائر المفـرغة للمؤسسـه الصهيونية وتتراكم الواحـدة تلو الاخـرى ، مؤكدة طبيعـة دولة اسرائيـل الاجرامية باعتبارها المصدر الرئيسى للتـوتر فى الشرق الاوسط فضـلا عن تهديدها الخطير للسلام فى العالم أجمع .

الباب الثالث

الشعب العـــربى الفلسطينى

ورد الفعـــل العـــامل الفلسطينى

يعتبر العامل الفلسطينى ونضال الشعب الفلسطينى من أجـل حقـه فى الحياة كوحدة واحدة قوميـــة على ترابه الوطنى الخـاص وفى الاشكال السياسية التى يختارها عن طريق ارادته الحـــرة من أهم مكونات الموقف المعاصر فى الشرق الاوسط واحدى نتائج الافعال الصهيونية وبتعبير آخـر ـ هذا النضال نضال من أجل حقه الثابت فى تقرير المصير ، وهو الحق الذى يرفضه اللصـــوص الصهيونيون الذين اغتصبوا كل القيم الوطنية لهـــذا الشعب ـ ابتداء من أرضه الوطنية حتى المنقولات الثابتة وغير الثابتـة ، هذا بينما اعترفت الامم المتحدة بهذا الحق منذ ١٩٤٧ ، حينمـا اتخـذت قرارا بتقسيم فلسطين الى دولة عربية ودولة يهودية ، وحينمـا رسمت حدود ضمان التطور الدستورى الذاتى فيما بعد ، الذى استحقه الشعب العربى الفلسطينى على قدم المساواة مع الشعب الاسرائيلى حديث التكوين . وقد تأكد هـذا الحق من جـــديد بقرار الجمعية العامة للامم المتحـــدة فى ٦ ديسمبر ١٩٧١ ، الذى ينص بصورة مباشرة على « أن الشعب الفلسطينى يملك الحق فى التمتع بالمساواة وتقرير المصير » وان الاحترام الكامل لحقوقه الثابتة ، هو الاساس الضرورى لاقرار السلام العـــادل المتـين فى الشرق الاوسط (١) .

ومن هذه الضرورة تنطلق الحركة العمالية والشيوعية العالمية المتضمنة مع موقف الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، الذى يعترف بالحقوق الوطنيـــة للشعب العربى الفلسطينى . وهذا ما نصت عليه بوضوح لا يقبـــل الشك الوثيقة الختامية لمؤتمر موسكو عام ١٩٦٩ (٢) .

وتقف جميع القوى التقدميـــة لثورة التحرر الوطنى ـ التى تحولت الى ما يسمى بالعالم الثالث والرأى العام الديمقراطى فى الدول الرأسمالية ـ

---

(١) انظر وثيقة هيئة الامم المتحدة رقم ١٧٩٢ ـ د فى ٦ ديسمبر عام ١٩٧١

(٢) انظر « المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية » ، وثائق ومواد موســـكو ٥ـ١٧ يونية ١٩٦٩ . موسكو عام ١٩٦٩ صـ ٢٩٠

بحزم مواقف التأييد للحقوق الوطنية الشرعية للشعب العربى الفلسطينى . ويتعاطف أشقاء الشعب الفلسطينى فى جميع أنحاء العالم العربى بملايينه العديدة معه لكل عمق ، والجدير بالذكر ان هذا التعاطف ليس من جانب الطليعة ، أو بعض طبقات السكان وحدها ، ولكنه الشعور الذى يتملك الجماهير الشعبية الواسعة نفسها . كما ويشق الطريق فى اسرائيل الصهيونية ادراك ضرورة الاعتراف بالفلسطينيين كوحدة قومية بكل الآثار النابعة من هذا الاعتراف وتجدر الاشارة الى أن هذا الادراك والتعاطف يتعدى حدود دائرة الاشخاص ، المتعاطفين مع الحزب الشيوعى .

ولم يتوقف الاتحاد السوفيتى ، الذى يؤثر فى هذه القضية على موقف القيادة الامريكية ، عن المطالبة بضمان الحقوق الوطنية المشروعة ومصالح الشعب العربى الفلسطينى وينظر الاتحاد السوفيتى أنطلاقا من وفائه لواجبه الاممى الى حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها جزءا من حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية ويبنى علاقته معها كما يقتضى الامر .

وتتخذ الدول الاشتراكية الاخرى والعديد من بلدان العالم الثالث مواقف مشابهة . وتنادى فرنسا بتلبية الامانى القومية للشعب العربى الفلسطينى ، ويزداد ميل دول الغرب الاخرى نحو هذا الاتجاه . بل قد انعكس فهم ضرورة وضع العامل الفلسطينى موضع الاعتبار فى الخطاب الذى ألقاه نيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية فى ٣ مارس ١٩٧١ . حين قال : « ان السلام الوطيد غير ممكن فى الشرق الاوسط دون النظر بعين الاعتبار الى الامانى المشروعة للشعب الفلسطينى . لقد استحق الفلسطينيون الشفقة وكانوا ضحايا للظروف لأكثر من عشرين عاما ، ويجب على العالم أن يضمن الحياة المثمرة لهم ولأطفالهم والارضاء العادل لمطالبهم » (٣) . كما تحدث كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية فى نوفمبر ١٩٧٣ عن ضرورة اعادة النظر فى المسألة الفلسطينية فى اطار التسوية الشاملة . وأشار البيان السوفيتى الامريكى المشترك حول نتائج زيارة ل.ى. بريجنيف للولايات المتحدة الامريكية بصورة مباشرة الى ضرورة تلبية الحقوق المشروعة للشعب العربى الفلسطينى . كما أثيرت مسألة اشتراك الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف .

ورغم الخسائر التى تحملتها حركة المقاومة الفلسطينية ورغم الصعوبات الجادة ، التى خلقتها القوى الخارجية لها ، ورغم أوجه النقص الداخلية الخاصة بها وأوجه الضعف ، بقيت عاملا مستمرا ، للموقف فى الشرق الاوسط . أن أساس حركة المقاومة الفلسطينية طبيعى وشعبى حقيقى . وتشهد الضربات التى كالها الصهيونيون لهذه الحركة نفسها

---

(٣) « لوموند ديبلوماتيك » يونية عام ١٩٧١

بالاشتراك مع شركائهم من المعسكر الامبريالي الرجعي بقصد أو بغير قصد .
بقيمة هـذا العامل وقدرته على الحياة . فقـد هـاجم الجيش الاسرائيلي في فترة ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ وحدها قواعد الفدائيين الفلسطينيين في لبنان ٣٢ مرة . كما هرع البـوليس السري الاسرائيلي الى القبض الجمـاعي على العرب في الجليل (٤) . وأرسلت القوات المسلحة الاسرائيلية من جديد في مارس ويونيه وسبتمبر وأكتوبر ١٩٧٢ الى جنـوب لبنـان للعمـل ضـد الفلسطينيين وفي يوليو ١٩٧٢ قتل الارهابيون الاسرائيليون في بيروت جمال كنفاني أحد قادة حركة المقاومة الفلسطينية ورئيس تحرير مجلة الهـدف الاسبوعية الناطقة باسم احدى المنظمات الفلسطينية كمـا نظمت المؤسسـة العسكرية الاسرائيلية في ابريل سنة ١٩٧٣ هجوم قرصـنة على بيروت . كانت نتيجـة مقتـل ممثلين مرموقين لقيـادة حـركة المقـاومة الفلسطينية هم : يوسف النجار وكمـال ناصر عـدوان . ولا تنقطـع الهجمـات المسـلحة الاسرائيلية على معسكرات الفلسطينيين .

الاساس الشعبي للمقـاومة

كتب ف . ا . لينين يقول أن كل قهـر قومي يستدعي المقـاومة في جماهير الشعب الواسعة والثورة الشعبية هي اتجاه كل مقـاومة للسكان المقهورين قوميـا (٥) .

وتعتمـد الدولة الصهيونية ، التي ظهـرت على الأرض الفلسطينية على واحـد من أسوأ الاشـكال الممكنة للقهـر القـومي : فهي لا تعـرض السكان العـرب الاصليين الفلسطينيين للتمييز العنصري والشـوفوني فحسب ، بل تسعى الى ابادة هؤلاء السكان كوحدة قومية .

ولا يزال شعب فلسطين لا يملك حتى الان امكانيـات التعبـير عن ارادته الحرة الجماهيرية . فان « خبرة » الفلسطينيين ، الموجودين تحت ظروف الاحتـلال الاسرائيلي لا يملكون الحـق في أن يلعبـوا دور المعبرين عن مصالح شعبهم . ذلك لأنهم أما ملاك الأرض ويشكلون ١٠٪ من السكان ، ويدلون بأصواتهم تحت الضغط المباشر لسلطات الاحتلال ، وأما من المتعاونين مع العدو ، والمتعلقين بأذيال المحتلين . وعلى هذا ترى الدول العربية انه لا يوجد صوت سوى صوت منظمة التحرير الفلسطينية التي تمثـل غالبيـة حركة المقاومة الفلسطينية لشعب فلسطين . وهـذا ما أخـذه في أعتبـاره مؤتمر القمة العربي عام ١٩٧٣ ، حينما اتخذ قراره التاريخي بأن منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمات الفلسطينية المتعاونة معهـا . هي الممثـل الوحيد للشعب العربي الفلسطيني في الساحة الدولية .

---

(٤) انظر « جون افريك » ، ١٨ مارس عام ١٩٧٢ ، البرافدا ٢٢ ــ ٢٥ يونية عام ١٩٧٢
(٥) ف. لينين ، مجموعة المؤلفات الكاملة المجلد ٣٠ صـ ١١٣

وحين نملك أهمية العامل الفلسطيني في الموقف في الشرق الاوسط وتطور القوى التي تكونه يجب أن نتجه الى العناصر المرتبطة بنشاط المنظمات الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية . ولننظر قبل كل شيء في ماهية الشعب الفلسطيني . ففي بداية الصدام العسكري الاول بين البلاد العربية واسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، اي قبيل بداية الحرب الفلسطينية كان يعيش في فلسطين ٦٠٨ الف يهودي ومليون عربي و ٣٢٧ الف عربي . وكما هو معروف ، تقرر في قرار الجمعية العامة رقم ١٨٧ / ١١ الصادر في ٢٩ نوفمبر ٤٧ أن يعيش في الدولة العربية ١٠ آلاف يهودي و ٧٢٥ ألف عربي ، وفي الدولة اليهودية ٤٩٨ الف يهودي و ٤٩٧ الف عربي . اما في المنطقة المحايدة ، ومدينة القدس فكان يجب أن يعيش ١٠٠ ألف يهودي و ١٠٥ آلاف عربي .

غير أن مشكلة اللاجئين ظهرت قبل الحرب الفلسطينية فقد نجا قبيل ١٥ مايو ١٩٤٨ ، ٢٥٠ الف عربي من المذابح التي قامت بها منظمة « ارجون رفاي لومي » اليهودية الارهابية ومجموعة شتيرن ، حيث كان هدفهما نقل كل فلسطين الى ايدي اليهود . وكما هو معروف ، ونتيجة لحرب فلسطين ، احتلت القوات الاسرائيلية اكثر من نصف مساحة الدول العربية في فلسطين ٦ر٧ ألف كيلومتر مربع ، المقررة في قرار الامم المتحدة . وغادر كثير من العرب نتيجة للعمليات العسكرية اراضيهم وهربوا الى البلاد المجاورة وخاصة الاردن . وقد استمر العرب في الهرب من اسرائيل حتى بعد انتهاء الحرب الفلسطينية ولقد بلغ عدد اللاجئين — وفقا لبيانات وكالة الامم المتحدة (×) لغوث اللاجئين مليونا و ٣٤٤ الفا و ٥٧٦ لاجئا في ١٣ مايو ١٩٦٧ ونتيجة لحرب الايام الستة ، احتلت اسرائيل ما يزيد على ٦٠ الف كيلو متر من أراضي ثلاث دول عربية ، أي ما يبلغ أربع مرات ، حجم الدولة اليهودية المنشأة بقرار من الامم المتحدة وثلاثة اضعاف مساحة اسرائيل بحدود ٤٩ وتشير تقديرات وكالة غوث اللاجئين الى ان ما يزيد على ٣٥٠ الف لاجيء كانوا ضحية لعدوان ١٩٦٧ ، غير أنه وبجانب هؤلاء انتقل اللاجئون السياسيون ممن اشتركوا في احداث ١٩٤٨ الى الدول العربية الاخرى ، ويبلغ عدد هؤلاء اللاجئين وفقا لبيانات وكالة غوث اللاجئين حوالي ١٧٥ ألف لاجيء .

(*) : ويعني بها مهزلة « الانتخابات » البلدية » في الضفة الغربية لنهر الاردن التي اجرتها سلطات الاحتلال في ٢١ مارس و ٢ مايو ١٩٧٢ بهدف تبرير سياسة التكامل للاراضي العربية مع اسرائيل وغرس التعاون مع العدو وتخريب مواقف حركة المقاومة الفلسطينية .

(٦) انظر « الموند » ٢٣ ، ٣٠ مارس عام ١٩٧٢ ، « لوموند ديبلوماتيك » أبريل عام ١٩٧٢ « البرافدا » ١١ مايو عام ١٩٧٢

وقد تعقد بشكل كبير موقف الفلسطينين بعد انشاء الدولة الصهيونية فقد اصبحوا منفصلين عن أراضيهم ، موزعين بين مختلف البلاد ، وتفصلهم خطوط وقف النار والحدود الدولية بعضهم عن بعض كما يقسمهم التنافس الشخصى للقادة السياسيين والخلافات العقائدية ، ولكنهم يجمعهم شيء واحد ، يجمع غالبيتهم الساحقة . هو انهم لايزالون يعتبرون انفسهم فلسطينيين أرغموا بشكل مؤقت فقط على مغادرة ديارهم . ان حالة الانتظار وعدم استقرار (الوضع الراهن) واضحة بين اللاجئين من صغيرهم حتى كبيرهم — (٨) هذا ما أكده دون بيرتس الباحث الامريكى فى مجال تعرضه للنمو السريع للوعى القومى الفلسطينى بعد ١٩٤٨ ، وحين قام علماء الاجتماع الاسرائيليون فى الجامعة العبرية فى القدس ببحوث عام ١٩٦٧ حول اتجاهات العرب المقيمين فى اسرائيل ، اتيح لهم ان يتأكدوا بأنفسهم من ارتباط الفلسطينيين بأرضهم . ولم تختلف نتائج الابحاث ، التى أجراها علماء الاجتماع فى الجامعة الامريكية فى بيروت بين الموجات الاولى والثانية من اللاجئين الفلسطينيين بعد العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، حيث كانت الرغبة الاساسية لجميع المشتركين فى الاستثناء هى العودة الى الوطن .

ويشكل الشباب المتعلم الفلسطينى النواة النضالية للكوادر القيادية والنشيطة فى حركة المقاومة الفلسطينية . وفى الوقت الذى أمتنع فيه الشباب الفلسطينى عن الاشتغال بالتجارة وتقلد المناصب ، يقبل هذا الشباب فى وعى النضال المرتبط بالمخاطرة بالحياة وسط ظروف غير شرعية أو نصف شرعية ، من خلال التنظيمات السرية أو فى صفوف الفدائيين . ويشير بيير رونتوا الصحفى الفرنسى الى أن النزاع يكتسب أبعادا جديدة . بهذا الفدائى الفلسطينى النشيط والضحايا التى يرضى بها (١٠) . وهذه الابعاد الجديدة

(*) انشئت وكالة غوث اللاجئين فى الدورة الرابعة للجمعية العامة عام ١٩٤٩ وألقى على عاتقها :

(١) تنفيذ برامج المعونة المباشرة وعمل الارساليات الخاصة بالبحث الاقتصادى بالتعاون مع السلطات المحلية . (ب) التعاون مع حكومات الشرق الاوسط المعنية ازاء الاجراءات ، التى يجب أن تتخذها فى تلك الفترة الزمنية حينما تتوقف المعونة الدولية . (ج) شبة جزيرة سيناء (٥٦ الف كيلو متر مربع وقطاع غزة (٢٥٨ كيلو متر مربع) الضفة الغربية لنهر الاردن (٥ر٥ ألف متر مربع) ومرتفعات الجولان (ألف كيلو متر مربع) .

(٧) انظر وثيقة هيئة الامم المتحدة ٧٢١٣/١ ص ١

(٨) انظر « هل يقوم كيان صهيونى ؟ » بقلم د. بيرتيز ، ا. ويلسون ، ٧. وارد . ١٩٧٠ ص ٢٥

(٩) نفس المرجع ص ٢٦ — ٢٨ .

(١٠) انظر « الصراع العسكرى والمستقبل غير الواضح فى فلسطين » بقلم ب. روندو ١٩٦٨ ص ١٦٨٣

ترتبط ببعث الحركة المنظمة للتحرر الوطنى للشعب العربى الفلسطينى وقد تحولت بفضلها مشكلة اللاجئين تقريبا الى مشكلة تقرير المصير القومى للفلسطينيين وبهذا يصبح العامل السلبى متمثلا فى اللاجئين الفلسطينيين فى المباحثات الدولية عاملا هاما فى الموقف فى الشرق الاوسط اما ما يخص حركة المقاومة الفلسطينية ، فانها تتجه الى الادراك العميق لأهدافها الاجتماعية ، مكتسبة طابعا ثوريا ديمقراطيا . فهى تطور تركيبها التنظيمى وتزداد خبرتها السياسية ، موجهة اياها فى تناسق مع ظروف اللحظة . وتشير أخبار الصحافة الغربية الى تطور وجهات نظر المنظمات الفلسطينية الرئيسية نحو الاشتراك فى مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط . وهذا يدل على أن حركة المقاومة الفلسطينية تشهد تطورا تدريجيا لاتجاهات رفض التطرف والانتقال الى مواقف أكثر واقعية .. وتتفق هذه العملية مع المصالح الحيوية للشعب الفلسطينى ، الذى تتحدث باسمه جميع منظمات المقاومة الفلسطينية .

قيام حركة المقاومة الفلسطينية (١١)

ظهرت أولى منظمات المقاومة الفلسطينية فترة ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ ، حينما وقفت مجموعة « الجهاد المقدس » ضد المنظمات الارهابية اليهودية حتى قبل اعلان دولة اسرائيل . وعملت مجموعة أبطال العودة « الى جوارها ولكن بصفة مستقلة » .

وفى بداية الخمسينات تتكون حركة القوميين العرب ، التى تمخضت فيما بعد عن تشكيل الجبهة القومية لتحرير فلسطين والجبهة الديمقراطية الشعبية لتحرير فلسطين . وفى عام ١٩٥٦ قامت جماعة من الفلسطينيين فى أرض غزة (التى احتلتها اسرائيل أثناء العدوان الثلاثى) بتشكيل حركة لتحرير فلسطين هى « حركة التحرير الفلسطينية » اذا قرانا أول حرف فى كل كلمة ابتداء من الكلمة الاخيرة تعطينا الاختصار العربى فتح ، ومع مرور الوقت تصبح فتح أكبر واشهر قوة لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى ويصبح قائدها ياسر عرفات على رأس منظمة التحرير الفلسطينية ، وتقوم منظمتها القتالية (العاصفة) بأولى عملياتها العسكرية ضد اسرائيل فى منطقة بحيرة طبرية فى يناير ١٩٦٥ ، وتبدأ فى أثرها العمليات القتالية جماعة « شباب الانتقام » وهى الجماعة العسكرية لحركة القوميين العرب .

---

(١١) المادة التى وردت فى هذا الفصل مؤخوذة أساسا من المصادر التالية : « المقاومة الفلسطينية بقلم ج. شالياند ١٩٧٠ ، هل يقوم كيان فلسطينى ؟ « المصدر السابق ، مجلة جون أفريك ، عدد مارس ١٩٧٠ ، « من أجل حل ديمقراطى للمشاكل الفلسطينية والاسرائيلية » بقلم ن. حواتمة ، صحيفة لوموند فى ٢٧ يناير ١٩٧٠ ، « روندو » المصدر السابق ، المقاومة الفلسطينية بين دولتين بقلم ج. داردو .

وفى ١٩٥٨ وبتأييد من حزب البعث الاشتراكى العربى فى سوريا أنشئت طليعة حرب التحرير الشعبية الصاعقة .

وفى يناير ١٩٦٤ أعلن مؤتمر رؤساء الدول العربية فى القاهرة عن عزمه اعطاء الشعب الفلسطينى الامكانية « كى يتحمل بنفسه مسئولية قضية القومية وتحرير فلسطين » (١٢) . ويتخذ قرارا بانشاء منظمة التحرير الفلسطينية . ولهذا الغرض اجتمعت فى مايو ١٩٦٤ فى القطاع العربى بالقدس الدورة الاولى للمجلس الوطنى الفلسطينى ، الذى ضم ممثلى مختلف المنظمات الفلسطينية السياسية والاجتماعية والنقابية . وفى يونيو من نفس العام صدر الميثاق الوطنى لمنظمة التحرير الفلسطينية وبعد ذلك شكلت فى مصر وسوريا والعراق جيوش نظامية لتحرير فلسطين على نمط جيوش الدول العربية ، ولكن من الفلسطينيين المدربين عسكريا . ويعتبر جيش التحرير الفلسطينى فرعا عسكريا لمنظمة التحرير الفلسطينية ويخضع لقيادة عربية موحدة . ويرتبط كل تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية فيما بعد ارتباطا وثيقا بمصير منظمة التحرير الفلسطينية وبالصراع بين مختلف المنظمات الفلسطينية من أجل النفوذ فى منظمة التحرير الفلسطينية وبمحاولات استخدام تركيبها التنظيمى لتحقيق الوحدة السياسية لحركة المقاومة الفلسطينية وتنسيق عملياتها المسلحة .

ولم تصنع هزيمة الجيوش العربية فى يونيو ١٩٦٧ ألم للفلسطينيين فى موقف حرج بل العكس دفعتهم لأن يعلموا بأنفسهم . فقد ظهرت أكثر من ثلاثين منظمة جديدة للمقاومة . وازدادت الروح الوطنية لا فى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين فحسب ، بل بين الشباب العربى فى الاراضى المحتلة وفى نفس اسرائيل .

وقد لعبت معركة الكرامة فى ٢١ مارس ١٩٦٨ دورا هاما فى كيان حركة المقاومة الفلسطينية حيث صدت الفصائل الفلسطينية بالاشتراك مع الوحدات الاردنية هجوم قول اسرائيلى مدرع يدعمه الطيران . وبدأت صفوف المنظمات الفلسطينية تزداد بمتطوعين جدد والى جانب ذلك بدأت عملية راديكالية الحركة واتجاهها الملحوظ نحو اليسار .

وفى أكتوبر ١٩٦٧ أتخذ فى مؤتمر دمشق لممثلى المنظمات الفلسطينية قرار بانشاء الجبهة القومية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش ، الذى أعلن نفسه ماركسيا لينينيا آسيويا (١٣) وأن جميع البلاد الاشتراكية وعلى رأسها (جمهورية الصين الشعبية) حلفاء الثورة الفلسطينية وأن الامبريالية

---

(١٢) انظر د. بيريز ، نفس المصدر ، صـ ٣٦
(١٣) انظر شاليانذ ، المصدر السابق صـ ٨٩

هى عدوها الاساسى وأن الارهاب والعمليات المسلحة هى الوسيلة الوحيدة للمنظمة ، كما أن هدفها هو اقامة دولة عربية يهودية ديمقراطية على ارض فلسطين كلهـا .

وفى فبراير ١٩٦٩ ونتيجة لانقسام الجبهة القومية لتحرير فلسطين تظهر أيضا منظمة أكثر يسارية وهى الجبهة الشعبية الديمقراطية القومية لتحرير فلسطين وقائدها المحامى نايف حواتمة (ومنصبه الرسمى هو المنسق والمتحدث باسم المكتب السياسى) وأهدافهـا ووسائلها هى نفس وسائل وأهداف الجبهة القومية لتحرير فلسطين ، ولكنها ضد الارهاب وضد خطف الطائرات ، الذى تمارسه الجبهة القومية لتحرير فلسطين وتتميز أسسها الايديولوجية بتحديد أكثر فتنطلق قيادة الجبهة الشعبية الديمقراطية القومية لتحرير فلسطين من أن حل المشكلة الفلسطينية غير ممكن الا من خلال الثورة وحدها وفى كل العالم العربى « واتحاد الدولة العربية فى اتحاد فيدرالى اشتراكى ، تمارس السلطة فيه مجالس العمال والفلاحين الفقراء والجنود » . كما ان الدولة الفلسطينية الديمقراطية الحقيقية ستكون جزءا من أجزاء هذا الاتحاد الفيدرالى وهى الدولة التى بنيها الفلسطينيون بالاشتراك مع « جميع التقدميين الاسرائيليين » (١٤) .

وتعتبر الجبهة الشعبية الديمقراطية القومية لتحرير فلسطين نفسها واحدة من فصائل حركة التحرر الوطنى العالمية والثورة الاشتراكية العالمية . وحين يحاول المراقبون الاجانب (على سبيل المثال — دون بيرتس الذى أخذنا عنه آنفا) تحديد جوهر ايدلوجية وسياسة الجبهة الشعبية الديمقراطية القومية لتحرير فلسطين وقد يركزون على نقطة واحدة من وصفين متشابهين ، فعليين ان هذه الجبهة اما تروتسكية أو ماوية وهذه النظرة نظرة مبسطة من وجهة نظرنا فان جيرار شاليان ، الذى تعرف على الطبيعة على التربية الايديولوجية للكوادر الجبهة يؤكد أن أعضاء هذه المنظمة لا يدرسون فحسب بعض أعمال ماوتسى تونج ، بل يدرسون أيضا المانيفستو الشيوعى « لكارل ماركس وفريدريك انجلزو » ما العمل ؟ « الدولة والثورة » لفلاديمير ليفين وأعمال روزا لوكسمبرج وان الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين لا تطبق بالنص — كما يقولون — التجربة الصينية وحدها ولكنها تحاول استيعاب فهم التجربة وتجربة الثورة الكوبية ، والرفاق الفيتنامبين ، وايضا حركات التحرر الوطنى وخاصة فى الجزائر .

وما من شىء نقوله سوى ان الجبهة القومية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقـراطية تتميزان حاليـا بالمواقف المتطرفة) مع التفـاوت فى الدرجة) ازاء عدد من موضوعات التطبيق السياسى وان الاهداف التى

---

(١٤) « لوموند » ٢٧ يناير عام ١٩٧٠

بتصنعاتها لا تتفق دائما مع الامكانيات الفعلية وهذا يصدق على أغلب المنظمات الفلسطينية الأخرى وعلى حركة المقاومة الفلسطينية ككل . ولكن الا يفسر (التطرف) الفلسطيني بتطرف الوضع الذى وجد الشعب العربي الفلسطيني نفسه فيه دون خطأ منه ، وبأنه لا يوجد أمامه حتى الان امل واضح ومحدد فى تقرير مصيره ويتبادر سؤال آخر ، حينما نسعى لتحليل أسباب التطرف الفلسطيني فرغم التقاليد المعروفة لحركة التحرر الوطنى للشعب الفلسطيني ما فتئت حركة المقاومة الفلسطينية المعاصرة ، من الناحية العملية ـ ما فتئت تتبلور فى قوة منظمة ولم تبدأ نشاطها الفعال من الناحية العملية الا بعد عام ١٩٦٧ « الا يعتبر تطرفها أمرا طبيعيا نتيجة لحداثتها ؟ » . الا نلاحظ نحن هنا ما يشبه مرض اليسارية الطفولى « فى الشيوعية الذى أشار اليه فى وقته فلاديمير ايليتش لينين ، وهو الأكثر احتمالية بالنسبة لثورات التحرر الوطنى ، التى يلعب فيها عنصر البورجوازية الصغيرة دورا نشيطا أو دورا قياديا ؟ ونحن الآن بصدد حركة ثورية من هذا الطراز . لذلك يأخذ تقويم أقراص الطفولة الذى ذكرناه يأخذ صورة أخرى ، فضلا عن أنه لا يمكن أن يكون سلبيا ذلك لأن الحديث يدور هنا لا عن اتجاه يسارى فى حركة شيوعية يسارية ، بل عن ظهور روح يسارية فى حركة تحرر وطنى ديمقراطية بورجوازية فى أساسها واذا كان هناك حد تطرف يسارى ، أو تسرع فى الاحداث أو ابتعاد عن الواقع فان كلا ـ على ما يبدو ـ أمر مؤقت وطارىء ان اتجاه حركة المقاومة الفلسطينية نفسها الى اليسار تأثير ايجابى . ولنأخذ على سبيل المثال ـ تأثير المنظمات الفلسطينية اليسارية فى منظمات حركة المقاومة الفلسطينية ، التى تميل من الناحية الايديولوجية للاعتدال وليس لها أساس أيديولوجى . فأكبر منظمة فلسطينية « فتح » ـ على سبيل المثال ـ لا تعترف بالماركسية وتفترض انها لا تمثل العمال والفلاحين ، ولكن طبقة خاصة أوسع وهى الطبقة التى فقدت الوطن من الفلسطينيين (١٥) المقهورين المطرودين ، تنادى بالقضاء على استغلال الانسان للانسان وبالعدالة الاجتماعية وبالمساواة القومية للعرب واليهود ... الخ .

وبهذه المناسبة تتغير الفصائل اليسارية هى الأخرى أثناء عملية النضوج والتعاون المتبادل مع الفصائل الاخرى لحركة المقاومة الفلسطينية وأخذت ترفض تدريجيا التطرف . وبدليل ذلك تصريح جورج حبشى فى المؤتمر الصحفى المنعقد فى ١٤ مارس ١٩٧٢ حول رفضه خطف الطائرات المدنية التابعة لشركات الطيران العالمية ، لأن مثل هذه العمليات « تتعارض مع تحقيق المهام الاولية للجبهة القومية لتحرير فلسطين : وهى بلوغ وحدة

---

(١٥) انظر شالياند ، المصدر السابق ص ٧٨

المقاومة الفلسطينية والتحالف مع القوى التقدمية ، الا أن الجبهة القومية لتحرير فلسطين ستواصل انزال الخسائر بالمصالح الراسمالية والصهيونية حيثما كانت وفى كل انحاء العالم (١٦) « ومما يثير الاهتمام فى هذا التصريح لا ملامح التراجع عن التطرف رغم أن هذا فى حد ذاته له أهمية كبرى ، بل الدافع لهذا الابتعاد ألا وهو ظهور هدف بلوغ وحدة المقاومة الفلسطينية » فى سياسة الجبهة القومية لتحرير فلسطين فى المقام الأول ، وهى السياسة التى من أجلها تعيد الجبهة القومية لتحرير فلسطين ، النظر فى أرائها وتكتيكها .

والوحدة ، فى واقع الامر شرط ضرورى من الناحية الحيوية لمواصلة وتدعيم حركة المقاومة الفلسطينية وشرط للحصول على النضج السياسى والتأثير . وكانت الجبهة القومية لتحرير فلسطين حتى وقت قريب واحدة من المنظمات — اذ جاز التعبير — التى لا تتعاون فى قيام الوحدة : لا بمقاطعة دورات المجلس الوطنى الفلسطينى وعمل منظمة التحرير الفلسطينية فحسب بل بتقويض المواقف العالمية لحركة المقاومة الفلسطينية بأعمالها عديمة المسئولية والفائدة والعفوية مثل القرصنة الجوية المتعارضة مع الخط العام لغالبية المنظمات الفلسطينية الحركة ككل . وحينما اقتنعت بنفسها بأن العزلة داخل حركة المقاومة الفلسطينية بمكن أن تؤدى الى اثار مميتة لها بدأت قيادتها تغير سياستها منذ ١٩٧٠ .

فقد شكلت فى الدورة السابعة للمجلس الوطنى الفلسطينى فى القاهرة فى مايو — يونيو ١٩٧٠ اللجنة المركزية المتحدة لحركة المقاومة الفلسطينية ، التى يشترك فيها ممثلو جميع المنظمات الفلسطينية تقريبا ومن بينهم الجبهة القومية لتحرير فلسطين .

وأصبح جورج حبشى مثل نايف حواتمة أعضاء فى الامانة غير الموسعة ، البالغ أعضاؤها ستة برئاسة ياسر عرفات .

غير أن الظروف الطارئة لأحداث سبتمبر ١٩٧٠ مع الجيش الاردنى هى التى جعلت قيادة الجبهة القومية لتحرير فلسطين تدرك ضرورة التعاون الوثيق مع القوى الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية ولقد نتجت هذه الاحداث — كما هو معروف — عن أسباب لا ترتبط بعضها ببعض فقد كانت الرجعية الاردنية تضغط على الفلسطينيين فى صالح الصهاينة الذين استخدموا الدبلوماسية والمخابرات الامريكية من ناحية وكما لعبت دورا كبيرا فيها كذلك ، من ناحية أخرى التصريحات الاستفزازية وافعال الفلسطينيين اليساريين ، التى تحمل طابعا متطرفا من الناحية

---

(١٦) « الموند » ١٦ مارس ١٩٧٢

الموضوعية (مثل خطف الطائرات والتهديد .. وما شابه ذلك) .
وتحمل الفلسطينيون نتيجة لذلك خسائر كبيرة فى الارواح والمعدات ، وقد تعرضت مواقعهم الارضية للضعف فى الاردن ، ففى ابريل ١٩٧١ وتنفيذا للاتفاقية المعقودة فى القاهرة فى سبتمبر ١٩٧٠ بين رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والملك حسين بمساهمة من الرئيس ناصر ، انسحبت القوات المسلحة للفلسطينيين من عمان والمناطق الاخرى فى الاردن اسكنت جزئيا فى القرى ومعسكرات اللاجئين وتركزوا جزئيا فى مناطق الحدود بالقرب من الجبهة ، على أطراف الحدود وخطوط وقف اطلاق النار بين الاردن وسوريا واسرائيل ، حيث أضحوا تحت سيطرة الجيشين السورى والاردنى .

ولقد تلقى الفلسطينيون بعض الدروس من هذه الاحداث . وتعرض التطرف اليسارى للنقد داخل حركة المقاومة الفلسطينية ، كما بدأ قادة المنظمات الفلسطينية اليسارية أنفسهم اعادة تقويم الموقف وعرضوا علنا الاستعداد للنظر فى نشاطهم بطريقة النقد الذاتى . وعبرت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين والجبهة القومية لتحرير فلسطين عبرت عن تأييدها للجهود الموحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، خاصة أن الاخيرة تتجه نحو الراديكاليه فى خطها السياسى ، موجهة اياه نحو التعاون قبل كل شيء مع القوى التقدمية فى العالم العربى .

كل هذا لا يستبعد بالطبع احتمال عمليات أرهابية جديدة ، منظمة فى التو بواسطة عناصر غير منضبطة من هذه المنظمات مثل « نسور الثورة الفلسطينية » و « أيلول الاسود » وما شابه ذلك وهى التنظيمات التى تتبرأ منها فتح والجبهة القومية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين فان الظروف لا تزال تحمل امكانية مثل أعمال اليأس هذه بسبب الوضع الصعب للاجئين والاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية والسياسة الاجرامية للصهيونيين أزاء العرب الفلسطينيين . وليس مصادفة أن نيويورك تايمز لم تقتصر فى معرض تعليقها بكراهية مكشوفة تجاه حركة المقاومة على عملية مطار اللد التى قام بها ثلاثة من (x) الارهابيين اليابانيين لم تقتصر على الهجوم بكل الوسائل على « الفلسطينيين اللعناء ، بل خرجت باستنتاج بالغ يصل الى نتيجة ذات فائدة وهى أن » الامن لن يتوفر لاسرائيل ، ما لم تحل المشكلة الفلسطينية فى اطار السلام الذى يمكن تحقيقه عن طريق المفاوضات (١٨) ، وكان الهجوم على الفريق الاسرائيلى فى الدورة الاولمبية بميونخ ، الذى شنه أعضاء منظمة « ايلول الاسود » الارهابية فى ٥ سبتمبر سنة ١٩٧٢ — تأكيدا مأسويا لهذا الاستنتاج .

---

(١٧) انظر « لوموند ديبلوماتيك » يونية ١٩٧١
(١٨) « نيويورك تايمز » أول يونية ١٩٧٢

ومهما كانت هناك تجاوزات ، فان التطور العام لحركة المقاومة الفلسطينية يتميز لا بهذه التجاوزات ، ولكن بالادراك المستمر ــ وان كان بطيئا وتدريجيا لضرورة الاخذ بعين الاعتبار جميع العوامل التى تحدد الوضع فى الشرق الاوسط والافاق الحقيقية للقضية الفلسطينية نفسها . ومما يثير اهتماما خاصا ، بل كبيرا فى هذا المجال ــ تطور علاقة الفلسطينيين بكل من يشترك بشكل أو بآخر وبصورة مباشرة فى نهب الشعب العربى الفلسطينى ويؤيد السياسة ـ التى تعرقل عوده أبناء وبنات هذا الشعب الى ديارهم وسياسة ازدراء واحتقار نصف هذا الشعب ، الذى يوجد تحت نير الدولة الصهيونية ــ أى أزدراء واحتقار الاسرائيليين من ذوى النشأة اليهودية .

حركة المقاومة الفلسطينية واليهود

لقد أحدثت المؤسسة الصهيونية انقلابا فى وجدان الفلسطينيين فقد تعلم العرب ــ المسلمون والمسيحيون الذين كانوا يعيشون قرونا طويلة مع اليهود القليلين الفلسطينيين الذين وجدوا أنفسهم مطرودين نتيجة للغزو الصهيونى لانهم تعلموا « كراهية » اليهود كما جاء فى احدى وثائق « فتح » لأنهم رأوا فى الصهيونيين قاهريهم ، الذين لا يخفون تعريض الشعب العربى الفلسطينى للمعاناة لأنهم يهود وتعتبر الشوفونية ضد اليهود نتيجة مباشرة الحقد ، الذى ولدته أفعال الصهيونة والتى تبلورت فى شعار « القاء اليهود فى البحر » وقد عرفت هذه الشوفونية فى حركة القوميين العرب . ولقد رفع هذا الشعار احمد الشقيرى أول رئيس للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ولكن الشوفينية بدأت فى التراجع نتيجة راديكالية الحركة الفلسطينية ، وحصولها على طابع ديمقراطى ثورى ، واتجاهها نحو اليسار ، كما تخلصت الجبهة القومية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين من الشوفونية « ان حركة المقاومة الفلسطينية لا يمكن أن تكون حركة شعبية وفى نفس الوقت تسعى الى حل شوفونى فاشى لمشكلة اليهود الاسرائيليين » (١٩) . هذا هو موقف الجبهة القومية لتحرير فلسطين التى تعتبر البروليتاريا اليهودية أقرب حلفاء الثورة الفلسطينية رغم أننا نعتقد أن هذه المنظمة لم تصل الى الفهم الكامل للمشكلة الفلسطينية واليهود الفلسطينية ليس بالامر الهين السهل .

« ١٩ » انظر « فلسطين : نحو حل ديمقراطى » ، بغداد ١٩٧٠ صـ ٢١

وتتخذ الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين موقفا مشابها يقول حواتمة « أما ما يتعلق بنا ، فاننا نرفض جميع الحلول الشوفونية سواء الحلول الاسرائيلية « اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات » أو الحلول العربية — « قذف اليهود فى البحر » أو اعادتهم أجباريا الى أوطانهم » ويدعو جميع التقدميين الاسرائيليين لبدء النضال سواء منفصلين أو فى صفوف الحركة المسلحة الفلسطينية حتى يكون من الممكن تحقيق الحل الديمقراطى — ونحن نعتقد فى الواقع ، ان ذلك الحل سيلقى تعاطفا متزايدا من الجماهير الاسرائيلية .

كلما تزايدت الميول التقدمية فى المقاومة الفلسطينية وفى الحركة الثورية العربية . ومن هذا المنطلق قامت الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين . تأخذ بمبادرة فى بدء حوار مع منظمة ما تسمى الاشتراكية الاسرائيلية ، المشهورة بمعاداتهالوجهات النظر الامبريالية والصهيونية ، رغم أننا نعتقد أن هذه المنظمة لم تصل الى الفهم الكامل للمشكلة الفلسطينية بعد (٢٠) ومن الممكن أن نلمس تطورا مشابها فى حركة المقاومة الفلسطينية كلها التى تلعب « فتح » الدور الاول فيها . لقد كان على أحمد الشقيرى وتطرفه ذو الطابع الشوفونى أن يترك منصب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وتم حذف شعار القاء اليهود فى البحر « مع أستثناء اليهود من ذوى الاصل الفلسطينى فقط » من برنامج المنظمة . ففى فبراير ١٩٦٩ وفى الدورة الخامسة للمجلس الوطنى الفلسطينى تنتصر « فتح » ويصبح ياسر عرفات على رأس منظمة التحرير الفلسطينية . وقد عرضت « فتح » وجهات نظرها ازاء علاقة الفلسطينيين باليهود الاسرائيليين علنا فى نشرتها « الفتح » الرسمية التى صدرت فى بيروت فى نهاية ١٩٦٩وبداية ١٩٧٠ . وجاء فى النشرة أن « الهدف النهائى الذى وضعته الثورة الفلسطينية رسميا نصب أعينها هو بناء فلسطين الديمقراطية العلمانية حيث يستطيع المسيحيون واليهود والمسلمون العيش دون أى تفرقة » .

وخلال أكتساب الحركة الفلسطينية للنضوج السياسى ، أدركت أن كراهية اليهود ، التى ولدها الصهيونيون لا تخدم فى نهاية المطاف سوى الصهيونيين وحدهم ، وتتعارض فى الاساس مع أهداف الثورة الفلسطينية . ومن هنا كان الاستنتاج الدقيق وانه « لا يجب أن يكون شعور الانتقال ورفع لواء العنصرية التى يعانى فيها العدو — باعث الحركة التحررية التقدمية »

---

(٢٠) « الموند » ٢٧ يناير ١٩٧٠ .

والفلسطينيون لا يكرهون ولا يحبون اليهود لانهم كذلك ، انهم ينظرون اليهم ، مثلما ينظرون الى الناس من ذوى العقائد الاخرى سواء المسيحيون أم المسلمون ويحتمون عليهم بتصرفاتهم . ويقاتل الفلسطينيون اليوم من أجل اقامة وطن ديمقراطى متسامح حر لنا جميعا سواء كنا يهودا أم مسيحيين أم مسلمين . ويجب على الثورة الفلسطينية أن تأخذ على عاتقها مسئولية جذب اليهود الى القضية الثورية بالعمل لا بالكلمات . كما يجب ألا تضيع أية فرصة لكى تبرهن ليهود جميع العالم ويهود فلسطين انها عازمة على الحياة وأقامة فلسطين جديدة بالاشتراك معهم ، تقوم لا على العنصرية أو التفرقة ولكن على التعاون والتسامح » (٢١) . وتؤكد « فتح » أن العرب ليسوا الفلسطينيين وحدهم بل اليهود الاسرائيليون ، كذلك ثم تشير الوثيقة الى أن حل قضية التنظيم السياسى للدولة المستقبلة هى قضية الشعب الذى يضم هؤلاء وأولئك .

وعلى هذا النحو لا يختلف موقف « فتح » عن المنظمات اليسارية فيما يتعلق بالقضية اليهودية فى فلسطين ، وفى بناء علاقة أممية جديدة من حيث المبدأ ، نحو اليهود الاسرائيليين ، من ناحية الفلسطينيين العرب الذين يعانون ويواصلون المعاناه بذنب هؤلاء اليهود . ولكن برنامج « فتح » هو فى الوقت الحالى والى حد كبير برنامج كل من منظمة التحرير الفلسطينية وحركة المقاومة الفلسطينية كلها .

حركة المقاومة الفلسطينية ودولة اسرائيل

وتسوية مشكلة الشرق الاوسط

تنحصر أوجه النقص الاساسية والاكثر جوهرية فى البرنامج الوطنى لحركة المقاومة الفلسطينية فى عدم الاعتراف بالحقوق القومية لليهود الفلسطينيين اعترافا كاملا حيث لا يخرج هذا الاعتراف عن استقلالهم الدينى والثقافى ويستبعد حق الاسرائيليين فى انشاء دولة مستقلة . هذا وفى الوقت الذى تتكون فيه اسرائيل امة جديدة ، يطلق عليها عادة بالامة الاسرائيلية . وفى رأينا ، أن أسم الامة العبرية ، يناسبها أكثر من غيره وفقا للمبدأ اللغوى ، ذلك أن الحديث لايدور عن كل سكان اسرائيل ، ولكن عن ذلك الجزء الذى يتحتم عليه أن يعرف اللغة العبرية ويتبع مجموعة (قوانين) الديانة اليهودية . والجدير بالذكر أن الكتب المكتوبة باللغتين الانجليزية والفرنسية تطلق على سكان اسرائيل من ذوى الاصل اليهودى عادة اسم (العبريون) وليس اليهود وظهور الامة العبرية ، مثله مثل ظهور أية

---

(٢١) « جون افريك » ٣ مارس عام ١٩٧٠ ص ٥٦ — ٦١

أمة اخرى ـ عبارة عن حقيقة واقعة مثل الحقائق التى يعترف بها المجتمع العالمى وتتمتع بحماية قانونية عالمية عن هذا الحق . والموضوع الخاص بتقرير المصير القومى للعبريين مسألة محلولة من الناحية العملية . وان كل محاولة لاعادة تقريره بدون موافقتهم الحـــرة أو على حسابهم ستتم بوسائل غير صالحة وبالاهم من ذلك أنهـا ستخلف عواقب وخيمة . ولا يمكن القـول أن هـذه العنـاصر قد قامت على القادة الفلسطينيين ، الـذين ـ كما أشرنا من قبل ـ وصلوا الى فهم ضرورة نزع الشعارات الشوفونية واتخـاذ مواقف الاعتراف بحتمية تواجد « جميع الفلسطينيين » ، تواجدا على قدم المساواة وفى ظروف ودية .

غير أن منظمات حركة المقاومة الفلسطينية لا تزال ترفض حق العبريين فى اقامة دولتهم المستقلة وفى ذلك تختلف مع الاسرائيليين المعـاديين للصهيونية ومن ضمنهم الشيوعيون وتقوم الدعاية الصهيونية بكل الوسائل بالمضـاربة بعدم الاعتراف بهذا ، متخذة اياه كواحدة من الحجج ضد التسوية السياسية لنزاع الشرق الاوسط ، الذى يفترض فى الطـور الاول خـروج اسرائيـل من المناطق التى تحتلها منذ ١٩٦٧ والحل العادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، بمعنى ـ ضمان الحقوق الشرعية للشعب العـربى الفلسطينى ، وتنحصر الحجة الصهيونية فى أن الامة العبرية تتطابق مع الدولة الصهيونية ، كمـا أن الفلسطينيين ـ كما أشرنا من قبل ـ لا يعترفون بحق العبريين فى دولة مستقلة وفى نفس الوقت يفصلونهم عن الهياكل الصهيونية ويعد بينها هيكل الدولة كما ينوون التعاون مع العبريين انفسهم راجين بالاشتراك معهم اقامة دولة فلسطينية .

ومما تجدر الاشارة اليه أن ناتان فاينشتوك المعادى للصهيونية الشهير يفهم أهداف الحركة الفلسطينية على النحو التـالى فيقول : « أن الهدف الحقيقى للفلسطينيين حينما يتحدثون عن « تدمير اسرائيل » أو « تحـرير فلسطين » يتلخص فى القضاء على هيـاكل الدولة الصهيونية وهـو ما تدل عليه التأكيدات العديدة بالتعايش مع اليهـود الاسرائيليين فى المستقبل » . ومن الضرورى بالتالى الاشارة والتأكيد باستمرار على أن الشعب الفلسطينى فى كفاحه لا يهـدف الى ابـادة الاسرائيليين من الوجـود أو سلب يهـود فلسطين حقوقهم القومية . ان البلبلة السائدة فى هذا المقام حتى الان ورقة رابحة فى يد الطبقة الصهيونية الحاكمة فى اسرائيل » . وانطلاقا مـن هذا يعالج فاينشترك الحقوق القومية بشكل محـدد بعض الشىء دون أن تشتمل على حقهم فى دولة ، ولكنه على حق فيما عدا ذلك .

ويؤيد الاسرائيليون المعادون للصهيونية أيضا القضاء على هياكل الدولة الصهيونية والقضاء على صهيونية اسرائيل الاكثر من ذلك ، انهم يعارضون

فى حسم عزلة الامة العبـــرية فى الشرق الاوسـط وحق العـزلة التى يزج الصـــــهيونيون الأمة العبـــرية فيهـا ساعتين الى تخليـد تبعيـة اسرائيل للامبريالية .

ويرى المعادون للصهيونية أن مستقبل الامة العبرية فى التكامل التام وفى العمل المتبادل الوثيق مع جميع أمم المنطقة الاخرى . ولـكنهم يرون أن أن هذا التكامل يجب أن يكون من خـلال الاعتراف بحقـــوق العبريين فى تقرير المصير وفى التقرير الحر لمصيرهم ، وهذا يفترض فى المرحلة الحاليـة من التطور التاريخى الاعتراف بدولة اسرائيل بوصفها الاطـار الضرورى الذى يضمن الوجـود القومى المستقل للعبريين .

ان اعتراف الفلسطينين بحقوق الامة العبرية فى تقرير المصير هام من مختلف وجهـات النظر . فانه يسحب البسـاط من تحت أقدام الصـهيونيين ويفقدهم امكانيات وأسس افتراءاتهم المختلفة ومن شأن هذا الاعتراف أن يؤثر تأثيرا صحيا على نموذج تفكير طبقات كثيـرة من المجتمع الاسرائيلى ، وفى مقدمتها العمال الاسرائيليون ، معطيا بذلك نبضة جـديدة للروح المعـادية للصهيونية والمعادية للحرب والمعادية لسياسة ضم الاراضى والى جانب ذلك فمن شأنه كذلك أن يساعد على توسيع وتعزيز الدعامة الاجتماعية للقـوى التقدمية الاسرائيلية ، التى تقوم بدور الحليف المرجح للثورة الفلسطينية فضلا عن تعزيز هذه القوى فى استعدادها لتحقيق هذا التحالف على أساس معاد للصهيونية وللامبريالية وفى النهاية ذلك الاعتراف ــ بلا شك ــ من شأنه أن يساعد على التسوية السياسية للنزاع فى الشرق الاوسط الذى يناضـل من أله كل من يقف بحسم الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية فى الوقت الحاضر ، مؤكدا مطالبها الشرعية ، بجانب الاعتراف الاكيد بشرعية حق الامة العبربة فى تحقيق المصير ــ الذى يتفق والعرف المعترف به وفى القانون الدولى المعاصر ، الذى يستبعد الاجرام فى سوء استعمال هذا الحق ، وكمـا فعل الصهيونيون .

ولم تبد حركة المقاومة الفلسطينية حتى الان الاستعداد لاتخاذ هـــذا الموقف الواقعى ، غير أنه فيما يمضى تسوية مشـكلة الشرق الاوسط ، لم يبق خطها فى نقطة التجمـد ، رغم أنه من الصـعب جـدا على الفلسطينيين ــ اكثر من أى أحد آخر ، وهذا طبيعى ــ أن يرفضوا الشعارات ، التى عملوا بها سنوات لتحويل اللاجئين الى مقاتلين . وتدرك حركة المقـامة الفلسطينية تمـام الادراك ان محاولات عرقلة القوى ، التى تناضل من أجـل التسوية العادلة ، والتى تدافع فى هذا النضال عن المصالح القومية للشعب العـربى

---

(٢٢) انظر « الصهيونية ضد اسرائيل » بقلم ن. وينستون ١٩٦٩ صـ ٥٦٥

(٢٣) انظر « البرافدا » فى ٢١ يولية ١٩٧٢

فى فلسطين — لا تخدم سوى الصهيونيين ، وبالتالى لن تعود بشىء على الفلسطينيين . وكانت منظمة « فتح » قد اتخذت عام ١٩٧٠ وازدا « بالحياد » ازاء الخط السياسى للدول العربية ، التى تنادى بالحل السلمى . وهذا يعتبر تقدما كبيرا ويشهد تصريح المتحدث الرسمى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت كمال ناصر أثر زيارة وفد منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات رئيس لجنتها التنفيذية الى موسكو فى يوليو ١٩٧٢ — على التطور الايجابى لوجهات نظر حركة المقاومة الفلسطينية فى الموقف الشامل لقضية الشرق الاوسط ، وقد قال ياسر عرفات أن قادة حركة المقاومة الفلسطينية متأكدون من أن الاتحاد السوفيتى يؤيد بحسم على المسرح الدولى للنضال العادل للامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية وأن الاتحاد السوفيتى بمساعدته السياسية والاقتصادية والعسكرية وكذلك بالفهم الصحيح لاستراتيجية وآفاق نضال حركة المقاومة الفلسطينية — يقدم لها تأييدا كبيرا (٢٣) . وتتيح حقائق الفترة الاخيرة امكانية استنتاج ، ان محاولات عزل الحركة الفلسطينية ووضع مهمة خاصة لها فى الشرق الاوسط قد ذهبت مع الماضى . أن الحل العادل للمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن يتم الا فى اطار النضال التحررى العام للشعوب العربية وأن القوى التقدمية العالمية والعربية والاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى تعتبر الحليف الطبيعى لحركة المقاومة الفلسطينية (٢٤) .

ويؤكد هذا الاستنتاج الذى قامت به جريدة البرافدا عام ١٩٧٢ يؤكد تطور وجهات نظر الفلسطينيين نتيجة الاشتعال الجديد للنزاع المسلح فى الشرق الاوسط فى أكتوبر ١٩٧٣ ويشير ما نشرته بعض أجهزة الصحافة الغربية ، الى أن المنظمات الفلسطينية الاساسية مثل « فتح » و « الصاعقة » والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، لم ترفض فكرة الاشتراك فى مؤتمر السلام الخاص بالشرق الاوسط وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، والاكثر من ذلك — ووفقا لتأكيدات وكالة يونيتدبرس وصحيفة الفيجارو ، ظهر بين صفوف حركة المقاومة الفلسطينية اتجاه نحو الاعتراف بقرار الجمعية العامة للامم المتحدة الصادر فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ حول تقسيم فلسطين ، والذى يعنى الاعتراف باسرائيل .

---

(٢٤) « البرافدا » ٢٩ اغسطس ١٩٧٢.

وليست حركة المقاومة الفلسطينية عاملا يحدد الطابع المزمن لأزمة الشرق الاوسط ، على الاطلاق ولكنها أوجدته وليس فى مقدورها ان تصنع له نهاية — وهذا أمر معروف للجميع ومن الممكن عدم قبول طرق كفاح حركة المقاومة الفلسطينية ، ولكن من غير الممكن الا نوافق على شرعية السعى للحصول على تحقيق أحلام الشعب العربى الفلسطينى فى الوجود المستقل على أرضه وتحقيق أمانيه الوطنية الشرعية .

(٢٥) انظر « لوموند » ٦ نوفمبر عام ١٩٧٣ ، « انترناشيونال هيرالد تريبون » ٢٦ نوفمبر عام ١٩٧٣ « لوفيجارو » ٢٧ نوفمبر عام ١٩٧٣ .

الباب الرابع

ثورة التحرر الوطنى فى العالم العربى

بعض خصائص تطور العالم العربى

لم يكن مفهوم « العالم العربى » حتى فترة قريبة تماما ، لا تزيد على ربع قرن مضى يوجد فى الاعمال الاجتماعية والفلسفية فقط لبعض الايديولوجيين العرب ، أمثال الكواكبى وآخرين . والواقع أن ملايين العرب الذين يربطهم تاريخ مشترك ولغة واحدة فصلوا بعضهم عن بعض بواسطة حدود مصطنعة أقامها المستعمرون الذين سيطروا على الشرق الاوسط لفترة طويلة وبلا منازع ، لذلك يعتبر انقسام الشعوب العربية ظاهرة مؤقتة استدعتها بشكل استثنائى المؤمرات الامبريالية وهو ما كان يدركه دائما ممثلو الرأى العام التقدمى فى الشرق الاوسط ، وجاء فى القرار الخاص بمهام الشيوعيين فى الحركة الوطنية العربية ، الذى صدر عن مؤتمر الشيوعيين فى سوريا وفلسطين عام ١٩٣١ ، أن « نظام السيطرة الامبريالية على الشعوب العربية يقوم أساسا لا على السخرة والاستعباد المباشر فحسب ، بل أن العرب منقسمون قسرا الى أجزاء بايحاء من الامبريالية العالمية . وهذا التقسيم يتعارض تعارضا شديدا صارخا مع المصالح الحيوية للشعوب العربية » (١) .

ويرتبط مولد مفهوم « العالم العربى » بالانجازات البارزة للنضال التحررى القوى للشعوب العربية ضد الدول الكبرى الاستعمارية الغربية وهجماتها الفعالة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ويعتبر نضال الشعوب العربية من أجل تحررها الاجتماعى والقومى واحدا من العوامل الاساسية لحركة التحرر الوطنى العالمية التى تحولت منذ زمن من « قطرات » منفصلة غير مرتبطة الى سيل عاصف . فقد انحسر فى البداية جليد النظام الاستعمارى الذى تراكم قرونا طويلة ، ثم تفجرت نهائيا القوى العظيمة للنضال التحررى الوطنى ، الذى أصبح حاليا واحدا من أهم الاجزاء المكونة للعملية الثورية العالمية . وتؤكد المرحلة المعاصرة لحركة التحرر الوطنى للشعوب العربية الصدق العميق لفلاديمير .أ. لينين الذى قال فى ١٩٢١ « .. ان حركة أغلبية السكان فى الكرة الارضية الموحلة باديء

---

(١) «وثائق برامج الاحزاب الشيوعية بالشرق» موسكو ١٩٣٤ ص ١٥٠

ذى بدىء نحو التحرر الوطنى ، تتجه ضد الرأسمالية والامبريالية » (٢) .
فى المعارك الحاسمة المستقبلة للثورة العالمية .

ولم يكن بعملية سقوط النظام العالمى للقهر الاستعمارى ، الذى بدأ انتصار ثورة أكتوبر العظمى التى تدعمت بشكل خاص بعد انتصار الدول المتحالفة ضد الهتلرية فى الحرب العالمية الثانية ، ان تمر بالطبع دون تأثير فى العالم العربى . وقد اشار ف.أ. لينين اكثر من مرة الى أن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، الذى يعتبر مضمون عصرنا . لا يمكن الا أن تصاحبه سلسلة كاملة من الثورات التحررية الوطنية فى البلاد المستعمرة وفى المستعمرات . ويصدق الموقف اللينينى بالكامل على الوضع فى العالم العربى . ولقد طرأت ظروف جديدة فى الشرق الاوسط بعد هزيمة الامبراطورية العثمانية وتقسيمها بعد الحرب العالمية الثانية . وفى الغالب ، وافقت بريطانيا العظمى بعد الحرب العالمية الاولى على الاعتراف بالاستقلال السياسى للعربية السعودية واليمن ، وأعلنت من الناحية الشكلية استقلال العراق ومصر . غير أن المعاهدات الثنائية ، التى فرضتها انجلترا على دول الشرق الاوسط الرائدة مثل العراق ومصر وقد ألغت فى الواقع استقلالهم الكامل . غير أنه من الاهمية بمكان ان المعاهدات غير المتكافئة ، التى عقدتها انجلترا مع مصر والعراق ، رغم جوها الامبريالى قد اوضحت أن المستعمرين لم يستطيعوا استخدام الطرق السابقة . وفرض نظام الانتداب الامبريالى على البلاد الاخرى فى الشرق الاوسط مثل شرق الاردن وسوريا ولبنان وفلسطين ، وكانت الدول المنتدبة هى انجلترا وفرنسا أيضا . ولم يعرقل الاشراف الشكلى لعصبة الامم ــ الدول المنتدبة عن ممارسة سلطات واسعة من الناحية العملية فى الاراضى المنتدبة وهل نظام الوصاية الذى أقامته هيئة الامم المتحدة محل نظام الانتداب . ومع الغاء نظام الانتداب فى الدول الواقعة تحت الانتداب ، حصلت سوريا ولبنان على الاستقلال السياسى عام ١٩٤٣ وشرق الاردن عام ١٩٧٦ .

وفى معرض الحديث عن انجازات النضال التحررى الوطنى للشعوب العربية بعد الحرب العالمية الثانية ، فانه من الضرورى الاشارة فى الحقيقة الى ذلك الدور الحاسم العملاق ، الذى لعبه الاتحاد السوفيتى فان مثل الدول السوفيتية بصفة خاصة ، وانتصارها فى الحرب العالمية الثانية ، الذى أثبت حيوية والامكانيات الضخمة الكامنة للاشتراكية قد أصبحت « منارة » يسترشد بها المزيد من الاحزاب السياسية وقادة العالم العربى العديدون وحتى البعيدون منهم عن الماركسية . وأخيرا من غير الممكن أن نغفل العمليات الداخلية والعميقة أو المعقدة المتضاربة فى بعض الاحيان

---

(٢) ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين المجلد ٤٤ ص ٣٨

التى حدثت فى أغلب البلاد العربية سواء التى كانت قد حصلت على الاستقلال السياسى ، أو التى تسعى اليه — فقد أصبحت بدورها من ظـواهر الازمة العـامة للرأسمالية .

لقد جاء التطور السياسى للعالم العربى بطابعه الخاص بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة تنوع الانماط الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد العربية ، والخلط المتناقض العجيب بين بقايا الاقطاع واشكاله المباشرة وبين العلاقات الرأسمالية التى أخذت تشق طريقها والتدخل الاجنبى المستمر . وينبغى أن نضيف الى ذلك نفوذ الدين الاسلامى ، الذى بقى حتى الوقت الحاضر عائقا أمام كل ما هو تقدمى ويحمل الحياة الى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية فى البلاد العربية وتجدر الاشارة — اذا أخذنا المستوى الثقافى العام المنخفض للجماهير الشعبية فى البلاد العربية الى أن — الاسلام يؤثر تأثيرا سلبيا بالمرتبة الاولى على الفئات الاجتماعية فى المدينة والقرية —والتى يمكنها أن تصبح دعامة أساسية للقوى السياسية .

وفى نفس الوقت يجب الاشارة الى عدم النضج الذى كان واضحا فيما سبق فى الدول العربية فى الناحية الاجتماعية فقد ظلت البورجوازية الوطنية فى هذه البلاد حتى بعد الحرب العالمية الثانية مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الاقطاعيين وفى نفس الوقت حافظت البروليتاريا قليلة العدد ، على علاقاتها بالفلاحين والمهنيين وكانت الطبقا المتوسطة ولا تزال تلعب دورا كبيرا فى المجتمع العربى وهى الطبقات التى تشمل البورجوازية الصغيرة وصغار الموظفين والطبقات المتوسطة مثل الموظفين وأصحاب المهن الحرة والطلبة وجزء كبير من الضباط .

وقد حدد الهيكل الطبقى والاجتماعى للمجتمع العربى امكانية ظهور الاحزاب السياسية والجماعات والتيارات المختلفة وحدد نضال هذه المجموعات من أجل النفوذ والعلاقات المتبادلة بينها الشخصية السياسية لكل بلد عربى بدرجة كبيرة .

وينتمى الى الفترة الاولى لما بعد الحرب — أى — فى أواسط الاربعينات — ظهور حزب عربى شامل مثل حزب البعث العربى الاشتراكى أو حزب البعث ، ويعتبر يوم ٧ ابريل ١٩٤٧ اليوم الرسمى لقيام الحزب ، حينما أفتتح فى دمشق المؤتمر الاول لحزب البعث العربى (بقيادة مشيل عفلق وصلاح البيطار) ، وقد أعلنت فى البرنامج الذى أقر فى هذا المؤتمر ثلاثة شعارات أساسية للحزب وهى « الوحدة والحرية والاشتراكية ، أما الحزب

---

(٣) فى شىء اكثر تفصيلا انظر « نضال البعث من أجل الوحدة والحرية والاشتراكية » المجلد الاول بيروت عام ١٩٦٣ .

فقد وصف نفسه بأنه حزب عربي شامل « تعمل تنظيماته في مختلف البلاد العربية » . وفي البداية فان كانت هذه التنظيمات توجه من مركز واحد في دمشق ، وبعد ذلك ، وبعد انشاء فروع للحزب في العراق والاردن ولبنان وبعض البلاد العربية الاخرى ، علت كلمة الاقليمية وفقدت القيادة القومية نفوذها الاولى وأهميتها وفي بداية ١٩٥٤ اندمج حزب البعث العربي في الحزب الاشتراكي العربي (بقيادة أكرم الحوراني) وأصبح للحزب أسمه الحالي . ومن حزب الاحزاب السياسية الاخرى ، ذات الاهمية العربية العامة والتي لها تنظيمات في بلاد عربية كثيرة وبدات نشاطها وسط الاربعينات منظمة الاخوان المسلمين . التي ظهرت عام ١٩٢٧ ، حينما بدأ مؤسسها الشيخ المصري حسن البنا بالدعوة لضرورة الاصلاحات الواسعة في مصر على أساس العودة الى نقاء الاسلام وقد استطاع الاخوان المسلمين خلال فترة قصيرة أن يقيموا تنظيمات سياسية جمهورية ولم يتميز أعضاؤه بالتعصب الديني فحسب ، بل تميزوا بدرجة عالية من التنظيم والتكاتف ، وكذلك القدرة على العمل السري وفي عام ١٩٤٠ أنشىء التنظيم السري العسكري للاخوان المسلمين بهدف اجراء عمليات ارهابية ضد أعدائهم السياسيين .

وقد أنشأ الاخوان المسلمون في البداية بعد الحرب العالمية الثانية منظماتهم في سوريا والاردن وفلسطين ، وزاد نشاطهم في مصر بين البورجوازية الصغيرة والمتوسطة والطلبة والفلاحين والحرفيين ووفقا لبعض التقديرات بلغ عدد الاخوان المسلمين في مصر قبيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مليونا واحدا (٤) .

والجدير بالذكر أن الاخوان المسلمين تمتعوا بشعبية خاصة بين الجماهير العربية العريضة وخاصة في الفترة التي بدأت فيها تلك الجماهير في ادراك الاهداف الحقيقية لتحررها الوطني والاجتماعي ، وقد بدأت شعبية الاخوان المسلمين . وفي الهبوط مع نمو وعي الجماهير الشعبية العربية .. ولم يكن ذلك مصادفة ، ذلك لأن المنطلق السياسي لهذا الحزب ، الذي يدعو الى انشاء دول اسلامية متشددة ، غير مناسب تاريخيا رغم قوة تأثير الدين الاسلامي والمؤسسات السياسية والاجتماعية التي انشأها والقواعد والسلوك التي يوصي بها في العالم العربي وتغذي الاخوان المسلمين في الوقت الراهن للاوساط الدينية المتشددة الرجعية أما الحزب فيحظى بالتأييد المادي من أكثر الدول في العالم العربي تأخرا من الناحية الاجتماعية ، الا وهي العربية السعودية .

لقد اثار نهوض حركة التحرر الوطني في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية قضية تكوين اتحادات جمهورية عريضة وأحزاب سياسية

---

(٤) في شيء اكثر تفصيلا انظر ، اسحاق الحسيني ، « الاخوان المسلمين » اكبر حركة اسلامية ، بيروت ، ١٩٥٢ .

ومجموعات يربطها هدف واحد هو النضال ضد الامبريالية ، وكذلك قضية القوة السياسية التى يمكنها تزعم هذه الاتحادات واعطاء الدول العربية آفاقا حقيقية للتحرر الاجتماعى والقومى وتوصية شعوب هذه البلاد الى الطرق الحقيقية لبلوغ هذه الاهداف .

وحتى الوقت الحاضر ، لم يوجد فى أية دولة عربية الوضع الذى يسمح بترعم حزب واحد أو تجمع سياسى واحد لحركة التحرر الوطنى ويرجع سبب هذه الظاهرة المميزة للعالم العربى الى تعدد واختلاف الظروف السياسية الداخلية فى كل بلد عربى ، والى أن عددا كبيرا من الاحزاب والمجموعات السياسية كانت تعمل أو لا تزال تعمل فى غالبيتها حيث لا تختلف هذه الاحزاب فى الكثير بعضها عن بعض ، بل تتطابق فى كثير من الاحيان .

ولا يزال العالم العربى من الناحية السياسية والايديولوجية حتى وقتنا الحاضر يعيش لا فترة صراع القيادات الايديولوجية المتعارضة فحسب ، بل التبلور التدريجى للوعى السياسى للشعوب العربية وفهم المهام اليومية والمستقبلة للنضال المعادى للامبريالية . ويسير التطور السياسى الاجتماعى للبلاد العربية بمعدلات سريعة وأخذ يتضح بدقة الجد بين قوى الرجعية والتقدم – وما هذا الا مدرسة ذات طابع خاص وفى مثل هذه المدرسة تنضج الشعوب بشكل خاص .

الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ودورها

التاريخى فى مصير العالم العربى

من خصائص الموقف فى البلاد العربية أن الجيش يعتبر دائما ومن الناحية العملية اكثر القوى المنظمة والمنضبطة والفعالة غير أن الجيش فى مصر ظل لفترة طويلة تحت قيادة الضباط ذوى الاصل التركى والشركسى ولم يكن هناك ضباط مصريون فى الجيش تقريبا . وفى عام ١٩٣٦ فقد اتخذت الحكومة المصرية قرارا بقبول المصريين فى الكلية الحربية فى العباسية . وهذه الخطوة التى قد يبدو للوهلة الاولى انها ليست ذات أهمية خاصة – لعبت فى جوهر الامر دورا عظيما فى تاريخ مصر المعاصرة . فقد بدأ يلتحق بالكلية الشباب من ابناء طبقات الفلاحين والموظفين الحكوميين من الدرجات الدنيا – وقد كانت الروح الوطنية المعادية للانجليز قوية بين هؤلاء الشبان . ولم يكن من باب المصادفة ان خريجى كلية العباسية بشكل خاص كونوا فيما بعد نواة منظمة الضباط الاحرار السرية ، التى قادت ثورة يوليو ١٩٥٢ .

---

(٥) ف. لينين . المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين . المجلد ١٧ ص ١٧٧

ان ظهور ونشاط منظمة الضباط الاحرار يرتبطان أوثق ارتباط باسم جمال عبد الناصر ، الابن البار للشعب المصرى . فقد أدرك جمال عبدالناصر وهو ابن موظف بريد صغير وامه ابنة احد تجار الفحم — الحاجة والحرمان فى وقت مبكر ولقد تعرف فى السنوات الاخيرة من دراسته الثانوية على البرامج ونشاط الاحزاب السياسية فى مصر . غير أن أمله قد خاب سواء فى حزب « الوفد » أم فى حزب « مصر الفتاة » وهو تجمع فوضوى فاشى المضمون استطاع أن يجذب فى الآونة الاولى الشباب ، غير الناضج فى السياسة برفع شعار « مصر للمصريين » .

وقد ربطت صداقة وثيقة منذ ١٩٣٨ بين ثلاثة من الضباط الشبان ، كانوا يخدمون فى احدى الوحدات العسكرية فى منقباد وهم جمال عبد الناصر ومحمد انور السادات وزكريا عبد المجيد محيى الدين

وقد كتب أنور السادات ، أنه فى بداية ١٩٣٩ اسس الضباط فى منقباد جمعية ثورية سرية ، واضعين نصب أعينهم مهمة تحرير مصر من التبعية الاجنبية والحكام العملاء .

غير أنه يعتقد أن المؤرخين على حق راوا أنه فى عام ١٩٣٩ لم يكن يمكن الحديث عن انشاء منظمة للضباط تعارض النظام الملكى والملك شخصيا ، ولكن المرجح هو أن هذه الفترة شهدت تقارب مجموعة من القادة الشبان ، وحدتهم الرغبة فى التحرر من النظام الملكى وانتزاع مصر من اسار الاحتلال الاجنبى . ولم يكن لدى هؤلاء الضباط فى تلك الفترة اية خطة محددة للعمل أو برنامج دقيق .

وقد بحث عبد الناصر وأصدقاؤه عن حلفاء فى النضال القومى المعادى للنظم الملكى والمعادى للامبريالية وقادهم البحث الى التعرف على قيادة الاخوان المسلمين وحسن البنا مؤسس هذه الجماعة ، ولكن عبد الناصر لم يعد يتعاون مع الاخوان المسلمين بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ حيث تمتع بتأييدهم أثناء الاعدادللثورة ولا يمكن أن نستبعد أن ناصر — وتحت تأثير التعامل مع الاخوان المسلمين — كان يعتقد ، أن الاغتيالات السياسية يمكن ان تغير الوضع السياسى الداخلى فى البلاد وتحررها من الحكومات العميلة ، فقد كتب عبد الناصر نفسه فى فلسفة الثورة ، ان الاغتيالات السياسية بدت له آنذاك العمل السياسى الوحيد الذى لم نستطع أن نستبعده ، اذا اردنا انقاذ مستقبل بلدنا . وقد فكرت فى اغتيال كثيرين ممن كنت اعتقد انهم يقفون بين بلدنا ومستقبلها (٦) .

---

(٦) جمال عبد الناصر . فلسفة الثورة — القاهرة ص ٣٣

غير أن الحياة حررت قائد مستقبل مصر الجديدة من الاوهام ازاء قيمة الاغتيالات السياسية كوسيلة لبلوغ أهداف النضال السياسى وقد ساعدت حرب فلسطين على تطوير التشكيل التنظيمى لجماعة الضباط الاحرار دون شك . : فقد اختفت لديهم – وخاصة فى هذه الفترة – آخر الاوهام ازاء امكانيات تغيير الوضع فى البلاد بالتحالف مع القصر الملكى . ويذكر ناصر فيما بعد ، أن الوضع السياسى فى العاصمة ، حيث كنا نتلقى الاوامر ، قد فرض علينا حصارا أكثر شكلا مما كان يمكن للعدو أن يفرضه علينا فى الفالوجة « ٧ » (الفالوجة – مكان صغير فى فلسطين حيث وقع ناصر ووحدته فى الحصار وقد أصيب فيها .)

لقد فتحت الحرب الفلسطينية – التى اعتبرت انعكاسا لمحاولات الامبريالية الانجليزية المحافظة على مواقعها فى الشرق الاوسط ، ولعدم السماح بتقوية مواقع الامبريالية الامريكية ، التى دفعت عملية اقامة دولة اسرائيل لتكون موقعا متقدما لها فى هذه المنطقة – أعين الشخصيات السياسية والاجتماعية والمفكرين فى العالم العربى الذين كانوا يبحثون ولم يجدوا ، الاسباب الحقيقية لركود البلاد العربية وتخلفها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى .

لقد وعى جمال عبد الناصر ، – وهو من اكثر ممثلى جيل الشباب الباحث هذا موهبة – ، وأصدقاؤه نتائج حرب فلسطين ، وادركوا أن الامبريالية تستخدم البلاد العربية مثل النقود الصغيرة ، فى لعبتها السياسية الكبيرة وأن الهزائم العسكرية للجيوش العربية قد جاءت نتيجة للتأييد الاقتصادى والدبلوماسى والعسكرى الكبير الذى قدمته الامبريالية لعملائها فى الشرق الاوسط متمثلين فى حكام اسرائيل المتطرفين وان عدم قدرة الحكومات العربية حينئذ على بلوغ وحدة العمل فى النضال ضد اسرائيل ، جاء نتيجة لطابع هذه الحكومات المعادى للشعب ، ولتبعيتها للدول الكبرى الامبريالية وأن السياسيين العرب فى نهاية الاربعينات لم يريدوا فحسب ، بل لم يستطيعوا تحقيق القضاء على التبعية الاجنبية لبلادهم وأنهم لا يقدرون الامانى والمصالح الحيوية لشعوبهم . وقد فهم جمال عبد الناصر وأصدقاؤه ان عدم استعداد الجيوش العربية فى الحرب الفلسطينية قد جاء نتيجة لتخلف البلاد العربية قرونا طويلة وان المذنب الاساسى فى ذلك هو الامبريالية الغربية ، التى سعت بكل قواها الى ابقاء البلاد العربية فى فلك سياستها والى عدم السماح بخروج الدول العربية من نظام القهر الاستعمارى الذى استمر عشرات السنين . ومن العودة من الجبهة فى نهاية ١٩٤٩ (ينشىء) عبد الناصر أول لجنة تنفيذية غير

---

(٧) نفس المرجع ص ٦٠

سرية لمنظمة الضباط الاحرار وكانت تضم الى جانبه عبد الحكيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم . وفى عام ١٩٥٠ انتخبت اللجنة التنفيذية للضباط الاحرار جمال عبد الناصر رئيسا لها .

ومن الاهمية فهم عبد الناصر واصدقاؤه قبيل انتهاء حرب فلسطين أن الجيش يستطيع أن يكون قوة سياسية جادة وانه يمكنه تطهير البلاد من الحكام العملاء .

وأصبح الضباط الاحرار ايضا يؤمنون بأن منظمتهم تستطيع بل يجب ان تلعب دورا مستقلا فى أى من الخطوات التى تتخذ ضد النظام الملكى . ونتيجة لان أنباء النشاط التآمرى للضباط الاحرار أخذت تصل الى الملك ، استعجل الضباط الاحرار اعداد الانقلاب وحققوه بنجاح ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتنازل الملك فاروق عن العرش فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وغادر مصر نهائيا واصبحت السلطة بالكامل فى أيدى مجلس قيادة الثورة .

ولم تعكس ثورة يوليو المصالح الوطنية العامة للشعب المصرى فقط ، ولكن اثرت تأثيرا عميقا على البلاد العربية الاخرى وعجلت فيها بالعمليات التقدمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ونشط نضال العرب من أجل التحرر القومى . ولا يخفى على أحد الطابع غير الدموى لثورة ٢٣ يوليو فى مصر . وسبب ذلك هو عدم وجود الهيبة الكاملة للملك والمحيطين المقربين نتيجة الاخطاء العربية فى السياسة الداخلية والخارجية لمصر الملكية ، كما يرجع السبب كذلك الى التكتيك الماهر لمجلس قيادة الثورة ، ومما يدل على الخبرة السياسية لقادة مصر الجديدة وجمال عبد الناصر شخصيا تعيين على ماهر فى منصب رئيس الوزراء — وهو شخصية سياسية كانت تعمل فى ظل النظام الملكى وتتمتع بشهرة واسعة فى البلاد — والمعروف بنظرته البورجوازية الليبرالية ، كما لم يكن يشكل خطرا بالنسبة للانجليز وقد ظهر حذر مجلس قيادة الثورة فى اعلان الجمهورية فى مصر فى ١٨ يوليو ١٩٥٣ وقبل هذه الفترة كان هناك مجلس للوصاية أثناء غياب أحمد فؤاد الملك الصغير عن البلاد .

ويعتبر انقلاب ٢٣ يوليو فى مصر أول عمل للثورة المصرية ولم تشترك جماهير الشعب المصرى فى الانقلاب ، خاصة أن مجلس قيادة الثورة قد منع جميع المظاهرات وبالطبع ، حذر قادة الانقلاب — من ناحية أولى — حذروا من أن مظاهرات الجماهير الشعبية قد تستدعى تدخل الدول الكبرى الامبريالية فى الشئون الداخلية لمصر ، رغم التوضيح بعدم المساس بممتلكات وارواح الاجانب ، الذى أعلن فورا بعد ٢٣ يوليو ، ولكن — ومن ناحية اخرى كان منع المظاهرات الشعبية ناتجا عن عدم قدرة أو عدم رغبة قيادة

تنظيم « الضباط الاحرار » فى جذب الجماهير الشعبية العريضة الى جانبها والاعتماد عليها .

وتأكد قادة ثورة ٢٣ يوليو بعد الانقلاب أن العمل الثورى وحده لا يكفى وانه من الضرورى اجراء مجموعة من الاجراءات ، التى تستطيع أن تساعد على بناء مجتمع جديد فى مصر واعادة بناء البلاد على أساس النضال من أجل بناء الاستقلال الاقتصادى والسياسى لمصر واتباع سياسة خارجية معادية للامبريالية .

غير أن قادة الضباط الاحرار كانوا يتصورون على نحو تقريبى كيف سيتطور المجتمع المصرى وطرق هذا التطور وقد كتب ناصر فى هذا الصدد عام ١٩٥٤ « كنت اعتقد قبل ٢٣ يوليو .. ان الامة كلها لم تكن تنتظر سوى تحرك الطليعة .. اننا لم تكن سوى أصحاب البداية — الفدائيين ، وسنكون فى المقدمة لعدة ساعات فقط وثم تتبعنا بعد ذلك الجماهير العريضة التى تتجه نحو الهدف العظيم . وبعد ثورة ٢٣يوليو ، ذهلت فى الواقع فقد نفذت الطليعة مهمتها واقتحمت اسوار حصن الطاغية واجبرت (فاروق) على التنازل ووقفت فى انتظار تقدم الجماهير لتنفيذ الهدف الاعظم ولكنها ظلت تنتظر وتنتظر ؛ واخيرا ظهرت الجماهير بعيدة بعد الحقيقة من الخيال وبدأ الزحف المقدس نحو الاهداف العظيمة متقطعا » (٨) — ولم يستطع قادة الاحزاب البورجوازية التقليدية المصرية أن يقدموا شيئا « للضباط الاحرار » ووفقا لتعبير ناصر ، كان كل منهم يسعى الى القضاء على عدوه

ويواصل ناصر الحديث فى كتابه « فلسفة الثورة » عن مقابلاته ومحادثاته مع الشخصيات السياسية البورجوازية فى مصر قائلا : ان كلمة « أنا » كانت على لسان كل منهم . لقد كانت كلمة «أنا» هى الحل السحرى لجميع الصعوبات والعلاج المؤثر لكل الامراض . ولقد اتيحت لى أحيانا لقاءات مع الأشخاص الذين وصفتهم الصحافة بأنهم عظماء من مختلف الاتجاهات والوجهات السياسية والذين كنت أرجو أن أحصل منهم على النصائح لحل المشاكل العديدة ، ولكنى لم أسمع منهم شيئا سوى كلمة « أنا » (٩) .

وفى الحقيقة ، تحتم على الضباط الاحرار التحرك بحذر فى برنامجهم السياسى والاجتماعى . وقد انعكس ذلك فى الاهداف الستة ، التى قدموها كمبادىء اساسية للعمل السياسى الداخلى والخارجى بعد الاستيلاء على السلطة فى البلاد . وكانت هذه المبادىء كما يلى : القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين، القضاء على الاقطاع ، القضاء على الاحتكار

---

(٨) نفس المرجع ص ١٩ — ٢٠

(٩) نفس المرجع ص ٢٢ ، ٢٣

ونفوذ راس المال ، إقامة العدالة الإجتماعية ، اقامة جيش وطني قومي وضمان حياة سياسية سليمة .

وتعكس المبادىء المشار اليها رغم تنوعها وطابعها المشير الى حد ما — تعكس بدرجة كافية ودقيقة ، الجوهر الديمقراطي المعادي للامبريالية . ووجهات نظر واضعيها ، الذين كانوا كقاعدة من ابناء البورجوازية الصغيرة وجزء من البورجوازية المتوسطة ومن الطبيعي الا نتوقع من قادة مصر الجديدة . وهم ليسوا من ذوى الخبرة السياسية فى الاونة الاولى ، ولكنهم وطنيون مخلصون لبلدهم . برنامجا اقتصاديا واجتماعيا موسعا للثورة وقد تبلور هذا البرنامج خلال سنوات ولم يصبح حقيقة واقعة الا فى بداية الستينيات . أن الخدمات التاريخية للقادة المصريين الجدد تنحصر قبل أى شيء فى قطع سلسلة القهر الامبريالى التى طوقت العالم العربى . وقد تحملت مصر باعتبارها أكثر الدول العربية تقدمية — رسالة صعبة جديرة بالاعتبار وهى فتح صفحة جديدة فى تاريخ العالم العربى .

القومية العربية — نظرية وشعار النضال التحررى الوطنى للشعوب العربية

لقد ادى نضال البورجوازية الوطنية العربية ضد الامبريالية والاستعمار ومن اجل اقامة وتدعيم الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى لدولهم — ادى الى ظهور شعار الوحدة العربية والقومية ، العربية ، كعنصر من عناصر الوحدة — هذا الشعار المناسب للجماهير العربية العريضة ، والذى يحمل الى حد ما طابعا « فوق طبقى » . ان مبادىء القومية البورجوازية العربية القائمة على فكرة ضرورية توحيد جميع العرب بغض النظر عن انتمائاتهم الطبقية والاجتماعية ، والقطرية أصبحت الاساس الايديولوجى للقوى الديمقراطية القومية التى وصلت الى السلطة فى البلاد العربية بعد حصولها على الاستقلال السياسى ولقد أصبحت القومية العربية بوصفها التيار السياسى فى حركة التحرر الوطنى الايديولوجية المسيطرة بين القوى السياسية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ونجاح الثورة المصرية عام ١٩٥٢ . وقد أصبح شعار القومية العربية خاصة فى هذه الفترة شعار الدولة ، وبدقة أكثر أصبح شعارا لسياسة الحكومة المصرية .

وكان هذا الشعار يعكس — من جهة — التناقض الاساسى الموجود بين البورجوازية الوطنية للدول العربية وبورجوازية الدول الكبرى الامبرياليه والاستعمارية ، هذا التناقض المرتبط بالقهر القومى لبورجوازية الدول

---

(١٠) « ميثاق العمل الوطنى » القاهرة ، ١٩٦٢

العربية من جانب بورجوازية البلاد الامبريالية . ومن جهة اخرى ، شهدت الشعبية العريضة لهذا الشعار ، أن هذا الشعار يصلح فى هذه الفترة بالذات أن يكون عنصر توحيد فى النضال من إجل التحرر الوطنى لبلاد العالم العربى .

والجدير بالذكر أن شعار القومية العربية كان جذابا بدرجة كبيرة للجماهير العاملة العريضة ، التى تعرضت لقهر مزدوج من البورجوازية الاجنبية التى كانت ترى أن المصالح القومية لدى بورجوازية البلاد العربية ويجب أن تغلب على المصالح الطبقية .

ويرى الكتاب العرب أن القومية العربية عقيدة اقتصادية سياسية اجتماعية نابعة من الوحدة الداخلية للعرب فى مختلف البلاد ، وقائمة على العوامل المشتركة للعرب وهى اللغة والتاريخ والادب ، وفى ذلك العادات والتقاليد والطبع والمصالح المشتركة والاهداف المشتركة ، وفيها الاهداف المشتركة للنضال المعادى للامبريالية ، وهدف القومية العربية هو تحرير الوطن العربى من مختلف أشكال الاستغلال الداخلى والاستعمار الاجنبى للدول العربية واعطاء العرب فرصة حكم بلادهم والمساعدة على وحدتهم وتطوير أستخدام مواردهم لمصلحتهم الخاصة وتحقيق العدالة الاجتماعية بالنسبة لجميع العرب (١١) .

ولا شك أن أى عربى لا يملك أن يرفض هذا التحديد لاهداف ومهام القومية العربية ، والصعوبة تنحصر فى أن مضمون شعار القومية العربية كان يتغير بشكل ملحوظ فى بعض الاحيان فقد كانت فصائل حركة التحرر الوطنى للعرب التى تسير على هدى شعار القومية العربية وتدخل فيه مضامين على أوجه كثيرة من الاختلاف .

ان الدعوة الى الوحدة العربية العريضة ، التى ينضوى تحت لوائها انصار للقومية — من الطبيعى — لا يمكن أن تعتبر شعارا واقعيا كافيا فى الظروف الحالية ، ذلك لان الفروق بين الدول العربية كبيرة فى مستوى تطورها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى وفى درجة الوعى السياسى لسكانها .

وفى الغالب يسمح الطابع غير الطبقى وغير الحزبى للقومية العربية — يسمح هذا الطابع لممثلى نفس الاحزاب والقوى السياسية والطبقية الواسعة فى العالم العربى ، بالحديث عن « الوحدة العربية » باعتبارها الهدف النهائى لهذه المجموعة أو ذلك الحزب السياسى غير أنه من الواضح أن الوحدة تفسر هنا بشكل مختلف . والعنصر الايجابى هو انه يغلب على حركة الوحدة العربية وشعار القومية العربية اكتساب المضمون المعادى للامبريالية والاتجاه المعادى للاقطاع ، ولذلك يمكن القول ، أن شعار القومية

---

(١١) عبد الرحمن البزاز . حول القومية العربية . لبنان ١٩٦٥ ص ١٢ .

العربية والنضال من أجل الوحدة العربية على أساس معاد للامبريالية لم يعف عليها الزمن ، وسيظلان لفترة طويلة قوة جذب لها وزنها بالنسبة للجماهير الشعبية الواسعة للبلاد العربية وبالنسبة للطبقات والجماعات الاجتماعية المختلفة ، وشعارا وتطبيقا لآفاق نضالها .

وتخوض الجبهة العريضة القوى الديمقراطية الوطنية ، بالاشتراك مع ممثلى البورجوازية الصغيرة الموجودة – كقاعدة – فى السلطة فى البلاد العربية ، والنضال من أجل تدعيم الاستقلال السياسى والاقتصادى لهذه البلاد تحت شعار القومية العربية .

وقد قال خالد بكداش السكرتير العام للحزب الشيوعى السورى نحن – الشيوعيين العرب نؤمن بأن القومية العربية ، التى تناضل الامبريالية من أجل الاستقلال ومن اجل تدعيم السلام العام تلعب دورا تقدميا كبيرا على المسرح الدولى . والمضمون الرئيسى الآن للقومية العربية هو اتجاهها الديمقراطى التقدمى ، الذى يقود نحو تحريرها بلادنا من نير الامبريالية ، وبلوغ الاستقلال التام ، ورفض الاشتراك فى الاحلاف العسكرية ونحو النضال ضد التدخل فى الشئون الداخلية للعرب ونحو بناء الاقتصاد الوطنى بواسطة التصنيع والاصلاح الزراعى ورفع المستوى الثقافى والمعيشى للجماهير وتقوية وحدة الشعوب العربية وتدعيم السلام العام (١٢) .

وتؤكد تجربة حركة التحرر الوطنى فى بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية تأييدا قويا الضرورة الحيوية للتعاون الوثيق بين جميع القوى الطبقية والسياسية فى هذه البلاد ، التى تسعى نحو التحرر من السيطرة الفكرية والاقتصادية والسياسية وكل سيطرة أخرى للامبريالية ، ولذلك تسعى القوى الديمقراطية التقدمية فى البلاد العربية ، الى التحالف مع البورجوازية القومية ،متفهمة اشارة ف.أ. لينين الى وجود مضمون ديمقراطى عام فى كل قومية بورجوازية – فى الامم المضطهدة . وبالطبع لا يستطيع الماركسيون الموافقة على مجموعة كاملة من العناصر المرتبطة بنظرية وبتطبيق القومية العربية . فانهم لا يملكون اغفاله سعى القوميين العرب نحو انشاء منظمة سياسية جمهورية فوق الطبقات من حيث الجوهر تذوب فيها كل القوى السياسية للبلاد العربية ولا يكون لها شكل طبقى واضح ودقيق .

والقومية فى الشرق العربى المعاصر – هى قومية أمم فى سبيلها الى التكوين ولذا يمكن القول بأن المصالح المعادية للاستعمار والمعادية للاقطاع

---

(١٢) « النور » ١٠ فبراير عام ١٩٥٨

والمعادية للامبريالية تتطابق مع مصالح الجماهير العاملة الديمقراطيــة المعادية للامبريالية فى الدول العربية ويرجع طابع القوميــة العربيــة هــذا الى ظرف بالغ الاهمية ، هو أن القومية العربية كتيار سياسى وعقيدة سياسية داخلية وخارجية رائدة للدول العربية ـ قد تكونت فى ظل الازمــة العــامة للراسمالية وفى ظروف القوة النامية المستمرة للاتحاد السوفيتى والبــلدان الاشتراكية الأخرى التأييــد السياسى والمعنــوى والدبلوماسى الاقتصــادى والعسكرى الواسع لدول الشرق العربى فى جميع المجالات وتترك هذهالظروف ـ بالطبع ـ بصماتها على الاسس الفكــرية وعلى البرنامج السياسى للقوميــة العربية ، مضفية عليها مضمونا وصدى ديمقراطيا تقدميا محددا .

وتوجد النواحى الديمقراطية للقومية العربية نظريا (وفى بعض الحالات المحددة ـ فى سوريا والعــراق عمليــــا) أساسى على تشكيل جبهــــات قوميــة عريضة .

وفى الوقت الذى يؤيد فيــه الشيوعيون العــرب القوميين العــرب فى سعيهم للحصول على الاستقلال السياسى والاقتصادى لبلادهم وفى نضالهم (القوميين العرب) ضد الامبريالية والاقطاع ، فانهم (الشيوعيين العرب) يواجهون بحسم المحاولات الموجودة لاستخدام القومية العربيـــة كسلاح الانانية القومية والاستثناء القومى ، فى صورة معوقات على طريق نمو الوعى السياسى للجماهير العريضة ونشر الايديولوجية الماركسية اللينينية .

ويصدق الشيوعيون العرب فىرايهم وهو أنه لا يمكن أن نغفل من الحساب ذلك العامل البالغ الاهمية المتمثــل فى أن القوميــة العربيــة تعتبر حتى الوقت الحــالى أكثر النظريات والتطبيقات شعبية فى نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية ونضــالها من اجــــل تدعيم استقلالها السيــاسى والاقتصـــــادى .

وبتعبير آخر ، أن عدم الاخذ فى الاعتبار نظرية وتطبيق القومية العربية يعنى عدم تقويم دور حركة التحرر الوطنى للشعوب العربية فى النسق العــام للقوى المعادية للامبريالية ، ورفض التعاون مع القوى القومية الاخرى .

ومن المميز أيضا ، أن القوى السياسية الموجودة فى السلطة فى البلاد العربية تستخدم شعارات القومية العربية فى ظروف المؤامرات الامبريالية التى لا تتوقف . ويسعى الامبرياليون الى دفع القومية العربية الى اليمــين واخافة بعض البلاد العربية من خطر الشيوعيـــــة . ويسعى أيديولوجيو الامبريالية الى اجبار القوميين العرب على وقف اشتراكهم النشيط فى النضال المعادى للامبريالية والى تمزيق الجماهير الشعبية داخل البــلاد العربيــة وتغيير الخط السياسى الخارجى للدول العربية ناحية التقــارب مع الدول

الكبرى الغربية والخروج من التحالف والتعاون الوثيق مع بلاد المجموعة الاشتراكيــة .

واذا كانت الدول الكبرى الغربية قد رات فى القومية العربيــة بعض اللمحات المعادية للشيوعية اعتبرت الهستيريا المعادية للشيوعية التى ارتفعت فى مصر ممتطية موجة القومية « والشوفونية » العربية فى مصر وبعض البلاد العربية الاخرى فى نهاية ١٩٥٨ وبداية ١٩٥٩ ظاهرة مشروعة تماما فانها لم تلاحظ اتجاه القومية العربية المعادى للامبريالية الذى تحمله التصريحــات المعــادية للشيوعية ، والتى اتخذت طابع الحدة من ناحية بعض قادة البلاد العربية فى تلك الفترة .

ولقد أدى عدم فهم لب القومية العربية واتجاهها المعادى للامبرياليــة ـ أدى الى خيبة أمل الامبرياليين ذلك أن الجزء التقدمى من القوميين العرب كانوا ولا يزالون يدركون أنه بالتحالف مع البلاد الاشتراكية تستطيع البــلاد العربية أن تصل الى أهدافها .

ولقد تحلى جمال عبد الناصر بقدر كبير من الشجاعة السياسية ، حينما أعلن مباشرة أن مصر الجديدة لا تسير فى الطريق مع الدول الغربيــة وأن الدول الغــربية تعتبر أعداء للقوميــة العربية وأعداء للأمة العــــربية . وقد كانت الشجاعة ضرورية لعبد الناصر والقادة العرب التقدميين الاخـرين خاصة أن المراكز الاقتصادية للدول الامبريالية فى العالم العربى لا زالت هامة وباقية ـ كما هو معروف ـ حتى الوقت الحاضر . ولقــــد سبب بقــاء مراكز الدول الغربية الامبريالية هذا التخـلف الاقتصـــادى لبعض الدول استغلال الموارد الوطنية للبلاد العربيـــــة لفترة طـــويلة السنين بواسطة الاحتكارات الامبريالية . وكان هدف الدول الامبريالية هو الابقــــاء على مراكزها حين حاولت استغلال القومية العربية .

غير أن القومية العربية لم تحقق الآمال ، التى علقتهــا عليهـــا الدول الغربية . وبدلا من أن تبقى عائقا نحو نشر أفكار الماركسية اللينينية وأفكار الشيوعية فى العالم العربى ، لم تعرقل فى الحقيقة ، ذلك الى هذا الحد ، الذى كانت تنتظره الدول الغربية وفى نفس الوقت أصبحت القومية العربية عائقا هاما على طريق انتشار النفوذ الامبريالى فى العالم العــربى وتدعيم مواقع الدول الغربية الامبريالية فى العالم العربى .

وفى الحقيقة لم تتمكن الامبريالية بهذه الطريقة من ترويض القوميـــة العربية واستخدام شعارها وتطبيقها فى اهــــدافها الجشعة . الى جانب ذلك يجب الاشارة الى أن الامبريالية لا تترك محاولاتها للتأثير على الجوانب الضعيفة للجهات العريضة للقوى السياسية الموجودة فى السلطة فى البلـــدان العربية ، وتسعى الى « اللعب » بخوف البورجوازية من الجماهير الشعبية

والى التحالف الوثيق معها ويحاول خلق الخلاف بين بعض الجماعات الطبقية والاخرى وأن تضرب الفصائل المختلفة لحركة التحرر الوطنى بعضها ببعض . ومن المفهوم تماما وطبيعيا وتاريخيا أن ممثلى البورجوازية الوطنية العربية الداخلية فى هذه الجبهات يضعون مصالحهم الطبقية فى مستوى أعلى من مصالح شعبهم ويحاولون احتكار مفهوم الامة ذاته لمصالحهم الخاصة ، معلنين انفسهم الممثلين الوحيدين للامة العربية والمدافعين عن مصالحها .

وفى نفس الوقت هناك عامل ذو أهمية كبرى يسترعى الاهتمام لفهم جوهر عمليات السياسة الداخلية التى تحدث فى العالم العربى ، وهو أن تركيز مصالح مختلف الطبقات فى المجتمع العربى بالدرجة الاولى على مشكلة نضال العرب المعادى للامبريالية قد جعل ويجعل انشاء تحالفات سياسية مختلفة وجهات وطنية معادية للامبريالية داخل بعض الدول العربية أمرا ممكنا .

لقد حاولت البورجوازية الوطنية بعد استيلائها على السلطة السياسية فى البلاد العربية ــ كقاعدة حاولت تحديد النضال التحررى للجماهير الشعبية وتوجيهه فى الأطارات المفيدة لها واستخدامه فى أهداف تدعيم وضعها . ولا مفر من أن هذا الخط يؤدى الى أن البورجوازية الوطنية العربية نفسها تضع العراقيل فى طريق تحرر بلادها من نفوذ الرأسمالى الاجنبى والدول الكبرى الامبريالية . ففى مجال السياسة الداخلية ، يؤدى هذا الى تحديد النضال التحررى لشعوب البلاد العربية فى اطارات الحركة الديمقراطية البورجوازية . وأما فى مجال السياسة الخارجية ، فان ممثلى البورجوازية الوطنية للدول العربية ، الداخلية فى جبهات عريضة للقوى الديمقراطية الموجودة فى السلطة فى عديد من البلاد العربية ــ يظهرون ملامح تقدمية تنحصر أساسا فيمايلى :

ــ رغم عدم الالتزام بخط ثابت ورغم التقلب نجد ممثلى البورجوازية الوطنية مشحونين بالكامل ضد الامبريالية ، ويرجع سبب ذلك الى وجود الدول العربية فى وضع المستعمرات أوشبه المستعمرات لفترة طويلة .

لقد أدى السعى نحو تدعيم الاستقلال السياسى والاقتصادى للبلاد العربيةالى فهم ضرورة التعاون الواسع مع الاتحادالسوفيتى وبلدان المجموعة الاشتراكية الاخرى فى المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية الاخرى .

ــ رغم مظاهر عدم ثبات الاتجاه ، والتردد الموجودة ينتهجون سياسة داخلية تقدمية فى قضايا تطوير الصناعة وتدعيم القطاع العام فى الصناعة وتجارة الجملة والاصلاح الزراعى وتحديد مواقع رأس المال الاجنبى داخل بلادهم وما شابه ذلك .

ولذلك لم تكن شكوى الغرب من أن القومية العربية اخطر من الشيوعية لم تكن هذه الشكوى مصادفة لان القومية العربية تحطم كل مصالحه « الحديث معنا يدور عن الشرق الاوسط » فى هذه المنطقة الحيوية من العالم .

ان نضال شعب مصر من أجل تدعيم استقلاله السياسى وتأييده للقرار التاريخى للحكومة برياسة جمال عبد الناصر بتأميم الشركة الدولية لقناة السويس وقضاء شعب مصر على عدوان انجلترا وفرنسا واسرائيل الثلاثى عام ١٩٥٦ ذلك دفع مصر الى مقدمة النضال السياسى الاجتماعى لجميع بلدان الشرق العربى وجعلها « مصر » — حسب تعبير أنور السادات — « قلعة القومية العربية » . ولم يكن نجاح نضال شعب مصر فى اخراج المستعمرين من البلاد ونضاله فى مسألة تأميم قناة السويس وضد العدوان الامبريالى أمرا ممكنا الا بفضل تعبئة وتضافر جميع القوى الوطنية .

فى مثل هذه الحالات تعمل القومية العربية تحت راية التقدمية حيث يبرز اتجاهها المعادى للاقطاع والامبريالية وكان هذا ضمانا لنجاح عمليات السياسة الداخلية لقادة الجمهورية المصرية الجديدة والدول العربية الاخرى .

ان تطور الاحداث تدريجيا قد أدى الى ظهور شخصيات تفكر تفكيرا واعيا بين القوميين العرب وتنطلق فى مواقفها لا من المصالح الضيقة والمواقع المتميزة لبعض الشخصيات والمجموعات ، ولكن من مصالح النضال ضد الامبريالية ومن أجل التحرر السياسى والاقتصادى الكامل لبلادها . وواصلت وتواصل هذه الشخصيات النضال ضد الامبريالية وعملائها داخل البلاد العربية ، ومن الضرورى القول ، أن عبد الناصر قد وجد فى نفسه الشجاعة فترة ١٩٥٨ — ١٩٥٩ على أن يتخلى عن الشعارات المعادية للشيوعية ، التى أعلنها فى بعض الاحيان القوميون العرب . وأود أن أذكر أيضا احدى الشخصيات الشهيرة للقومية البورجوازية العربية وهى شخصية خالد العظمة نائب رئيس مجلس وزراء سوريا الذى كتب يقول : القومية العربية هى تحالف جميع الطبقات والاحزاب السياسية — وفيها الحزب الشيوعى — فى جهة واحدة ضد الامبريالية والاستعمار » (١٤) .

ومن الطبيعى أن يظل خطرا رفع شعار القومية العربية وتستتر به المنظمات والشخصيات التى كانت مناصرة للنفوذ الامبريالى فى البلاد العربية . غير أنه كانت هناك معايير واضحة تسمح بتمييز المناصرين المخلصين لحركة تحرير العرب من الظلم الاجتماعى والقومى ، من هؤلاء الذين

---

(١٣) « نيويورك تايمز » ٢ ابريل عام ١٩٥٧

(١٤) « الاخبار » ١٩ فبراير ١٩٥٧

يستخدمون هذا الشعار في شكل قناع فقط .. وتتجسد هذه المعايير في العلاقة نحو الامبريالية فيؤمن الوطنيون العرب ، إيماناً عميقاً بأن أهداف الحركة القومية العربية لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال النضال ضد الامبريالية ومن أجل محو كل آثار التبعية الاستعمارية . وقد اعتبر هذا المعيار الهام الخط الفاصل وفى نفس الوقت هو الذى فصل عبد الناصر عن مجموعة من اعوانه ومناصريه فى مصر وفى البلاد العربية الاخرى فلقد أصبحت العلاقة نحو الامبريالية بصفة خاصة عاملا حاسما أثناء اعداد السياسة الداخلية والخارجية لمصر . وقد اتخذت الجماهير العاملة القومية العربية ايضا سلاحا لها نتيجة طابعها التقدمى أما الاحزاب الشيوعية للبلاد العربية فى نشاطها العملى فتنطلق من أن شعارات القومية العربية يمكن أن تستخدم لتضافر جميع الطبقات العريضة للجماهير الشعبية حول النظام المعادى للامبريالية التقدمى الديمقراطى ــ وهذا ما نلاحظه فى الوقت الحالى فى سوريا ، حيث يتعاون كما هو معروف البعثيون فى جبهة وطنية واحدة مع الشيوعيين والاشتراكيين والوحدويين والاحزاب الاخرى .

ويتجه العراق نفس الاتجاه ، حيث يعتبر انشاء جبهة وطنية عريضة تضم حزب البعث الحاكم والشيوعيين والحزب الديمقراطى الكروى ضرورة حيوية .

ويمكن ــ بهذه الطريقة ــ القول بأن القومية العربية فى المرحلة الحالية لتطور البلاد العربية تلعب دورا تقدميا بالكامل . وحينما تتضافر الجماهير العريضة للشعب العربى تحت راياتهم ، تساعد على تنشيط نضالها المعادى للامبريالية .

انجازات وصعوبات وأخطاء حركة التحرر الوطنى العربية . مصر وتطور دورها

لقد اقنعت التجربة السياسية ــ والحياة قادة الثورة المصرية ، بأنه من الضرورى تنفيذ مجموعة كاملة من الاجراءات الحاسمة ذات الطابع المعادى للراسمالية والمعادى للاقطاع والمعادية للامبريالية وذلك لفتح الطريق امام النهضة الوطنية الحقيقية وهذه الاجراءات هى انهاء الاحتلال الانجليزى وتأميم قناة السويس والهجوم على مواقع الاقطاع والبورجوازية المحلية الضخمة وانشاء قطاع عام قوى واجراء تغييرات ديمقراطية سياسية اجتماعية هامة فى صالح الكادحين .

كما تعرضت السياسة الخارجية لتغييرات جذرية . فقد كانت مصر الملكية عادة مطيعة وتتبع مجرى السياسة الخارجية الامبريالية ، ولذلك فان

أولى مهام قادة ثورة يوليو هي اتباع سياسة خارجية ذات طابع قومي حقيقي وخلق موقف يستطيع أن يضمن للبلاد امكانية قيام حياة جديدة في ظروف السلام والامن الخارجي .

ولقد نبع الطابع المعادى للامبريالية للسياسة الخارجية لمصر بالطبع من التغييرات التقدمية التى اتخذت البلاد سبيلها بعد ثورة ١٩٥٢ . ولقد أضفى دور مصر في العلاقات العربية وموقعها الجغرافى على ملتقى القارتين الافريقية والآسيوية ، وأخيرا ، وضعها الدولى كواحدة من البلاد المؤسسة لحركة عدم الانحياز ــ كل ذلك أضفى على سياسة القاهرة الخارجية أهمية خاصة .

لقد أدت قوة معاداة الامبريالية في السياسة الخارجية لمصر الجمهورية الشعبية الواسعة لهذه السياسة ، فان اتجاه سياسة مصر في المسائل الدولية ، النابعة من الطابع المعادى للامبريالية لثورة ٢٣ يوليو قد سلح الشعب المصرى وشعوب البلدان العربية منهم المهام اليومية والمستقبلية لنضال العرب المعادى للامبريالية . والعلاقة الوثيقة بين التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والتقدمية الداخلية في مصر ، التى تضمن تهيئة الظروف الضرورية لاعادة بناء المجتمع على أسس اشتراكية وخط معاد للامبريالية خارجى نشط يضمن استقرار وثبات النشاط الدولى للحكومة المصرية .

ولقد حققت معاداة الامبريالية باعتبارها الاتجاه الاساسى للسياسة الخارجية لجمهورية مصر العربية خلال ما يزيد على عشرين عاما من وجودها للشعب المصرى نجاحات حقيقية وواقعية وهذا الخط على وجه الخصوص يؤدى الى تدعيم التضامن النضالى لجميع الشعوب العربية وقوة حركة التحرر الوطنى والاشتراكية العالمية وتعتبر ضمانا لحل المهام الاجتماعية والقومية التى تواجهها الشعوب العربية .

وتميزت المرحلة الاولى للثورة المصرية بأن مركز ثقل النضال قد انتقل الى الجبهة الخارجية . وبمعنى آخر ، فقد سعى القادة الجدد لمصر في المرحلة الاولى للثورة الى تقوية الاتجاه المعادى للامبريالية والمعادى للاستعمار في العالم العربى وفي جميع بلدان آسيا وافريقيا .

والجدير بالذكر أن القادة الجدد لمصر الجديدة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر قد اتخذوا بعد انتصار الثورة المعادية للامبريالية والاقطاع في يوليو ١٩٥٢ مباشرة مجموعة من الاجراءات الموجهة نحو رفع مكانة مصر في السياسة الخارجية ، ويقول فؤاد مرسى الشخصية السياسية المصرية الشهيرة ذات الاتجاه اليسارى : ان الفترة الاولى للثورة المصرية ، والتى تؤرخ نهائيا في ١٩٦٠ ، تستطيع أن تشهد على اعداد القادة المصريين

ــ عبد الناصر بالذات ــ للاتجاه المعادى للامبريالية في السياسة الخارجية ، وهو الاتجاه الذى أكسب مصر ملايين الانصار فى جميع بلدان آسيا وافريقيا . وامتزج الضعف التدريجي لتبعية مصر لانجلترا والنضال الصريح لمصر ضد انجلترا ــ خاصة فيما يتعلق بتأميم قناة السويس ــ بتنشيط النضال ضد الولايات المتحدة الامريكية ، حيث أخذ الخط المعادى للامبريالية اتجاها معاديا لامريكا (١٥) ، والمعتقد انه لا يمكن الا نتفق مع ملاحظات فؤاد مرسى هذه .

ولكن لا ينبغى أن نغفل أمرا آخر هو أن تلك الفترة الاولى للثورة المصرية التى تميزت بالعمل المعادى للامريكيين والمعادى للانجليز ، كانت مرتبطة فى المجال الخارجى أيضا بجهود القيادة المصرية لرفع مكانة مصر فى كل العالم العربى وزيادة النفوذ المصرى فى البلاد العربية الاخرى وامتزج الاتجاه المعادى للامبريالية الذى تجسد فى مجموعة كاملة من الخطوات التى اتخذتها القيادة المصرية فى تلك الفترة بالاستفادة بالظروف العربية المحلية الخاصة والروح السياسية للجماهير الشعبية العربية الواسعة ، ولنذكر فى ذلك المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى القاهرة بمبادرة شخصية من جمال عبد الناصر فى أغسطس ١٩٥٣ وكان يبدو لاول وهلة انه يجب على المؤتمر الاسلامى العام أن يتعرض لمسائل الشريعة الاسلامية أولا ، وتطبيق العرف الاسلامى فى الحياة اليومية للبلاد العربية والخ ... ولكن المؤتمر ناقش مسائل سياسية هامة تقلق الشعوب الافريقية والعربية والاسيوية وقد اعلن ناصر فى ندائه للمؤتمر ، ان العالم العربى والعالم الاسلامى يواجه اليوم عدوا واحدا ، ونحن نتحد ضد خطر واحد ، هذا العدو هو الامبريالية ، وانه الفاقة والتخلف » (١٦) .

وفى منتصف الخمسينات ، وبالتحديد فى ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥ ظهرت أولى الخطوات وأولى النجاحات الضخمة لحركة عدم الانحياز التى كانت مصر من قادتها . ونتيجة لذلك ، أصبحت مصر من قادة حركة عدم الانحياز وأتيح لحكومتها أن تدعم العلاقات الدولية مع الدول ذات الاتجاه التقدمى وساعد عقد بعض المؤتمرات العربية فى القاهرة مصر على تقوية مناصريها وفى عدد من البلاد العربية وفى نهاية الخمسينات ، كان نشاط القوى المناصرة لمصر فى عدد من بلاد الشرق العربى ــ الاردن والعراق ولبنان ــ يمر وسط ظروف ، جعلت هذه القوى تبرز فى مقدمة نضال الشعوب العربية ، لانها كانت تعمل ، فى مواجهة النظم المناصرة للغرب فى هذه

---

(١٥) انظر مرسى الناصرية ونظرية الثورة « جمال عبد الناصر » فى مذكرات المجلد الاول القاهرة فى ١٩٧١ .

(١٦) « الاهرام » ٢٧ اغسطس عام ١٩٥٣ .

البلاد ، تعمل من مواقف سياسية اكثر حيوية وتنظيما وليس مصادفة أن الثورة العراقية فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ — على سبيل المثال — قد أعدت وقدمت على النمط المصرى الى حد كبير حيث وجد فى العراق تنظيم « الضباط الاحرار » بقيادة اللواء قاسم (وهو الذى قاد الثورة العراقية . وتشبه الخطوات الاولى للثورة العراقية الخطوات الاولى للثورة المصرية .

غير أن نجاحات النضال المعادى للامبريالية لمصر والزيادة الحقيقية الملحوظة لمكانة مصر وجمال عبد الناصر وبصفة خاصة فى العالم العربى وفى العالم كله فى بداية الستينات ، قد أدت الى ظهور بعض الاتجاهات السلبية فى السياسة الخارجية لمصر . ويجب قبل أى شىء أن نذكر بعضا من تلك الظواهر مثل الاعلان عن الاستثناء السياسى لمصر ، وخبرتها السياسية التى لا ريب فيها والآراء السياسية لقادتها ورفع شعارات التضامن الاقتصادى والسياسى لجميع البلاد العربية حول مصر والنداءات المتكررة حول وحدة الدول العربية فى إطار دولة واحدة مع التلميح بوضوح الى أن يكون هذا الاتحاد تحت قيادة مصر ويقوم على الشعارات التى يرفعها قادتها .

وكان من الممكن التحدث عن اتحاد البلاد العربية حول مصر كزعيمة معترف بها للعالم العربى لو أن كل البلاد العربية احتفظت على طابعها وعلى شكل الدولة بها مع تعميق الاتجاه المعادى للامبريالية فى سياستها الخارجية. لكن الحديث كان عن ضرورة أن تبنى البلاد القريبة حياتها السياسية الداخلية على نمط مصر — أى القضاء على الاحزاب السياسية والنقابات يعنى تقليد عدد من البلاد العربية مصر تقليدا أعمى تملية الظروف ، وتخلى شعوب هذه البلاد عن الانجازات الاقتصادية والاجتماعية ، التى حققتها نتيجة كفاحها .

ولذلك حدث تدريجيا شقاق فى نهاية ١٩٥٨ فى الجبهة العربية الواحدة التى تكونت فى هذا الوقت من الدول العربية التقدمية وظهرت وأخذت تتفاقم التناقضات الحادة بين مصر والجمهورية العراقية . وفى بداية ١٩٥٨ — كما هو معروف — اعلنت الجمهورية العربية المتحدة .

وقد ساعد على قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا وبخاصة فى ذلك الوقت مجموعة كبيرة من العوامل . وفى مقدمتها يجب أن نضع فى الاعتبار انه خلال ١٩٥٧ زادت بشكل كبير المؤامرات الامبريالية ضد سوريا . ولقد دفع بعض ممثلى القيادة السورية فى حبائل الدعاية الغربية التى أكدت أن سوريا توشك أن تشاهد انقلابا فى الدولة تكون نتيجته (بلشفتها) حتما ، الوقوع فى دائرة النفوذ السوفيتى .. ولقد قال : شكرى القوتلى — الذى كان رئيسا لجمهورية سوريا أثناء وحدة مصر وسوريا فيما بعد ، فى فبراير عام ١٩٦٠ فى حديث لمجلة « المصور »

القاهرية : « لقد كان قيام الاتحاد المصرى والسورى من الخطوات ، التى انقذت سوريا من الشيوعية » (١٧) .

وفي فترة ما قبيل الوحدة السورية المصرية وبعدها سعت الدعاية الامبريالية بنشاط الى المضاربة بأن الرئيس عبد الناصر قد وافق على قيام الجمهورية العربية المتحدة بفرض عدم السماح للنفوذ السوفيتى بالتغلغل الى سوريا . غير أن التحليل الموضوعى للحقائق يؤكد أن الحديث عن التهديد الشيوعى لسوريا لم يكن سوى ستار تختفى به الاعداء الحقيقيون للشعب العربى ، كما تخفى به عملاء الامبريالية الذين قتلوا فى تلك الفترة — كما هو معروف — عدنان المالكى البطل القومى السورى ولقد سعى الامبرياليون بكل القوى الىعرقلة تضافر العرب ، أما قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا فقد ساعد على تدعيم الاتجاه الوحدوى فى العالم العربى والأكثر من ذلك خلق مثالا جاذبا لمجموعة كاملة من الدول العربية التى كانت فى تلك الفترة فى اغلال القهر الامبريالى ونذكر فى هذا المقام اعلان ما يسمى بالاتحاد الهاشمى بين العراق والاردن والذى كان خطوة ضرورية من جانب القوى المناصرة للامبريالية للرد على قيام الجمهورية العربية المتحدة . غير أن هذا الاتحاد قد ولد ميتا منذ البداية واثبتت أحداث العراق (ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨) أن العامل الحاسم فى هذه الحالة ليس رغبة مملكتين فى توحيد جهودهما فى وجه حركة التحرير النامية العربية ، بل ارادة الشعب الثائر . . وقد انتهى وجود الاتحاد الهاشمى مع سقوط الملكية فى العراق .

ولقد حمل قيام الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ طابع الاستعجال الى حد ما ، ومن هنا كانت تلك التعقيدات ذات الطابع السياسى الداخلى ، التى اصطدمت بها قيادة هذه الدولة الجديدة فى المرحلة الاولى لوجودها . وقد أدت هذه الصعوبات فيما بعد الى تعقيدات داخل الجمهورية العربية المتحدة بين الاقليمين الشمالى « السورى » والجنوبى « المصرى » وفى النهاية سهلت مهمة القوى ، التى أدت الى سقوط الجمهورية العربية المتحدة .

ولقد أشرنا سابقا الى الترويج لاستثنائية التجربةالسياسية لمصر ، ومن هنا جاءت الدعاية عن الاستثناء القومى لمصر والمصريين . وبطبيعة الحال يؤدى هذا النوع من السياسة الى كبوات ولكنها ساعدت مصر على الاحتفاظ بدورها القيادى فى العالم العربى على أن تبقى راية للقوى التقدمية فى الشرق العربى الى حين . وقد تزعزع هذا الوضع لاول مرة نتيجة ثورة يوليو فى

---

(١٧) «المصور » ١٨ فبراير عام ١٩٦٠

العراق ١٩٥٨ حينما ظهر في الشرق العربي موطن جديد للحـــركة المعادية للامبريالية الديمقراطية وحينما أخذ النشاط القوى « المركـــزية » ، التى كانت تعمل في إطار وحدة القوى الاخرى حول مصر ، وتعمل من أجل التحرر الوطنى ضد الامبريالية والاستعمار ومن أجل التفاف الدول العربية الاخرى حول مصر ، أخذ يضعف بوضوح تحت تأثير القوى (غير المركزية) ، التى ادت الى انشاء مراكز أخرى في العالم العربى واصبحت ايضا عامل جذب ، لسبب أو لآخر وراية للنضال التحررى للشعوب العربية .

وهذا الظرف بالطبع لا يلغى بالطبع بحـال من الاحوال الاهمية التاريخية ــ سواء فى الماضى أو الحاضر ــ لنضال شعب مصر ضد الامبريالية والاستعمار ، ولا ينفى ذلك الدور الضخم ، الذى لعبته وتلعبه مصر فى الشرق العربى .

لقد كان القادة المصريون وأولهم ناصر يدركون أن المزج الناجح للاجراءات السياسية الداخلية التقدمية بالخط المعادى للامبريالية فى السياســـة الخارجيـــة سيساعد على حيوية واضفاء قوة جـذب على السياسة الخارجية لمصر ، وهذا بدوره سيساعد على حفظ وتدعيم الوضع القيادى لمصر فى العالم العربى ولقد حدد اجراء التعبيرات الاقتصادية الاجتماعية التى بدات فى مصر بالمبادرة المباشرة لعبد الناصر شخصيا ولمدة طويلة لا الاتجـــاهات الجديدة لتطور السياسة الداخلية لمصر فحسب ، بل خلق مجالا جديدا لقوة جــذب مصر كذلك ولاسيما أن قــوة الجــذب هــذه متمثلة فى التغيـــرات الاقتصادية الاجتماعية لصالح الشعب ــ كانت هامة وخطيـــرة لان الدول العربية الاخرى ظلت تحتفظ لمدة طويلة بالعلاقات شبه الاقطاعية فى القرية ، وفضلا عن عدم تطور قطاعات الصناعة وسعى بعض حكومات البلاد العربيـــة الى الابقاء على وضعها كمصدر للمواد الخام تابع للدول الامبريالية كما أن جزأ من البلاد العربية كان يعتمد فى تخطيطه عـــلى محصول واحد فقط ، وعلى سبيل المثال ــ وجه الانجليز السودان لانتاج محصول واحد فقط هو القطن ، وفى العــراق تطـورت صناعة استخراج النفط وحـدها ، وهـذا كان يضر بفروع الصناعة الاخرى .. الخ .

وهكذا انعكست التغييرات الاجتماعية الاقتصادية ، التى بدا اجراؤها فى مصر فى بداية الستينات بصورة كافية وبسرعة ، فى أن الدور القيـــادى لمصر فى العالم العربى لم يظل كما هو فحسب ، بل ازداد تدعمـــا كذلك ، وزادت كبوة المصريين بعد عدوان يونيو الاسرائيلى فى سنة ١٩٦٧ من نشاط القوى المعادية للمصريين فى العالم العربى وترددت أصوات عن أن مصر قد توقفت عن لعب الدور القيـــادى فى العالم العـــربى . والجـــدير بالذكر أن أصحاب هذه الاستنتاجات هم أعداء مصر العلنيون وكل من كان التـــزم الصمت متخفيا بعض الوقت وينتهز الفرصة المناسبة ، وكل من كان ينتظر اى خلل فى سياسة المصريين واى ثغرة فى الخط المعادى للامبرياليـــة

والتقدمي لجمال عبد الناصر . ومن بين أعداء مصر الحديثة ، أعداء أشد خطورة يرتدون ملابس أصدقاء مصر — ومنهم النظام الملكي في العربية السعودية ، الذي يسعى منذ زمن الى أن يلعب دورا قياديا في العالم الاسلامي ويبغى زعامة العالم العربي كله .

ويمكن القول ، بأن الثورة في مصر ، وبالتالي ، فان تطور العالم العربي ككل قد بدأ منذ لحظة العدوان الاسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ — مرحلة جديدة ، تتميز بالصراع بين اتجاهين : اتجاه نحو التقوية والتدعيم العالمي لعلاقات الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي واتجاه الى التفاهم مع الامبريالية ونحو التقهقر امام الضغط الامبريالي ، وحرمان نضال الشعوب العربية المعادي للامبريالية من مضمونه ، ونحو المسايرة وعدم التشدد وفي بعض الاحوال نحو التشجيع المباشر لمعاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت .
وفي تلك الفترة بالذات ، ظهر بوضوح بعد نظر الكثيرين من قادة العالم العربي ، الذين قامت سياستهم منذ زمن بعيد على أساس التحالف مع الاتحاد السوفيتي وان الدول العربية لا تستطيع ان تحرز النجاح في صراعها مع اسرائيل وأن تزيل آثار العدوان الاسرائيلي ، وأن تحقق انجازات جديدة في التنمية الاقتصادية الاجتماعية فيها رغم بقاء جزء من أراضيها تحتله اسرائيل — الا بالاعتماد على الدول الاشتراكية .

ومن هنا أصبح السعي الموضوعي نحو اتباع خط الصداقة مع الاتحاد السوفيتي وتدعيم العلاقات الشاملة معه — أصبح ذلك شعارا لمجموعة كاملة من البلاد العربية بعد عدوان يونيو . ومرة أخرى هنا يجب أن يذكر أن مصر الناصرية ، التي تحملت كثيرا من الصعوبات نتيجة للعدوان الاسرائيلي استطاعت أن تتخطى هذه الصعوبات ، معتمدة على معونة البلدان الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي ، حيث تمكنت خلال فترة وجيزة لا من اعادة بناء قدراتها العسكرية فحسب ، بل حققت نجاحات جديدة في تنمية الاقتصاد ، وتدعيم قدرتها الدفاعية .

والجدير بالذكر أن القيادة السورية أكدت هي الاخرى صداقتها مع الاتحاد السوفيتي بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ .

وأخيرا ، تعتبر أحداث ١٧ يوليو ١٩٦٨ في العراق ، التي عادت بحزب البعث من جديد الى السلطة تعتبر أيضا تأكيدا لهذا الاتجاه . لقد استنتج البعثيون العراقيون الذين لم ينسوا الدروس الصعبة لهزيمتهم في نوفمبر ١٩٦٣ ، حين رفضوا التحالف مع القوى الوطنية في العراق ، وحين أدت بهم موجات التنكيل بالقوى التقدمية والديمقراطية الى العزلة في بلادهم ، وهذا مما اعتبر سببا أساسيا لهزيمتهم وسببا مباشرا لعدم نجاحهم على مستوى العالم العربي — لقد استنتجوا أن التحالف الوثيق مع الاتحاد

السوفيتي باعتباره القوة المعادية للامبريالية فى العالم من شانه ان يؤدى الى نجاح نضال شعب العراق . ومن هنا نبعت الخطوات ذات الاتجاه الراديكالى فى الحياة الداخلية للعراق ، مثل اتفاقية ١١ مارس ١٩٧٠ الخاصة بالمسألة الكردية ، التى حسمت أخيرا وهى المسألة الصعبة ، المترتبة عن السيطرة الاستعمارية على مصلحة كل الشعب العراقى . ومن هنا ينبع كذلك اصدار مشروع ميثاق العمل الوطنى فى العراق عام ١٩٧١ وهو المشروع الذى ايدته كل القوى التقدمية فى المجتمع العراقى ، ومن بينها الحزب الشيوعى ، ونبعت أيضا الخطوات الناجمه لانشاء الجبهة الوطنية فى العراق .

والتنوع والتباين فى الظروف السياسية الداخلية فى البلادالعربيةواضحان ولكن يوجد – لدى شعوب هذه البلاد شيء ما ، مشترك ، وهو انها معنية بالقضاء على بقايا الاستعمار وكل آثاره على الارض العربية . ومن المعروف ، أنه لا توجد دولة عربية تدخل فى الاحلاف السياسية العسكرية التى تقيمها الدول الامبريالية وأن عدم الانحياز والمعاداة للامبريالية قد اصبحا المبدأ الرائد فى السياسة الخارجية فى العالم العربى .

ويدل تقارب الدول العربية ، الذى يعتبر عملية طبيعية تاريخية واتخاذ اتجاه واحد للعمل ، على نمو وعى الشعوب العربية ويتأكد الاتجاه المعادى للامبريالية لهذه العملية من أن الدول الامبريالية تسعى بكل الوسائل الى عدم السماح بتقارب البلاد العربية والى تشعب صفوفها وتأليب بعضها على بعض ، واستغلال الصعوبات وعدم الفهم فور ظهورهما فى التوتر فى العلاقات بين الدول العربية وفى نفس الوقت لا يتخلى الامبرياليون عن استغلال سعى العرب نحو الوحدة لمصلحتهم ، فيدافعون عن انماط معينة من « الوحدة العربية » التى يمكن تسميها على الاحرى بخطط انفصالية .

وكانت بريطانيا العظمى قد أيدت عام ١٩٤٣ ما قدمه فى ذلك الحين ملك العراق وملك شرق الاردن من مشاريع مثل ما يسمى « سوريا الكبرى » و « الهلال الخصيب » . وقد تأكدت البلاد العربية اكثر من مرة من الناحية العملية ، ان هذه الخطط – مثلها مثل قيادة الشرق الاوسط وحلف بغداد والحلف المركزى ، وأخيرا الخطط الاخيرة « للحلف الاسلامى » – لا يجمعها شيء مشترك ، مع الوحدة الحقيقية التى لا يمكن أن تصبح عاملا لتقدم البلاد العربية الا فى حالة قيامها على آمال الجماهير الشعبية للرأى العام التقدمى .

ان فكرة العمل المشترك على اساس معاد للامبريالية تشق طريقها رغم العقبات ذات الطابع الموضوعى والشخصى ، وليس مصادفة أن الدول ذات النظم التقدمية هى التى تقوم بشكل خاص مبادرات الخطط الحقيقية لتقارب العرب المعادى للامبريالية .

ورغم اختلاف الظروف السياسية الداخلية ، تقف البلاد العربية التى وحدها الهدف المشترك للقضاء على بقايا الاستعمار وآثاره على أراضيها ، بدرجة أو بأخرى ، ـ تقف هذه البلاد العربية ضد السياسة الامبريالية فى الشرق العربى . ان المهام العامة للنضال من أجل الاستقلال السياسى وضد عدوان الامبريالية تقرب الشعوب والدول العربية وتهيىء الظروف الموضوعيــــة الضرورية للعمل الموحد على المسرح العالمى . ولهذا السبب اصبحت المعاداة للامبريالية المبدأ السائد فى السياسة الخارجيــة للعالم العربى .

الباب الخامس

الدرع الامين

لقي المبدأ اللينيني للتعايش السلمي للبلاد ذات نظم الحكم المختلفة اقتصاديا واجتماعيا والذى يشكل أساس السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي وجميع البلدان الاشتراكية ـ لقى هذا المبدأ اعتراف أغلب شعوب العالم وتحول الى واحد من أهم خصائص التطور العالمى فى الفترة المعاصرة .

وتنعكس بين البلدان قوة وحيوية هذا المبدأ فى تطور وتدعيم علاقات الصداقة الشاملة بين البلدان الاشتراكية والدول الفنية فى العالم العربى التى حصلت على الاستقلال السياسى واتخذت طريق النضال من أجل الاستقلال الاقتصادى والسياسة الخارجية اللينينية للاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى ازاء الدول النامية الفنية فى الشرق العربى لا تمليها حالة السوق او اعتبارات تكتيكية . بل تنبع من نفس طبيعة نظام الدولة والمجتمع الاشتراكى ، وتعتبر هذه السياسة الاساس المتين ، الذى بنيت عليه الصداقة القوية بين شعوب بلاذ المعسكر الاشتراكى والشرق العربى .

وكان ف. لينين قد قال قبل ثورة اكتوبر « سوف نبذل كل جهودنا لكى نقترب ونندمج مع المنغوليين والفرس والهنود والمصريين ، ونحن نرى أن واجبنا ومصلحتنا عمل ذلك » (١) .

وقد اعلنت روسيا السوفيتية الفتية فى أولى وثائقها التاريخية « اعلان حقوق الكادحين والشعب المستغل » و « الى جميع الكادحين المسلمين فى روسيا والشرق » نيابة عن العمال والفلاحين المنتصرين ، تخليها بالكامل عن السياسة البربرية للحضارة البورجوازية ، التى حققت الرخاء للمستغلين فى عدد قليل من الامم المختارة على حساب استعباد فئات من ملايين السكان العاملين فى آسيا وفى المستعمرات بصفة عامة وفى البلاد الصغيرة » (٢) . ورفضت أول دولة اشتراكية فى العالم ، بمحض اختيارها

---

(١) ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المجلد ٣٠ ص ١٢٠

(٢) ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المجلد ٣٥ ص ٢٢٢

الاتفاقيات والمعاهدات غير المتكافئة ، التي ربطت فيها روسيا القيصرية بعض بلدان الشرق واقامت معها علاقات الصداقة وحسن الجوار .

غير ان علاقات الاتحاد السوفيتي قبل الحرب العالمية الثانية مع البلاد العربية كانت محدودة ، ذلك أن غالبية تلك البلاد كانت في وضع المستعمرات أو شبه المستعمرات للدول الامبريالية ، التي عرقلت بكل قواها قيام وتطوير علاقات مباشرة بين البلاد العربية والاتحاد السوفيتي. ومن الجانب السياسى ، ظهرت علاقات الاتحاد السوفيتى مع البلاد العربية ، قبل الحرب العالمية الثانية ، وبشكل رئيسي ــ ظهرت هذه العلاقات فى التأثير المعنوى الفعال للنضال العادل لشعوب البلاد العربية من أجل الاستقلال السياسى ، ومن الناحية الاقتصادية ظهرت هذه العلاقات فى تبادل الصادرات بقدر ليس بذى أهمية . وقد تغير جو العلاقات العربية السوفيتية بشكل حاد بعد الحرب العالمية الثاية . فان الانتصار التاريخى للاتحاد السوفيتي على المانيا واليابان الفاشية والنمو الضخم لقوى الاشتراكية وتفاقم أزمة النظام الاستعمارى للامبريالية ــ أدى الى النمو العاصف لحركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية ، وقد أدى هذا الى حصول غالبية بلدان الشرق العربى على استقلالها الوطنى ، وأستبعد الكثير من العقبات التى وجدت من قبل على طريق اقامة علاقات صداقة بين الاتحاد السوفيتى وبين هذه البلاد .

ان ظهور النظام العالمى للاشتراكية ، الذى أصبح عاملا حاسما للتطور الاجتماعى وظهور نمو القدرة الاقتصادية للاتحاد السوفيتى أوجدا عقبات جدية أمام الدول الرأسمالية ، التى سعت الى « فرملة » عملية قيام سياسة واقتصاد مستقلين للبلاد العربية كما خلقا امكانيات واسعة وواقعية لتقدم البلاد العربية الثقافى والاقتصادى والسياسى بفضل التأييد الاقتصادى والسياسى غير المغرض للاتحاد السوفيتى ، وبدأت مرحلة جديدة فى تنمية وتدعيم العلاقات العربية السوفيتية .

والمبادىء اللينينية للسياسة الخارجية هى المساواة والاعتراف المتبادل بحقوق السيادة واحترام سلامة الاراضى وعدم الهجوم وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى لاى سبب سواء كان ذا طابع ايديولوجى او اقتصادى أو سياسى ــ وكل ذلك أصبح أساسا للعلاقات السوفيتية العربية المتبادلة .

ان اعادة الموقف فى الشرق الاوسط الى حالته الطبيعية واحتواء البؤرة الحادة للخطر العسكرى واقامة سلام عادل وطيد فى هذه المنطقة وتسوية النزاع الاسرائيلى العربى ، الآخذة بعين الاعتبار للمصالح المشروعة لجميع البلدان والشعوب المشتركة بشكل مباشر فى هذا النزاع ، الى جانب التنمية المتعددة الجوانب ، وتعميق علاقات الصداقة مع البلاد العربية الى أبعد

مدى ـ هذا هو المضمون الاساسي والفكري والمبادىء الرائدة لسياسة الشرق الاوسط السوفيتية ، التي دعمها برنامج السلام ، الذي أصدره المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي والذي أكدته من جديد قرارات الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في ابريل ١٩٧٣ .

لقد كانت سياسة الشرق الاوسط دائما ولا تزال جزءا لا يتجزأ لكل السياسة الخارجية اللينينية المحبة للسلام للدولة السوفيتية . ويحدد هذا الشرط الحاسم مقدما جوهر سياستنا ازاء التسوية الدائمة لمشكلة الشرق الاوسط المعادية للامبريالية وطابع عدم قبول الحلول الوسطى ازاء ما يسمى حماية مصالح جميع شعوب منطقة الشرق الاوسط .

ويعتبر الاتحاد السوفيتي القوة الحقيقية الحاسمة الى حد كبير التي تؤثر مباشرة على نمو حركة التحرر الوطني للبلاد العربية ونجاحها . وليس هناك أدنى شك في أن المعونة الشاملة الجوانب لحركة التحرر الوطني العربية ليست هي الشيء الذي يقدمه بلدنا منذ فترة طويلة لأن بلدنا يساعد أيضا على احباط المخططات المغرضة للدول الامبريالية في العالم العربي ، وعلى نجاح نضال العرب من أجل تحررهم الوطني والاجتماعي ، بل يساعد على هذا كذلك وجود الاتحاد السوفيتي ذاته كحصن امين لكل القوى المعادية للامبريالية . وحينما تسهم السياسة السوفيتية في الشرق الاوسط في ازدياد وعي دول الشرق العربي التي اتخذت طريق التحولات الاقتصادية الاجتماعية التقدمية ـ لمهام نضالها المستقبلية ومهام بناء الدولة ، وتسهم كذلك في أزدياد ادراك الاهمية الحيوية لتدعيم تحالف القوى الوطنية والديمقراطية في كل بلد عربي على حدة ، وفي العالم العربي ككل ـ ذلك لان السياسة السوفيتية تضع في حسبانها وبصورة متناهية الدقة كل المصالح الحيوية لشعوب ودول هذه المنطقة .

غير أنه كان من الخطأ الاعتقاد بأن الدول العربية قد اتخذت بشكل نهائي وقدم ثابتة طريق التعاون الوثيق مع البلدان الاشتراكية حليفها الطبيعي الامين ، واذا كان تطور التعاون الشامل وعلاقات الصداقة بين الاتحاد السوفيتي والبلدان العربية يحمل في الكثير طابع عدم العودة فان هذا لا يعني أن هذه العملية الهامة في الظروف التاريخية الحالية ـ التي تشهد على القوة الكامنة في وحدة الاشتراكية العالمية مع حركة التحرر الوطني ـ تمر بطريق مفروش بالورود بدون صعوبات . لأن القوى المناصرة للامبريالية والرجعية في العالم العربي تعمل كل ما هو ممكن لكي تضعف وتقوض الصداقة السوفيتية العربية وتعزل الشعوب العربية عن الاصدقاء المخلصين لها ولتعوق حركة الدول العربية على طريق التقدم وعلى طريق التغييرات الاقتصادية

الاجتماعية الى اقصى الحدود ، ولتعود بالعرب الى احضان الغرب ، وتستخدم هذه القوى السهام المسمومة لمعاداة الشيوعية ومعاداة السوفيت وتقلب ، عدم ثبات بعض قادة البلاد العربية ، والمستوى المنخفض للوعى السياسى للجماهير الشعبية وضعف الطبقة العاملة ... الخ — لبلوغ اهدافها وليس مصادفة ان استخدمت فى وقت من الاوقات الافتراءات المختلفة بان الاتحاد السوفيتى يجد مصلحته فى بقاء « حالة عدم الحرب وعدم السلم » فى الشرق الاوسط وانه « تواطأ » مع الولايات المتحدة الامريكية ، ولذلك لا يسمح « للبلاد العربية بتحرير الاراضى التى احتلتها اسرائيل بالقوة وما شابه ذلك » ومن المؤسف حقا أن تجد مثل هذه الاتهامات السخيفة فى حق البلد الصديق للعرب ، الذى فعل الكثير لتدعيم الاستقلال الاقتصادى والسياسى للدول العربية ، صدى على صفحات صحف بعض البلاد العربية والاكثر من ذلك ، أن بعض القادة العرب يشجعون فى الواقع هذه الحملة الكاذبة .

ومهما كانت الصعوبات فان الاتحاد السوفيتى سيظل يقدم المعونة العسكرية والاقتصادية الكبيرة للبلاد العربية الصديقة — مصر وسوريا وجمهورية اليمن الشعبية والعراق والجزائر وليبيا — وهى الدول التى اختارت طريق التنمية التقدمية . وتعتبر شعوب البلاد العربية الاتحاد السوفيتى حليفها الامين فى النضال ضد مؤامرات الامبريالية والرجعية . وفى هذا ترى الشعوب السوفيتية واجبها الاممى الذى ستواصل تأديته بقدسية . لقد اكسبت سياسة المعونة غير المغرضة الثابتة المبدأ ، لشعوب الشرق العربى ، التى تناضل من أجل حقها فى بناء حياتها وفقا لما ترتضيه وليس وفقا لارشادات الامبرياليين والمستعمرين ، — اكسبت سياسة المعونة هذه ، الاتحاد السوفيتى حب واحترام جميع الشرفاء وجميع الوطنيين والجماهير الشعبية العريضة فى البلاد العربية .

ويقدم الاتحاد السوفيتى للبلاد العربية فى الوقت الحالى ، حيث بدأ المرحلة الثانية لثورة التحرر الوطنى فى غالبية البلاد العربية ، مرحلة بناء اقتصاد وطنى مستقل وتقدم ثقافى ، اى خلق الاسس المتينة لتدعيم الاستقلال السياسى ، الذى — حصلت عليه — يقدم مساعدة كبيرة فى حل المشاكل المعقدة للبناء الثقافى والعسكرى والاقتصادى .

وحينما يقوم الاتحاد السوفيتى بتطوير العلاقات النشيطة الشاملة مع البلاد العربية بوصفها من أهل فصائل حركة التحرر الوطنى ، : ينطلق أولا واخيرا من منطلق ازدياد القوى المعادية للامبريالية فى البلاد العربية ودورها المتزايد فى العملية الثورية العالمية .

لقد كان — ولا يزال — دور الاتحاد السوفيتي ودول الاسرة الاشتراكية في تطور حركة التحرر الوطني للشعوب العربية الى مدى اوسع وعمق اكثر ، وقيام دولة عربية مستقلة واتخاذ قادة البلاد العربية اجراءات حاسمة لتدعيم الاستقلال السياسي لبلادهم والخطوات الناجحة على طريق الحفاظ على استقلالهم السياسي — تلك العمليات المعقدة ، وفي بعض الاحيان المتناقضة ، والتي تميز المرحلة التاريخية المعاصرة ، التي يعيشها العالم العربي ، — كان دور الاتحاد السوفيتي ولا يزال ينحصر في التأييد العسكري والاقتصادي والايديولوجي والسياسي المباشر ، وفي مختلف أنواع التأييد للقوى والاحزاب والجماعات والتنظيمات السياسية والطبقية ، التي جعلت معاداة الاستعمار والامبريالية راية لنضالها وشعارا لنشاطها العملي اليومي . ويعتبر هذا التأييد عامل تعجيل هاما بجميع الظواهر والعمليات والميول التقدمية التي تشكل نباين الوضع الحالي في العالم العربي . ولكن التقدم — كما هو معروف — يبدأ دائما بالنضال ضد التخلف الموروث من الماضي الاستعماري المرير ، ولا يعتبر العالم العربي استثناء من هذه الناحية . فان الحاجز الذي يقسم شعوب البلاد العربية الممتدة على مساحة ضخمة من المحيط الاطلنطي حتى الخليج الفارسي لا يتجسد في الحدود الدولية ، بل يتجسد في عقول وقلوب عشرات كثيرة من ممثلي مجموعات اجتماعية مختلفة من ملايين العرب الفلاحين والمهندسين والدبلوماسيين والتجار والعسكريين ورجال الدين ويمكن تتبع هذا الحاجز بسهولة ، في نشاط المنظمات والأحزاب السياسية العربية المختلفة ، كما يمكن رؤيته في خط السياسة الخارجية والداخلية للدول العربية ، التي توجد حتى الوقت الحاضر الى حد ما على مستويات مختلفة من التطور الاقتصادي والاجتماعي .

وهذا الحاجز هو العلاقة نحو الامبريالية ، والعلاقة الفعلية لا المعلنة ، وفهم « او على العكس عدم الفهم » ذلك العنصر الحاسم لمصائر الامة العربية المتمثل في ان الامبريالية ، مهما تسترت بأقنعة جذابة ، لم تكن ، ولن تكون ، حليفا ابدا او حتى رفيق طريق للعرب في نضالهم الذي لا يتوقف من اجل التحرر السياسي ومن أجل التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

ومن الطبيعي تماما ، ان الامبريالية تفعل الكثير ، لكي تعرقل عملية ضعف مراكزها المستمر في البلاد العربية . وهي العملية التي تتسم بالحتمية فهي من ناحية — تدافع بشدة عن بقايا الاستعمار ، ومن ناحية اخرى تسعى بوسائل الاستعمار الجديد الى عرقلة التقدم الاجتماعي والاقتصادي للدول والبلدان النامية ، التي حصلت على سيادتها القومية كما تستخدم كذلك في هذا الرجعية العربية التي تعتمد على القوة الاقتصادية والايديولوجية والسياسة للامبريالية ، ولا تكترث بشيء في سبيل ان تشوه في أعين العرب

البسطاء كل ما هو مرتبط من بعيد او قريب بظواهر التقدم والديمقراطية والاشتراكيــة .

ولهذا خاصــة توجه قوى الامبريالية والرجعيــة فى العالم العربى ، الضربة الرئيسية ضد الاتحاد السوفيتى وبلدان العالم الاشتراكى الاخرى وضد الصداقة السوفيتية العربية القائمة على وحدة افكار النضال المعادى للامبريالية . والهدف هنا مزدوج هو اخافة العــربى البسيط من « شبح الشيوعية » والترويج للفكرة القديمة حول عدم تطابق مصالح البلاد العربية مع الاتحاد السوفيتى ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، الهدف هــو الترويج ـ على مستوى واسع وصريح ـ لطبيعة علاقات البلاد العربية مع العالم الغربى وترويج أن العــرب لن يستطيعوا بلوغ أهــدافهم القوميــة ، الا اذا آمنوا برسالة الغرب أزاء العرب ، هذا الى جانب خداع العرب بأقاصيص عن أن مفتاح حل النزاع العربى ـ الاسرائيلى يوجد فى أيدى الغرب أو يكاد يكون فى « جيب » الولايات المتحدة الامريكية .

ولكن العجيب ، أنه كلما بذل أعداء الشيوعية والاتحــاد السوفيتى فى العالم العربى جهدا اكبر ، وكلما زادت شراسة كذبهم ، ازداد عدد العرب البسطاء ـ الذين كانت السياسة العليــا بالنسبة لهم حتى الامس ، قصرا على « الافنــدية » المتعلمين والمثقفين ـ الذين يرون فى الشعوب السوفيتية أصدقاءهم الطبيعيين المخلصين .

وقد أصبح التعاون بين الاتحاد السوفيتى والبلاد العربية فى المجالات السياسية والاقتصادية والمجالات الاخرى فى السنوات الاخيرة عاملا هاما فى العلاقات الدولية المعاصرة . وتعتبر العمليات الداخلية الهامة فى البلاد العربية ، التى ادت بعد الحرب العالمية الثانية الى قيام مجموعة كاملة من الدول المستقلة سياســيا فى الشرق الاوسط اتخذ البعض منها مع مرور الوقت طريق التنمية غير الراسمالية ـ تعتبر نتيجة سياسية للتطور الناجح لهذا التعاون . ومن الطبيعى تماما انه كلما اخذ هذا الاتجاه التقدمى لهذه الدول خطا ثابتا اكثر ، ازدادت علاقات الاتحاد السوفيتى معها قوة وعمقــا وتعددت جوانبها .

غير أن هذا لايعنى أن هناك افضلية لدولة ما او لمجموعة دول فى علاقات الاتحاد السوفيتى مع البلاد العربية . ويعتمد إتساع وتنوع علاقات الاتحاد السوفيتى مع مختلف البلاد العربية ـ فى الواقع ـ لا على مكانة هذا البلد او ذاك فى نظام السياسة العربية بل على كيفية بناء علاقاته مع البــلاد العربية الاخرى .

وهنا يبرز دور المعيار الإساسي الذى اخذته النـاحية العملية ، وهـو أن تتخلل معاداة الامبريالية سياسة البلد الخارجيـة ، هذا اذا كان قـادته يهدفون الى تعميق خط السياسة الخارجية المعادية للامبريالية وبخطى ثابتة ووضوح رؤية ذلك لان هذا النهج رغم عدم استقرار ملامح السياسة الداخلية للقوى الموجودة فى السلطة فى البلاد العربية ، يؤدى دون شك الى تحولات تقدمية فى السياسة الداخلية والى اجراءات اساسية ترمي الى القضاء على التخلف الاقتصادى الذى اسـتمر قرونا كما يؤدى الى انهاء التبعية للدول الامبرياليـة .

ويعتبر التعاون الاقتصادى بين الاتحاد السوفيتي والبلاد العربيـة جزءا صغيرا فقط من ذلك البرنامج الكبير ، الذى ينفذه الجـانب السوفيتى فى علاقاته مع دول آسيا وافريقيا اللاتينية الكثيرة . وتستخدم البـلاد العربية التعاون مع الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى كسلاح فعال فى جهودها الخاصة بتنمية الاقتصاد القومى وتدعيم استقلالها . وقد اكـد ن.ف. بودجـورنى فى خطـابه فى ٢٦ مايـو ١٩٧١ بالقاهـرة أن « التجربة تعطينا امثلة كثيرة ، على أن الدول النامية لا تستطيع بنجـاح ان تحصل على الاستقلال السياسى والاقتصادى الحقيقى وأن تجابه سطوة الامبريالية الا بالتعاون مع البلدان الاشتراكية وجميع القوى التقدميـة فى العالم . ومثال ذلك الواضح هو الانجـازات شعب الجمهورية العربية المتحدة فى ظل العلاقات السوفيتية المثمرة والمتناهية فى المجالات السياسـية والاقتصادية والعسكرية والمجالات الاخرى » (٤) .

ان معونة الاتحاد السوفيتى الاقتصادية للبلاد العربية موجهة الى تطوير قواها الانتاجية فى مجالات الانتاج وعلى راسها مجال الصناعة .

وقد اقيمت بمساعدة الاتحاد السوفيتى فى مصر — على سبيل المثال — مشروعات صناعية هامة فى مجالات الاقتصاد الهامة ، فى صناعة الماكينات وفى الصناعة الكيماوية والمعادن الحديدية وغير الحديدية والطاقة ومن بينها الطاقة النووية . وتشكل القروض السوفيتية طويلة الاجل لأغراض التنمية الاقتصادية بمصر حوالى ٣٠ ٪ من المبـلغ الاجمالى للقروض التى حصلت عليها مصر من الخارج للاغراض المشـار اليها ، كما أن قروض البـلدان الاشتراكية الاخرى تشكل ٤٩٪ فى المائة من اجمالى القروض .

والقروض التى حصلت عليها سوريا من الاتحاد السوفيتى تشكل ٥٠ ٪ من اجمالى القروض والمعونات التى حصلت عليها سوريا من الدول

---

(٣) المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية وثائق ومواد ص ٢٨٧

(٤) البرافدا ٢٧ مايو عام ١٩٧١

الاخرى لأغراض التنمية الاقتصادية ، وتم بمساعدة الاتحاد السوفيتي انجاز المرحلة الاولى لمحطة كهرباء الفرات وحقول ارسال الكهرباء ويجرى توسيع نطاق آبار البترول الوطنية ومد السكك الحديدية .. الخ ..

ويتطور التعاون الاقتصادي بنشاط بين الاتحاد السوفيتي والعراق وخاصة في مجال استخراج النفط والرى . وتم في العراق بمساعدة الاتحاد السوفيتي مد سكة حديد بغداد ــ البصرة واقيم أكبر مصنع في الشرق الاوسط للالات الزراعية ومجموعة هامة من مشروعات الاقتصاد الوطنى ولمساعدة الاتحاد السوفيتي للعراق في قيام صناعة النفط الوطنية ــ وبالذات ــ استخراج النفط في منطقة الرميلة الشمالية أهمية كبيرة .

وتعتبر جميع المشروعات الصناعية التى اقيمت بمعونة سوفيتية مجالا هاما جدا لتعاون الاتحاد السوفيتي الاقتصادى مع البلاد العربية في مجال بناء صناعاتها المستقلة ، ذلك لان جميع هذه المشروعات الصناعية مشروعات ذات فعالية كبيرة من وجهة النظر الاقتصادية ومن حيث اختيار المجال كما أن طاقاتها تقوم على أسس سليمة من الناحية الاقتصادية .

ويعتبر مجمع اسوان للطاقة اوضح مثال على ذلك فقد حصلت مصر ببنائه لا على قاعدة ضخمة للطاقة للصناعة فحسب ، بل على امكانيات اضافية للرى يؤدى الى زيادة مساحة الاراضى المنزرعة ٢٥٪ .

ولقد جاء في الاعلان السوفيتي المصرى المشترك ، الذى تم توقيعه بمناسبة الاحتفال بافتتاح مجمع اسوان للطاقة في ١٥ يناير ١٩٧١ ، أن « انهاء بناء مجمع اسوان للطاقة بنجاح يعتبر نصرا كبيرا للشعب المصرى ودليلا على عزمه الاكيد على السير على طريق التقدم الاقتصادى الاجتماعى وتدعيم استقلال البلاد » . واشار الاعلان بصفة خاصة الى ان « اسوان أصبحت نموذجا حقيقيا للعلاقات الصحية المتكافئة بين الدول ودليلا ساطعا على أن البلدان الفتيه النامية تستطيع تحقيق نجاحات كبيرة في تدعيم استقلالها السياسى والاقتصادى بالتعاون مع القوى الاشتراكية (٥) » .

ويعتبر اعداد الاخصائيين ذوى الكفاءة العالية من إعداد المواطنين العرب في الكليات والمعاهد السوفيتية سمة مميزة للتعاون السوفيتي العربى . فتؤكد البيانات الرسمية انه أول يونيو ١٩٧٢ ، وفى فترة لاتزيد كثيرا على عشر سنوات تم اعداد ٣٩١٠ اخصائى من ذوى التعليم العالى من البلاد العربية في الاتحاد السوفيتي ، من بينهم ما يزيد على ٩٠٠ انهوا دراساتهم العالية . ووفقا لبيانات نفس تلك الفترة ، تواجد في الاتحاد

---

(٥) « البرافدا » ١٦ يناير عام ١٩٧١

السوفيتي للدراسة ٢٥٦٢ طالبا وطالبة ، دراسات عليا عربية ، من جميع الدول العربية عدا بلدين عربيين فقط هما قطر ودولة الامارات العربية المتحدة ، ولكن تغير هذا الوضع بعد بداية العام الدراسى ٧٢٪١٩٧٣ .

لقد تكونت العلاقات السوفيتية العربية فى خضم النضال المشترك المعادى للامبريالية ، وهى علاقة لاتتأثر باعتبارات وقتية ولكن بوحدة الهدف. وقد قال ج . ع . الناصر أن الصداقة العربية السوفيتية بالنسبة لشعوبنا ، ليست ظاهرة مؤقتة ، فقد أصبحت عاملا دائما ، ينتشر تأثيره على النضال باسم الحرية والسلام . وهى تتأكد بالثقة المتبادلة ، النابعة من الفهم العميق لمشاكل النضال ، الذى يخوضه كلا الجانبين . ويوافق جميع الوطنيين العرب على هذه الكلمات . والتطبيق القائم للتبادل الصريح الواسع للآراء « ازاء مسائل العلاقات الجانبية والمشاكل الاساسية للوضع العالمى المعاصر والنضال من أجل التسوية العادلة لمشكلة الشرق الاوسط » القائم بين القادة السوفييت وقادة الدول العربية التقدمية ــ مصر وسوريا ، العراق والجزائر واليمن الجنوبية الشعبية ــ هذا التطبيق واهمية خاصة ، كذلك الاتصالات العلمية الوثيقة بين الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى والاتحاد الإشتراكى العربى فى مصر ، وحزب البعث فى سوريا والعراق والجبهة القومية فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

فى ٢٧ مايو ١٩٧٦ وقعت فى القاهرة وثيقة ذات اهمية سياسية ضخمة وهى معاهدة الصداقة والتعاون السوفيتية المصرية ، ولا يوجد فى تاريخ العلاقات السوفيتية العربية وثيقة ، يمكن ان تقارن مع هذه المعاهدة من حيث أتساع الموضوعات التى تمسها . وقد قال ل.ى. بريجنيف « لقد انعكست فى مضمون هذه المعاهدة والصداقة الوثيقة والتأييد والفهم المتبادل ، وهو ما يميز علاقات البلاد السوفيتية مع الدول العربية التقدمية . ونحن نرى فى هذه الوثيقة ، دليلا جديداً على التكاتف المتصاعد لجبهة الشعوب المعادية للامبريالية (٧) .

ان نتائج عمل السنوات العديدة الكبيرة فى تطوير التعاون السوفيتى المصرى أدت الى توقيع الطرفين للمعاهدة . لقد أصبحت علاقات الصداقة المخلصة لكلتا الدولتين ــ كما تشير مقدمة المعاهدة ــ تقليدية ، وان مواصلة تطويرها يلبى مصالح شعوب الاتحاد السوفيتى ومصر . الا أن النظرة الى المعاهدة السوفيتية ــ المصرية للصداقة والتعاون على انها وثيقة ختامية تعتبر نظرة قاصرة وخاطئة ذلك لأنها تستهدف المستقبل وتحدد آفاق العلاقات بين البلدين

---

(٦) ل. بريجنيف : بالنهج اللينينى : خطب ومقالات . المجلد ٣ ص ٣٨٩

وفى الحقيقة هناك اهمية كبرى تتركز على أن المعاهدة تشير بشكل خاص الى اهمية توسيع التعاون الشامل بين الإتحاد السوفيتى ومصر بهدف الحفاظ على مكاسب شعوب الاتحاد السوفيتى ومصر ، الاقتصادية الاجتماعية ومواصلة تنميتها ولقد صادفت هذه النقطة من المعاهدة مقاومة من ناحية جميع « قوى » « الامس » ، التى لم يقض ، بعد على مواقعها نهائيا فى مصر والشرق العربى .

وتزداد اهمية تركيز المعاهدة على المكاسب الاجتماعية للشعب المصرى واهدافه بالنسبة لاعادة بناء المجتمع اشتراكيا ولا سيما أن الرجعية العربية ، والمصرية المحلية تتآلب منذ زمن على هذه المكاسب .

لقد أكد الاتحاد السوفيتى ومصر بتوقيعهما الاتفاقية اخلاص نواياهما السياسية الخارجية وعدم تغير السياسة الخارجية المحبة للسلام ، مؤكدين بصفة خاصة الاصرار على مواصلة النضال ضد الامبريالية ، ومن أجل القضاء النهائى والكامل على الاستعمار ، والعمل ضد العنصرية والتفرقة .

وترى المعاهدة ان تحقق السلام العادل والمتين فى الشرق الاوسط ووفقا لاهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة مهمة لها أولوية حيوية بين مهام السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى ومصر ويتأكد من جديد أمام العالم الطريق الذى خبرته الايام لتحقيق تسوية مشكلة الشرق الاوسط بالوسائل السياسية على أساس تنفيذ جميع بنود قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . وينعكس هذا النهج الذى نسقته الحكومتان فى ايمانهما بأن السلام العادل والمتين فى الشرق الاوسط لا يمكن أن يتحقق الا بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . واكدت المعاهدة التطبيق المتبع بين البلدين والذى أثبت جدارته والمتمثل فى المشاورات المتبادلة على مختلف المستويات بالنسبة لجميع المسائل المهمة ، التى تمس مصالح كلتا الدولتين ولضمان السلام العالمى وأمن الشعبين . هذه المشاورات تعتبر عنصرا ضروريا حيويا لتوافق مواقف حكومتى البلدين ازاء القضايا الدولية الاساسية وعلى راسها قضايا الوضع فى الشرق الاوسط .

ان توقيع معاهدة الصداقة والتعاون السوفيتية ــ المصرية يعتبر حدثا تاريخيا ضخما فى حياة شعوب الاتحاد السوفيتى ومصر ، فقد حدد ووطد لسنوات طويلة مستقبلة الطابع الودى التقليدى للعلاقات السوفيتية المصرية .

ويقول انور السادات رئيس جمهورية مصر ان شعبنا يفهم الاهمية الكبرى ، التى يحويها التعاون مع البلدان الاشتراكية ومع كل القوى التقدمية فى العالم . وليس شعبنا وحده هو الذى يفخر بالصداقة السوفيتية المصرية ، بل كل امتنا تنظر الى هذه الصداقة كواحدة من أهم الاسس فى

سياستنا وخططنا ونشاطنا اليوم (٨) وتعتبر معاهدة الصداقة والتعاون السوفيتية العراقية التى تم توقيعها فى بغداد فى ٩ ابريل ١٩٧٢ مشابهة من حيث المضمون للمعاهدة السوفيتية المصرية ولقد اصبحت هذه المعاهدة الرامية أساسا لتطوير العلاقات السوفيتية العراقية الودية عاملا فعالا فى توطيد هذه العلاقات وأساسا متينا لمواصلة تطويرها على مستوى اعلى .

والصداقة والتعاون السوفيتى العربى ، ذو قيمة خاصة لانهما يعتبران درعا أمينا يقف فى طريق المؤامرات الامبريالية التى لا تتوقف ضد البلاد العربية . ولا يشك أحد فى أنه لولا التعاون النامى باستمرار بين النظم التقدمية العربية والاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى ، لاستطاع العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ أن يقوض بجدية مراكز هذه النظم التقدمية .

لقد هب الاتحاد السوفيتى لمساعدة البلاد العربية ساعة المحنة الصعبة ، التى لا تنسى أبدا .

وقد كتب حسين فهمى عضو مجلس السلام العالمى يقول : « اذ صدق المثل القائل بأن « الصديق يعرف وقت الشدة » فان صداقة الاتحاد السوفيتى مع الجمهورية العربية المتحدة — هى أصدق دليل على ذلك » (٩) . ويدركون فى العالم العربى جيدا كلمات جمال عبد الناصر الذى قال فى خطابه فى مجلس الامة فى ٢٤ مارس ١٩٧٠ أنه « لولا معونة الاتحاد السوفيتى لكنا فى وضع بالغ الصعوبة » .

« ان كل عربى وطنى ينظر نظرة ثاقبة . الى وضع الامور ، لا يمكنه الا أن يشعر بالامتنان العميق نحو الاتحاد السوفيتى لتأييده » (١٠) . وترتبط نجاحات نضال بلدان الشرق العربى من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى ومن اجل ازالة مخلفات الاستعمار ومن أجل تدعيم الاستقلال السياسى وتقوية الاستقلال الاقتصادى ، ارتباطا وثيقا بتدعيم صداقتها مع البلدان الاشتراكية والاتحاد السوفيتى . وهذا العامل يعتبر دليلا واضحا على زيادة تأثير الاتحاد السوفيتى فى العالم العربى ودليلا على أن جميع محاولات اعداء البلاد العربية أن تضع « أسفينا » بين بدان الشرق العربى والاتحاد السوفيتى قد باءت بالفشل . لقد بقى الاتحاد السوفيتى وسيبقى الحليف الطبيعى الموثوق به لزمن طويل للعرب فى نضالهم العادل المعادى للامبريالية .

---

(٨) « البرافدا » ٢٨ مايو عام ١٩٧١

(٩) « اخبار اليوم » فى ٢٩ مايو عام ١٩٧١

(١٠) « الاهرام » فى ٢٥ مارس ١٩٧٠

ان جوهر وطبيعة مبادىء سياسة تعاون الاتحاد السوفيتي مع الدول العربية يسهلان الى حد كبير للشعوب العربية النضال من اجل الازالة النهائية لبقايا الاستعمار فى كل مستويات هيكل الدولة ويساعدان الدول العربية فى النجاح فى مواجهة اى شكل من اشكال القرض السياسى والاقتصادي للامبريالية والاستعمار الجديد كما يوجد أساس متين لاستمرار التقدم الاجتماعى فى الدول العربية .

وتتأكد فى مثال الدول العربية نبوءة لينين العظيم أنه سيحين « الوقت الذى تشترك فيه جميع شعوب الشرق فى تقرير مصير العالم أجمع » (١١) .

ان الاشتراك النشيط للبلاد العربية فى تقرير مصير الانسانية أصبح ممكنا بدرجة كبيرة فى ظل العلاقات السوفيتية المتصاعدة ، التى تعتبر عائقا قويا وراسخا فى طريق المؤامرات الامبريالية التى لا تتوقف . وفى نفس الوقت لا يفرض الاتحاد السوفيتي صداقته على أحد ولكن الشعوب السوفيتية بوصفها « أمية » معنية بطبيعة الحال بنمو وتدعيم قوى التقدم فى العالم العربى تدريجيا ويرى اعداء الصداقة السوفيتية ـ العربية فى هذا خرافة سعى الاتحاد السوفيتي نحو « السيطرة » فى العالم العربى . ولكنهم يقيسون كل شىء بمقاييسهم ، ولن يفهموا أبدا أن الانسان السوفيتى لم يجىء الى الشرق العربى كمستعمر بل كصديق ورفيق نضال .

---

(١١) ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المجلد ٣٩ ص ٣٢٨ .

الباب السادس

النضال من أجل السلام الوطيد العادل فى الشرق الاوسط

الطابع الدولى لبعض أوجه النزاع العربى الاسرائيلى

كانت المشاكل المتنازع عليها والمعقدة والحساسة « للعلاقات المتبادلة » بين اسرائيل والبلاد العربية المجاورة ، والتى وجدت منذ لحظة قيام دولة اسرائيل قد اشتعلت بحدة نتيجة للحرب الفلسطينية ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ، كما اشتعلت أكثر نتيجة للعدوان الثلاثى ١٩٥٦ والصدامات العسكرية التى تلت ذلك . ونتيجة لذلك تعدت بعض المشاكل العربية الاسرائيلية حدود الصدى المحلى ، وأصبحت تكتسب طابع المشاكل ذات المستوى العالمى . وفى مقدمة هذه المشاكل مشكلة الارض ، بمعنى مشكلة تحديد الحدود العربية الاسرائيلية ، وأيضا مسائل الملاحة العالمية عبر مضيق تيران وخليج العقبة وقناة السويس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومشكلة القدس .

واذا تحدثنا عن هذه المشاكل المنفصلة ، فينبغى ان نتذكر دائما انها مشاكل فرعية ، أما المشاكل الاساسية للتسوية والتى تشكل لبها فهى المشاكل المرتبطة بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ وانهاء حالة الحرب واقامة السلام بين أطراف النزاع .

ومن بين أهم مجالات التسوية الى جانب المشاكل الخاصة بالارض ، التى سنتوقف عندها فيما بعد . فان مسألة بالغة الاهمية وهى مصير اللاجئين الفلسطينيين .

واهتمت منظمة الامم المتحدة ـ فى نشاط ـ بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين منذ ظهورها ففى ١١ ديسمبر ١٩٤٨ اتخذت الدورة الثالثة للجمعية العامة للامم المتحدة قرارها الثالث رقم ١٩٤ والذى جاء فيه بشكل خاص « تقرر الجمعية العامة انه يجب أن تكفل فى أقرب وقت الامكانية للاجئين الذين يرغبون فى العودة الى أوطانهم وفى العيش فى سلام مع جيرانهم ، مع دفع التعويض عن الممتلكات لهؤلاء الذين لا يرغبون فى العودة عن بيع أو تلف الممتلكات ، التى يجب أن تعوضها الحكومات والسلطات المعنية وفقا لمبادىء القانون أو مبادىء العدالة » .

وقد ظهرت أثناء مناقشة مشـــكلة اللاجئين الفلسطينيين فى الدورة الخامسة للجمعية العامة الى جانب حق اللاجئين فى العودة الى الوطـــن ــ نقاط تثبت أن الدول الغـــربية واسرائيـــل ترغب فى تفسير القرار ١٩٤ / ١١١ الواضح الذي لا يحتمل معنيين ــ ترغب فى تفسيره بطريقتها الخاصة . فقـد جاء فى أحـد قرارات الدورة الخامسة الجمعية العامة أن الجمعية العامة تكلف وكالة الشرق الاوسط أن تخصص صندوقا خاصـــا لتحويل مشروعات توطين اللاجئين في أماكن اقامة دائمة واستثنائهم مـن المعونات وذلك وفقا لرغبة حكومة اية دولة فى الشرق الاوسط على أن تلقى هذه المشروعات موافقة الوكالة وبتعبير آخر ، كانت الدول الغربية واسرائيل تهدف الى تحقيق وضع تلغى فيه تلقائيا مشكلة اللاجئين ، أما اللاجئون الذين يعيشون فى اراضى البلاد العربية المجاورة لاسرائيل فيمكنهم البقاء فى هذه الاراضى والحصول على جنسية البلد الذى يعيشون فيه .

ومنذ ذلك الحين تناقش مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فى جميـــع دورات الجمعية العامة غير أن القرارات التى اتخذتها الجمعية توضح انه لم يحدث تقدم فى مسألة عودة اللاجئين الى الوطن . وينحصر جوهر موقف الدول العربية ازاء مشكلة اللاجئين فى السعى لضمان عـــودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم وان تقدم اسرائيل تعويضا عن الممتلكات المفقـــودة للاجئين ، الذين لا يرغبون فى العودة .

ويعتبر وجود مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتعقيدها وعدم حســـم مستقبلهم سلاحا اضافيا طبيعيـــا للضغط من ناحيـــة الدول العربيـــة على الرأى العام العالمى ، كما انه هو عامل هام للضغط على اسرائيل .

فما هو موقف اسرائيل من حسم مشكلة اللاجئين هذه التى خلقتها اسرائيل نفسها ؟ ترفض اسرائيل رفضا قاطعا اعادة توطين اللاجئين العرب فى أراضيها . ولا تعترف اسرائيل بالبند الثـانى من القرار ١٩٤ / ١١١ . وترى اسرائيل ، ان هذا البند مرتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة التسوية النهائية لجميع المسائل المتنازع عليها بين الدول العربية واسرائيل . واما حق عودة اللاجئين الفلسطينيين الى اراضيهم فتنكره اسرائيل بصفة عامة .. ويرى قادة اسرائيل أن تعويض الفلسطينيين عن الممتلكات المفقودة لا يمكن ان يدفع الا بشرط الوصول الى تسوية سياسية نهائية بين البلاد العربية واسرائيل ، وفى حالة توطين اللاجئين فى البلاد العربية المجاورة .

ووجهة نظر اسرائيل على هذا النحو تقضى فى الواقع بأن افضل حل للمشكلة هو توطين اللاجئين العرب فى اراضى الدول العربية ، التى يعيشون فيها الآن .

وينطلق موقف الاتحاد السوفيتى ازاء مسائل حل مشكلة اللاجئين من ان هذه المشكلة تعتبر جزءا لمشكلة سياسية اهم وهى المشكلة الفلسطينية وأن المفتاح لحلها هو تنفيذ القرار ١٩٤ / ١١١ . وقد أكد الجانب السوفيتى اكثر من مرة فى دورات الجمعية العامة للامم المتحدة أن عدم خضوع وعناد اسرائيل لقرار الامم المتحدة يرجع الى تأييد الدول الغربية لها وان المسئولية عن الوضع الحالى ، وخاصة عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين - يقع على اسرائيل وحماتها .

ويساعد حل مشكلة اللاجئين بلا شك على تصحيح الموقف فى الشرق الاوسط وخلق ظروف مناسبة لتنمية جميع دول هذه المنطقة فى ظروف السلام . غير أنه يتضح امر آخر هو أن حل جميع أوجه التسوية لا يجب يتوقف لأن مشكلة اللاجئين لا زالت تنتظر الحل . ويمكن افتراض أن حل مشكلة اللاجئين قد يستغرق عدة أعوام ، وفى نفس الوقت يمكن حل المسائل الاساسية للتسوية فى الشرق الاوسط مثل انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وانهاء حالة الحرب واقامة السلام بين أطراف النزاع خلال اقصر فترة ممكنة .

وهناك مشكلة هامة ، وهى مشكلة تحمل طابعا دوليا وتعتبر أيضا نتيجة لعدم تسوية النزاع العربى - الاسرائيلى الا وهى مشكلة الملاحة الدولية فى خليج العقبة ، ومضايق تيران وقناة السويس .

وتعتبر مسألة الملاحة فى مضيق تيران وخليج العقبة مسألة معقدة ومبهمة ، ذلك لأن المياه الاقليمية للدول المطلة على شواطئه تتداخل ، سواء حين يبلغ عرضه ٣ اميال (عرض الجزء الصالح للملاحة لا يزيد على ٥٠٠ متر) أم حين يبلغ عرضه من ٩ الى ١٥ ميلا (يبلغ عرض المياه الاقليمية لمصر والسعودية ١٢ ميلا ، واسرائيل ٦ أميال والاردن ٣ أميال) .

الى جانب ذلك ، هذه الطرق الدولية المائية ليس لها اهمية كبيرة بالنسبة للملاحة الدولية ولذلك لا تخضع للاتفاقات الدولية الخاصة بذلك ، وتشير اتفاقية جنيف ١٩٥٨ الخاصة بالمياه الاقليمية والمناطق اللاصقة (فيما يتعلق بالطرق المائية الدولية المشابهة لمضيق تيران) الى ان الدول التى تقع على السواحل لا يجب ان توقف المرور السلمى للسفن التجارية الاجنبية فى حالة عدم طرق السلام وحسن النظام أو أمن الدولة الساحلية (بند ٤ ص ١٤) ، ولكن فى نفس الوقت يمكن أن تتخذ الدولة الساحلية فى مياهها الاقليمية الاجراءات الضرورية لعدم السماح بالمرور الذى لا يعتبر سلميا (بند ١ ص ١٦) .

ويؤكد القانون الدولي قرارات منظمة الامم المتحدة — هذه الهيئة الدولية ذات الهيبة الدولية — ضرورة اعتراف الدول الساحلية بحق المرور السلمي لسفن جميع البلاد من خلال مضايق تيران وخليج العقبة . ويشير تقرير السكرتير العام الخاص بمسألة انسحاب القوات الاسرائيلية من مصر أن « الاهمية الدولية لخليج العقبة تعطى أساسا للاعتراف بحق المرور السلمي خلال مضايق تيران والخليج ، وفقا للاعتراف المعترف بها في القانون الدولي » (٢) . ولقد أصدرت الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها الحادية عشرة بأغلبية ٥٦ صوتا وامتناع ٢٢ عن التصويت (لم يصوت ضده أي وفد) قرارا بالموافقة على ما جاء في التقرير المشار اليه . وكانت مصر ترى دائما (انطلاقا من الطابع القائم للعلاقات العربية الاسرائيلية) أن مرور السفن الاسرائيلية في مضايق تيران مثله مثل مرور السفن الاجنبية التي تنقل الى اسرائيل حمولات ذات طابع استراتيجي — لا يعتبر « مرورا سلميا » . وعوقت مرور سفن إسرائيل والدول الاخرى الى ميناء ايلات بواسطة سيطرتها على مدخل خليج العقبة ووضعها بطاريات مدفعية في منطقة شرم الشيخ على الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء (١) .

وقد (*) اشتعل النزاع على خليج العقبة ومضايق تيران قبيل حرب الايام الستة ، حينما أغلقت الحكومة المصرية المرور خلال هذه الطرق المائية أمام السفن الاسرائيلية ومنعت بسفنها الحربية مرور السفن الاجنبية الى الخليج . وقد استخدمت الدول الامبريالية هذه الافعال في هدف تعبئة الرأى العام العالمي ضد المصريين . وقد أعلن الاسرائيليون على لسان اشكول رئيس وزرائهم أن محاولة مصر اغلاق ميناء ايلات ذى الاهمية الحيوية لاسرائيل في خليج العقبة سينظر اليه باعتباره « عملا عسكريا » واستخدموا خطوة حكومة مصر كذريعة مباشرة لبدء العدوان .

وتؤكد الحقائق ان الضربة التي تخطط لها اسرائيل منذ زمن ضد البلاد العربية كانت تحتاج الى أدنى دفعة من الخارج وأقل صورة من صور التبرير .

(*) لقد اعتبر اغلاق الملاحة في نيران خليج العقبة الذريعة المرجوة للاسرائيليين ، وقد ابرزت في الحال مسائل بدء أو عدم بدء العدوان وليس سرا أن الحكومة الاسرائيلية قد استغلت هذه الذريعة على وجه السرعة .. وهل يمكن في حقيقة الامر تقدير خطوة المصريين كذريعة ؟ . لا بالطبع فاولا مصر في مارس ١٩٥٧ لم توقع اتفاقا عن حرية الملاحة في المضايق . وثانيا : ٥٪ فقط من التجارة الخارجية لاسرائيل تمر خلال ايلات ، الذى يقع على خليج العقبة وثالثا : الرئيس ناصر في المؤتمر الصحفي في ٢٨ مايو ١٩٦٧ اقترح تجديد نشاط اللجنة المصرية الاسرائيلية المشتركة واجراء مناقشة واسعة لحل المشكلة الفلسطينية ، زيادة على ذلك واصة في هذه الفترة حكومة الولايات المتحدة الامريكية ومن خلال ممثلها الخاص شارلز بوست وعدت (في الحقيقة خدعت) المصريين بأن اسرائيل لن تهجم مادامت المحادثات مستمرة من خلال القنوات الدبلوماسية .

وقد بين الصراع الدبلوماسي حول تسوية النزاع العربي الاسرائيلي ان اسرائيل تنوى الحفاظ بشكل ما على وجودها فى شرم الشيخ ولا يرضيها الاقتراح الخاص بوجود قوات ومراقبى الامم المتحدة فى المنطقة ونوايا القيادة الاسرائيلية ازاء شرم الشيخ واضحة بشكل كاف واعلن عنها رسميا اكثر من مرة وهى الحفاظ على « الوجود الاسرائيلى » فى هذه المنطقة والسيطرة الكاملة للوصول الى هناك عن طريق البحر ثم الطريق الدولى البرى الذى يبدأ فى ايلات — هذه هى الشروط الحتمية لأى تسوية يمكن أن توافق عليها اسرائيل . ومن الواضح أن مثل هذه المطالب تحمل طابعا توسعيا صريحا ولا يمكن أن ينظر اليها على أنها اعتبارات خاصة بالامن » .

ولا شك ان وجود قوات الامم المتحدة فى شرم الشيخ ولضمان الملاحة الدولية عبر خليج العقبة ومضايق تيران يمكن أن يوفر الامن لاسرائيل ويكفل المرور الحر لسفن جميع البلاد ، ومن بينها السفن الاسرائيلية . هذا الى جانب تأكيد محكمة العدل الدولية على أن خليج العقبة ومضايق تيران ممرات دولية وهناك بند واضح فى القرار ٢٤٢ لمجلس الامن يتحدث عن ضرورة « حل مشكلة الملاحة الحرة خلال الطرق البحرية الدولية » فى المنطقة ولا توجد هناك طرق بحرية دولية سوى : العقبة وتيران وقناة السويس ولذلك لا تقوم خطط اسرائيل نحو شرم الشيخ على أى أساس .

وقناة السويس ، التى تربط البحر المتوسط بالمحيط الهندى تعتبر من أهم الطرق المائية البحرية الدولية والذى يوفر استخدامها ٦٠٪ من مصاريف النقل بالطريق حول أفريقية . ففى عام ١٩٦٦ — أى قبيل اغلاق قناة السويس ، مرت خلالها حوالى ٢١ الف سفينة من مختلف بلاد العالم . ولقد تم نقل أكثر من ١٣٣ مليون طن من النفط فقط خلال القناة عام ١٩٦٦ ، ان توقف الملاحة فى قناة السويس كان نتيجة لعدوان اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ واحتلال الاسرائيليين للشاطىء الشرقى للقناة فضلا عن السفن الاجنبية الغارقة أو شبه الغارقة فى المجرى المائى . وفى نهاية ١٩٦٨ قامت الحكومة المصرية بمحاولة لمسح الجزء الشمالى لقناة السويس بغرض الاعداد لاخراج السفن التى ذكرناها ، وفى ٢٧ يناير سار النش المصرى من الاسماعيلية الى السويس مختبرا مجرى القناة ، وفى ٣٠ يناير انتهت المحاولة الثانية بالفشل ، وتعرضت اللنشات المصرية المرسلة لهذا الغرض لنيران المدافعية الاسرائيلية ، ونتيجة لذلك اضطر الجانب المصرى حينئذ الى وقف العمل لاخراج السفن من قناة السويس .

وتعتبر اتفاقية القسطنطينية المشهورة فى ١٨٨٨ الاساس القانونى الدولى ، الذى ينظم نشاط قناة السويس . وهذه الاتفاقية قررت حق المرور خلال القناة سواء للسفن التجارية أو الحربية لجميع البلاد العربية فى وقت الحرب والسلم على قدم المساواة .

وفى مايو ١٩٤٨ حرمت مصر مرور سفن اسرائيل من قناة السويس بغرض عرقلة ارسال الاسلحة والذخيرة الى اسرائيل . ووضعت السلطات المصرية سفن البلدان الاخرى التى كانت تدخل الموانى الاسرائيلية فى القوائم السوداء ومنعت عنها الخدمات البحرية وحرمتها حتى من المرور فى القناة ــ ولم تلغ هذه القيود حتى بعد عقد اتفاقيات الهدنة المصرية الاسرائيلية عام ١٩٤٩ ، خاصة ان مشكلة المرور فى قناة السويس لم تنعكس بأى شكل فيها .

وفى ٦ فبراير ١٩٥٠ اتخذت مصر قرارا خاصا ، لا يسمح بمرور الشحنات العسكرية والبضائع الاستراتيجية المخصصة لاسرائيل أو المتجهة اليها بقناة السويس . واستخدم القرار مفهوم « التهريب العسكرى » ويشمل هذا التهريب الاسلحة والذخيرة والمفرقعات والكيماويات والوقود والطائرات العسكرية ومحركات الطيران والسفن الحربيةوالدبابات وماشابه ذلك . وكانت هذه القيود التى وضعتها مصر فعالة قبل اغلاق القناة نتيجة لعدوان اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ .

ومن ناحية معدلات القانون الدولى ، يجب أن ينظر الى مشكلة توقف الملاحة الدولية فى قناة السويس فى ضوء معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ . وبتعبير آخر ــ لا ينبغى أن تعتبر الملاحة فى قناة السويس موضع مفاوضة واتفاق بين مصر وأى دولة اخرى واية يجب أن يسمح بمرور سفن جميع البلاد على اساس نصوص اتفاقية القسطنطينية مع الحفاظ على سيادة مصر الكاملة على القناة .

وقد ولد اغلاق قناة السويس امام الملاحة الدولية مجموعة كاملة من الخطط الموجهة لحل هذه المشكلة الجادة ولايخفى على احد اقتراح انور السادات رئيس جمهورية مصر فى ٤ فبراير ١٩٧١ حول اتخاذ اجراءات سريعة لتطهير القناة بشرط بداية انسحاب القوات الاسرائيلية من شبه جزيرة سيناء (*) وتبذل محاولات كثيرة للدعاية للخطة الامريكية المسماة

(*) ١ ــ احتجزت فى قناة السويس ١٥ سفينة اجنبية ، بينهما ٤ انجليزية واثنتان بولنديتان واثنتان سويديتان ، واثنتان غربيتان وأربع سفن لكل من فرنسا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ٢ ــ ويشار بشكل خاص فى هذه المعاهدة لن تسمح الامبراطورية العثمانية وتمثلها من هذه الناحية ــ كما هو معروف ــ مصر اذا اعتبرت طرفا من الاطراف المحاربة (المادة ٤) ــ بأى اعمال حربية أو أية أعمال معادية تهدف الى خرق حرية الملاحة فى القناة أو فى الموانى الواقعة على طرفيها والمعاهدة لا تعرقل اتخاذ مصر للاجراءات الخاصة بضمان الدفاع عن مصر بقواتها الذاتية واقرار النظام العام (المادة ١٠) غير ان مصر لا يجب أن تعرقل الاستخدام الحر للقناة (المادة ١١) انظر مجموعة اتفاقيات روسيا مع الدول الأخرى (١٨٥٦ ــ ١٩١٧) الصادرة فى ١٩٥٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٦ .

بالتسوية « الجزئية » او « المرحلية » ، التى كان هدفها الاساسى فتح قناة السويس للملاحة العالمية . غير أن انفصال التسوية الجزئية عن التسوية الشاملة وعدم وجود العلاقة الوثيقة بين افتتاح القناة وحسم جميع المشاكل الاخرى للتسوية ، وتجاهل مشكلة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ الذي بدونه لا يمكن أن يكون هناك سلام وطيد وطويل الاجل فى الشرق الاوسط — كل ذلك كان — نقطة الضعف فى هذه الخطة . وفى بداية ١٩٧٤ انسحبت القوات الاسرائيلية من الشاطىء الشرقى للقناة وبدأت مصر تطهير القناة بمساعدة بعض الدول .

وقد ولد النزاع العربى — الاسرائيلى وعدم تسويته مجموعة من مشاكل الارض . غير ان بنود قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، التى تقضى بأن تنسحب قوات المعتدى من المناطق المحتلة « اثناء النزاع السابق » ، بمعنى نزاع ١٩٦٧ — تشهد بانه لو كانت التسوية تقوم على بنود قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، لا على اية وثيقة أخرى ، لكان من الممكن أن تتم التسوية الطويلة الان لمشكلة الشرق الاوسط وبطبيعة الحال للتحديدات قد يتطلب الامر أحداث بعض الأمور الطفيفة اى « تصفية شوائب » الحدود العربية — الاسرائيلية ، وعلى وجه الخصوص الحدود بين الاردن واسرائيل فى المناطق المتنازع عليها مثل طولكرم وقلقيلية واللطروف . غير ان مثل هذه التحديدات يجب الا تأتى نتيجة للتطلعات التوسعية للمعتدى بل يجب أن تكون اتفاق الاطراف ، وبالتالى تحمل طابعا متبادلا .

وفى مقابل ذلك الوضع الدقيق الواضح الذى لا يحتمل معنيين أبدا ، يعمل الاسرائيليون عن عمد بين خلط وتعقيد المسألة الخاصة بمستقبل الحدود « الامنة والمعترف بها » بين اسرائيل والدول العربية المجاورة وذلك بالتصريحات العديدة الشهيرة للقادة الاسرائيليين بأن العودة الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ غير ممكنة وان عودة القوات الاسرائيلية لا يمكن ان تتحقق الا بالحدود الآمنة المعترف بها . ففى أكتوبر ١٩٦٧ صرح أ. ايبان وزير خارجية اسرائيل : « ان الحكومات العربية ليس لديها شىء آخر تقترحه سوى العودة الى الوضع ، الذى كان قائما قبيل ٤ يونيو وهذا غير مقبول لنا » (٣) وقد قيل بما فيه الكفاية والوضوح حول ما يمس رفض العودة الى الحدود القديمة ، ولكن لم تذكر كلمة واحدة حول جوهر الموضوع . وقد عبر قادة اسرائيليون آخرون عن خطط مشابهة وبكلمات أخرى حكومة اسرائيل تعلق برفضها عرض موقفها حول الحدود المستقبلة العربية الاسرائيلية — عدم اعترافها الفعلى بمبدأ عدم شرعية الاستيلاء على الاراضى بطريق الحرب وتظهر تطلعها لضم كل أو جزء الاراضى العربية التى اغتصبتها أثناء حرب الايام الستة .

---

(٣) انظر « اخبار اسرائيل » نشرة اعلامية تصدرها سفارة اسرائيل فى باريس عدد ١٥ اكتوبر ١٩٦٧

وتعتبر مشكلة إنسحاب قوات المعتدى من جميع الاراضى العربية المحتلة لب تسوية الشرق الاوسط وبدون ذلك الانسحاب لايمكن اعادة الوضع الى حالته الطبيعية فى هذه المنطقة ، وان اية تسوية لا تضع فى حسبانها هذا الوضع المبدئى ستكون غير حيوية وغير عادلة .

وتوجد ايضا مجموعة كاملة من المشاكل ، تعقد الوصول للتسوية وتزيد من صعوبتها ، وتجعل هذه المشكلة حساسة الى درجة شديدة ومن بين هذه المشاكل مشكلة القدس .

ونذكر فى اختصار انه نتيجة للانتداب الانجليزى على فلسطين ، كانت مسألة القدس موضوع بحث خاص فى هيئة الامم المتحدة . ففى ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧ اصدرت الجمعية العامة القرار رقم ١١/١٨١ الذى اقر خطة تقسيم فلسطين على اساس اتحاد اقتصادى . ويقضى الجزء الثالث من الخطة المشار اليها باعتبار القدس وحدة دولية منفصلة ويقضى وضع القدس بان تكون مدينة محايدة منزوعة السلاح ويحظر فيها نشاط المنظمات العسكرية وشبه العسكرية . غير أنه بسبب الحرب الفلسطينية التى بدأت فى ١٤ مايو ١٩٤٨ لم يقدر لقرار الجمعية العامة الخاص بالقدس أن يرى النور .

وفى ٤ ابريل ١٩٥٠ وافق مجلس الوصاية على وضع القدس ، الذى بمقتضاه أعلنت القدس وحدة ادارية منفصلة ، واقعة تحت ادارة الامم المتحدة ، وأكد القرار على حياد ونزع سلاح المدينة وتقرر أن يدير المدينة محافظ يعينه مجلس الوصاية لفترة ثلاث سنوات . غير أن هذا القرار لم يحصل على ثلثى الاصوات الضرورية أثناء التصويت على مشروعه فى اللجنة السياسية الخاصة بمستقبل وضع القدس فى الدورة الخامسة للجمعية العامة للامم المتحدة وبالتالى لم يصدر . وبعد ١٩٥٠ وحتى العدوان الاسرائيلى ١٩٦٧ لم تناقش مسألة القدس خصيصا فى اجهزة الامم المتحدة.

وحينما احتلت القوات الاسرائيلية القدس بالكامل نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ « كل الجزء الشرقي وما يسمى بالمدينة القديمة التى كانت تتبع الاردن ؛ لان خط الهدنة الذى تقرر بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ — ١٩٤٩ كان يمر بوسطها » قامت السلطات الاسرائيلية فى الحال باتخاذ الاجراءات ، التى تؤدى الى فرض السيادة الاسرائيلية على كل اراضى المدينة وقد صدر قرار رسمى بضم الجزء الاردنى من القدس لاسرائيل وتقييد حدود بلدية القدس ومنع تداول العملة الاردنية فيها ووضع نظام لمبادلة الدينارات الاردنية بجنيهات اسرائيلية . واتخذت السلطات الاسرائيلية اجزاءات نشيطة لبناء احياء جديدة للقدس ، بحيث تصبح « المدينة القديمة » كجزيرة وسط القدس اليهودية الحديثة .

وبعد العدوان الاسرائيلي مباشرة ادانت الدورة الطارئة للجمعية العامة للامم المتحدة « ٤ - ١٤ يوليو ١٩٦٧ » اسرائيل على الاجراءات التي تتخذها من جانب واحد في القدس ودعت الحكومة الاسرائيلية الى الغاء الاجراءات المتخذة ورفض القيام بأعمال من شأنها تغيير وضع القدس وقد اتخذ مجلس الامن قرارات مشابهة في ٢ و ٢١ مايو ١٩٦٨ ، ولكن السلطات الاسرائيلية تجاهلت هذه القرارات .

وحتى الوقت الحاضر ، تبقى مشكلة القدس واحدة من أكثر مشاكل الشرق الاوسط تشابكا . ومما يزيد هذه المشكلة تعقيدا ان اسرائيل أعلنت اكثر من مرة عن تطلعاتها في السيطرة على المدينة كلها ، في حين أن الاردن لا ينوي التنازل عن حقوقه في الجزء الشرقي للمدينة كما ان البلاد العربية والاسلامية الاخرى لا تنوي التخلي عن حقوقها في الاماكن المقدسة الاسلامية الواقعة في المدينة القديمة .

موقف الدول العربية بالنسبة لمسائل التسوية

من الطبيعي جدا ان البحث عن التسوية العادلة للنزاع العربي الاسرائيلي ، والنضال من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي من الامور التي لا تزال - لفترة طويلة في بؤرة النشاط السياسي الخارجي ، لدى غالبية الدول العربية .

ان تحليل تطور الموقف العربي في مسائل التسوية ذو أهمية كبيرة ؛ خاصة ، أن الدعاية الصهيونية والدعاية الموالية للامبريالية والمعادية للعرب قد كدست حول هذا الموضوع اختلافات شرسه ونسجت مختلف الامال الباطلة التي لا تزال حتى يومنا هذا تضلل البسطاء في الغرب والتي يتمسك بها المدافعون عن العدوان الاسرائيلي بقوة .

واذا ما طالعنا بالفعل اي بحث من تلك الابحاث التي تدعي « الموضوعية » والتي تصدر في الغرب وتبحث في مشاكل النزاع العربي - الاسرائيلي ، فان اول ما يلفت النظر هو ان هذه الدراسات تؤكد على « حتمية » العدوان الاسرائيلي الذي حدث عام ١٩٦٧ وعلى « فدائية » الامة اليهودية التي لا يتركها « العرب الاوغاد » في امان وهكذا . غير أن الحقائق تدل بلا جدال على أن الكلام الكثير عن الطابع « الوقائي » للعدوان الاسرائيلي وعن « عدم شرعية » اجراءات الحكومة المصرية ازاء الملاحة في مضيق تيران وخليج العقبة وخطوات الجانب المصري الخاصة بابعاد القوات العسكرية التابعة لهيئة الامم المتحدة من منطقة الشرق الاوسط كلام باطل من اساسه .

وتنتشر في الدعاية الغربيـــة على نطـاق واسع ،: الرواية القـائلة بأن عبد الناصر كان يدعو دائما الى القضاء على اسرائيل كدولة ولم يبحث عن حل وسط لمسألة الوضع في الشرق الاوسط المعقدة والمبهمة ، وكان يسعى بصفة نهائية الى حل النزاع العربى الاسرائيلى بقوة السلاح . فما مدى صحة
بصفة نهائية الى حل النزاع العربى الاسرائيلى بقوة السلاح . فما مدى صحة
الراحل أم انها متأثرة بأقوال عبد الناصر التى استطاعت الدعاية المعادية ذات النوايا الخبيثة ان تحرفها بالشكل المطلوب وتدسها على الرأى العام العالمى ؟

نقول صراحة : ان جمال عبد الناصر المدرك تماما للمسئولية الضخمة التى وضعها على كاهله تاريخ ومصير الامة العربيـــة لم يكن يعتبر أبدا الحرب مع اسرائيـــل الاسلوب الوحيد كحل للنزاع العربى ــ الاسرائيلى . نعم فعبد الناصر كان يدرك تماما ان اسرائيل لن تغير الطـــابع الإغتصـــابى والتوسعى السافر فى سياستها الخارجية والنظرة العدوانية الدائمة تجاه جيرانها العرب الا اذا أحس بقـــدرة الدول العربيـــة لا على المقـــاومة فقط ، بل على المجابهة الناجحة للادعاءات المتطرفة أيضا ان معرفة وفهم هذه الحقيقـــة بالذات وكذلك التجـــربة المرة التى خاضها ناصر الذى اشـــترك فى حـــرب فلسطين عامى ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ من الامور التى الهمته « ناصر » الفكرة القائلة ان سياسة الاجراءات المنتظمة للتحولات الاجتماعية الاقتصادية الواسعة لما فيه صالح الغالبية الساحقة من جماهير الشعب وان السياسة الخارجية النشيطة الثابتة والمعـــادية للامبريالية وسياسة تنمية علاقات الصـــداقة مع البلدان الاشتراكية وخاصة مع الاتحاد السوفيتى ــ أمور من الممكن بل من الواجب أن تؤدى الى التغيير الجذرى فى توازن القـــوى فى الشرق الاوسط . واجبار حـــكام اسرائيل على رفض السياسة المتهورة قصـــيرة النظر التى ينتهجونها مع الدول العربية والتى تمليها المصالح الوطنية لشعب اسرائيل .

نعم فهناك اقوال معروفة على نطاق واسع جاءت على لسان عبد الناصر : « الحرب مع اسرائيل ــ هى الحل الوحيد » (للنزاع) او « ما اخـــذ بالقـــوة لا يسترد الا بالقوة » ولكن أنصار العدوان الاسرائيلى ــ كالعادة ينســـون متى قيلت هذه الاقوال . فهذه التصريحات تتوافق زمنيا مع تشـــديد العمليـــات العدوانية التى تمارسها اسرائيل ضد البلدان العربية ومع حقائق الاظهار السافر للنوايا التوسعية لدى القيادة الاسرائيلية . وعندئذ يحاول الكثيرون ان يتناسوا ما قاله ناصر فى نوفمبر عام ١٩٦٧ أى بعد مرور شهور معدودة على العـــدوان الاسرائيلى ، اذ قال ما يلى بالحرف الواحد : « اليهود ــ اولاد عمنا . ولقـــد

---

(٤) الحديث الصحفى الذى ادلى به جمال عبد الناصر لمجلة « ايفيتيمينت » نوفمبر عام ١٩٦٧

تعايشنا سويا على مدار القرون . وطرحت الصهيونية المشكلة واصبح كل شيء غير ممكن بين اليهود والعرب والمسيحيين . يمكننا أن نعيش سويا في بيت واحد ولكن لا يمكن لاحدنا أن يستولى على البيت كله ويطرد الآخرين منه » .

لقد تمخض عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ عن تأجج النظرة السلبية للدول العربية بلا استثناء تجاه وجود اسرائيل كدولة كما تسبب هذا العدوان في توهج التفرغ في العالم العربي وادى الى نمو الاتجاهات المعادية للامبريالية نموا سريعا .

وفي هذه الظروف وبالتحديد بعد عدة أيام من العدوان انعقدت الدورة الطارئة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة بمبادرة من الاتحاد السوفيتي وانحصرت الصعوبة الرئيسية التي ظهرت عند مناقشة الوضع في الشرق الاوسط ، في أن البلدان العربية وقفت بشدة ضد ربط مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية بمسألة وقف حالة الحرب بين العرب واسرائيل في الوقت الذي طرحت فيه الولايات المتحدة وكل الدول الغربية ودول افريقيا اللاتينية ومعظم الدول الافريقية مشكلة انهاء حالة الحرب بالذات بين الدول العربية واسرائيل كشرط اساسي لانسحاب القوات الاسرائيلية . وجاء هذا الشرط ضمن أحد اشكال المشروع الامريكي اللاتيني لقرار الجمعية العامة « ولم يحصل هذا المشروع على العدد الضروري من الاصوات وبالتالي لم تتم الموافقة عليه » وجاء بالبندين الثاني والثالث من المشروع ما يلي :

٢ ـ تؤكد الجمعية العامة مبدأ عدم السماح بالاستيلاء على الاراضي نتيجة للحرب وذلك طبقا لميثاق هيئة الامم المتحدة وبالتالي : فان القوات الاسرائيلية مطالبة بالانسحاب الى مواقعها الاولية .

٣ ـ وتؤكد الجمعية العامة لذلك ان السيادة السياسية والوحدة الاقليمية للدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة بالشرق الاوسط من الامور التي تعطي هذه الدول الحق في التخلص من خطر الحرب وبالتالي من المتوقع انهاء حالة الحرب او رفض الادعاءات المرتبطة بذلك من قبل هذه الدول » .

ولم توافق الدول العربية ـ رغم جهود الجانب السوفيتي في تلك الفترة ـ على قبول اى مشروع لقرار يمكن ان يتضمن « بأى شكل من الاشكال » مبدأ انهاء وقف حالة الحرب بين العرب واسرائيل .

---

(٥) وثيقة هيئة الامم المتحدة ١/ل ٢٥٣ في ١٣ يولية عام ١٩٦٧

(٦) انظر « نيويورك تايمز » في ٢٢ يونية عام ١٩٦٧

وفى هذه الفترة كان الفهم الانفعالى للاحداث المرتبطة بالعدوان الاسرائيلى لدى القادة العرب أقوى من الحسابات الرشيدة كما أن فكرة الثأر الفورى « الذى لم يكن من الممكن تحقيقه فى هذه الظروف » — لم تمكن الدول العربية من الموافقة على مشروع القرار الذى كان من الممكن استخدامه فيما بعد فى النضال السياسى ، والذى كان سيهيىء الظروف لهذا النضال فى المستقبل بشكل أفضل بالنسبة للدول العربية بالمقارنة بما حدث فيما بعد .

وكان قرار مجموعة الدول العربية « العراق والكويت وليبيا والجزائر والسعودية والبحرين وقطر وأبو ظبى وسوريا ولبنان » الخاص بوقف ضخ البترول ووقف تصديره الى أية دولة تشترك بشكل مباشر أو غير مباشر فى العدوان الاسرائيلى أو تقدم المساعدة لاسرائيل ، كان هذا القرار أحد الاجراءات المتخذه تجاه الدول العربية . ولقد لجأت الدول العربية لهذا القرار بعد العدوان الاسرائيلى مباشرة ولقد سبق أن جربت الدول العربية تأثير هذا الاجراء أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ .

وفى ٤ — ٥ يونية ١٩٦٧ انعقد فى بغداد بناء على مبادرة من العراق مؤتمر الدول العربية — المنتجة للبترول : مصر والجزائر والكويت والسعودية وقطر والبحرين وأبو ظبى . واشتركت فى المؤتمر سوريا ولبنان وهما من الدول غير المنتجة للبترول ولكن أنابيب بترول الاحتكارات البترولية الاجنبية تمر بأراضيها . وانحصرت مهمة المؤتمر فى « اعداد سياسة موحدة لجميع الدول العربية تقضى بوقف ضخ وتصدير البترول لاية دولة تشترك فى العدوان ضد أى دولة عربية » وفى القرارات المتخذة تم حظر ضخ البترول العربى او تصديره لاية دولة تشترك فى الحرب او تؤيد اسرائيل .

كما اعلنت الدول الاعضاء انها سوف تفرض حصارا جماعيا على اية شركة بترول تقدم البترول لاسرائيل « من أى مصدر وبأى شكل » .

وفى ٦ يونية أى فى اليوم التالى لبداية العدوان الاسرائيلى اتخذت الجزائر والكويت قرارا بوقف تصدير البترول كلية الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى . وقبل ذلك أعلنت العراق اتخاذها لاجراءات مماثلة . وفى ٦ يونية عطلت سوريا ولبنان انابيب البترول التى تمر بأراضيها والتى تتبع شركتى « ايراك بيترو ليوم » و « أرامكو » . وفى ٧ يونية أوقفت السعودية وليبيا والبحرين وقطر ضخ البترول ونقله الى الولايات المتحدة وانجلترا . غير ان هذا القرار لم يستمر طويلا . ولم يكن من الممكن الحديث فى هذه الفترة الا عن المحاولات الاولى لاعداد الخط العام للدول العربية بالنسبة للعدوان الاسرائيلى . وبالاضافة الى ذلك كانت هذه الدول تعتمد على الايرادات المالية التى تأتى من شركات البترول الغربية التى تقدم بضخ

البترول في أراضي البلدان العربية والتي تقوم باستغلاله . وهكذا لقد حصلت السعودية من تصدير البترول في عام ١٩٦٦ على ٧٢٠ مليون دولار « ٧٥٪ من ايرادات ميزانية الدولة » وحصلت ليبيا على ٣٩٠ مليونا « ٧٥٪ والكويت – ٦٨٠ مليونا « ٩٠٪ » والعراق – ٣٩٤ مليون دولار « ٤٢٪ » . وبكل صراحة نبهت الصحافة الامريكية الدول العربية التي تضخ البترول الى أن استراتيجية العرب الموحدة بالنسبة لاحتكارات البترول الغربية ، من الممكن أن تؤدي الى خسارة العرب لأموال طائلة والى أن تحول هذه الاحتكارات الى بترول ايران وامريكا اللاتينية وآلاسكا .

وعند مناقشة مسألة فرض الحصار البترولي على الدول الغربية من جانب الدول العربية وكان ذلك في مؤتمر يونية الذي ضم وزراء خارجية الدول العربية المنعقدة في الكويت ، تقرر بعد مناقشات مستفيضة ، وضع هذا الموضوع على بساط بحث مؤتمر رؤساء الدول العربية .

وانعقد هذا المؤتمر في أواخر اغسطس عام ١٩٦٧ في الخرطوم وسجل في قراراته المتخذة مبدأ « اللاءات الثلاث » :

لا – للاعتراف باسرائيل ، لا – للمحادثات معها ، لا – لابرام معاهدة سلام أو اتفاقية معها . بالاضافة الى ذلك وبعد ان اعترف المؤتمر بانه يستحيل أن يكون طريق انهاء احتلال الاراضي العربية هو النضال المسلح من جانب الدول العربية نادى بالاستخدام النشيط لوسائل النضال السياسية والدبلوماسية . وفي هذا الخصوص قال الرئيس عبد الناصر في المؤتمر القومي بمصر في ٢٣ نوفمبر عام ١٩٦٧ : « اذا كان العمل السياسي قادرا على الدفاع عن مبادئنا وتحرير أراضينا واستعادة حقوقنا فلن نرفض هذا العمل السياسي » وفي الوقت نفسه قرر مؤتمر رؤساء الدول العربية بالخرطوم « استئناف ضخ البترول بوصفه طاقة عربية ايجابية يمكن استخدامها لبلوغ الاهداف العربية وبلا عطاء الدول العربية التي تعرضت للعدوان والتي فقدت بعض مصادرها الاقتصادية من الدخل امكانية مواصلة جهودها بهدف ازالة آثار العدوان (٨) .

واتخذ في المؤتمر قرار تقوم بمقتضاه الدول الثلاث المنتجة للبترول – الكويت والسعودية وليبيا – بتخصيص جزء من ايراداتها سنويا لمصر والاردن بوصفهما – ضحايا للعدوان الاسرائيلي « لم تشترك سوريا في مؤتمر الخرطوم » وتفاصيل المبالغ كما يلي :

الكويت تعطي لمصر – ٣٨ر٧ مليون جنيه استرليني ، وللاردن – ٣ر١٦ مليون جنيه استرليني ، السعودية : لمصر – ٣٥ مليون جنيه استرليني للاردن – ١٥ مليون جنيه استرليني ، ليبيا : لمصر اكثر من ٢١ مليون جنيه استرليني وللاردن – حوالي ٩ ملايين جنيه استرليني وساهمت هذه الاموال

ما ، فى تعويض خسائر الايرادات فى ميزانيات مصر والاردن بسبب اغلاق قناة السويس واحتلال اسرائيل للضفة الغربية لنهر الاردن ــ وهى المصدر الاساسى للمنتجات الزراعية والمواد الخام الصناعية بالنسبة للاردن .

تدل حقيقة أن مؤتمر الخرطوم أقر أستحالة حل مشكلة ازالة آثار العدوان الاسرائيلى بالطريق العسكرى على ظهور واشتداد النظرة الواقعة للاوضاع فى الشرق الاوسط لدى غالبية قادة الدول العربية . ويرجع الفضل فى ذلك الى الحكومة المصرية التى قامت باجراء سلسلة كاملة من التدابير السياسية التى تهدف الى تحييد الضغط الامبريالى على البلدان العربية .

وكان الاعتراف الرسمى بقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ خطوة هامة من الجانب المصرى على هذا الطريق . وكان هذا القرار ــ الذى يعتبر أساسا معترفا به ويتفق مع التسوية وفقا للقوانين الدولية ــ كان فى الوقت نفسه « امتحانا فريدا فى نوعه للنضج السياسى » بالنسبة لجميع الدول العربية بالفعل . وكان الجانب المصرى من اوائل الذين اعلنوا موافقتهم على احكام القرار المشار اليه ، ولقد اعترفت مصر بقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ بهدف استغلال هذا القرار كخطة لنضالها السياسى المقبل من أجل التسوية .

وفى الفترة التى تلت العدوان الاسرائيلى مباشرة فكر الجانب المصرى فى التصور العام للحل الممكن للمشكلة على النحو التالى تقريبا : ربط انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية التى احتلت فى فترة العدوان بانهاء حالة الحرب بين البلدان العربية واسرائيل ، الربط المباشر بين السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور فى قناة السويس طبقا لاتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ وبين حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

وفى الوقت نفسه عارضت القيادة المصرية جميع محاولات ربط البلدان العربية بمحادثات مباشرة مع اسرائيل . وكانت هذه المحاولات نشيطة جدا سواء من الجانب الاسرائيلى او الامريكى هذا وقد اعلن أ. ايبان وزير خارجية اسرائيل فى ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٧ ان « الشروط التى توافق عليها اسرائيل لابرام السلام لن تعلن قبل أن تبدأ المحادثات العربية الاسرائيلية المباشرة » .

لقد احتفظت مصر ــ الدولة التى تحملت ضربة العدوان الاساسية فى صباح ٥ يونية والتى منيت بخسائر فادحة ــ بشرية وعسكرية واقتصادية

---

(٧) « الاهرام » فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩٦٧

(٨) « الاهرام » فى ٢ سبتمبر عام ١٩٦٧

وفقدت جزءا كبيرا من اراضيها « شبه جزيرة سيناء » وموارد البترول الهامة فضلا عما تعانيه من متاعب اقتصادية خطيرة بسبب غلق قناة السويس — حافظت على وضعها فى طليعة العالم العربى حتى بعد العدوان الإسرائيلى . رغم أن العدوان كان يهدف الى الاطاحة بنظام الحكم المصرى التقدمى او اضعافه على اقل تقدير ولقد ساعد على ذلك ان القيادة المصرية تناولت ازالة آثار العدوان الاسرائيلى من موقف الواقعية السياسية .

ففى مايو عام ١٩٦٨ اقترحت القيادة المصرية على السفير ج. يارنج الممثل الشخصى لسكرتير عام هيئة الامم المتحدة بالشرق الاوسط اعداد « جدول زمنى » لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وقبل ذلك اى فى مارس من العام ذاته أكد المندوب الدائم لمصر لدى هيئة الامم المتحدة فى رسالة بعث بها الى سكرتير عام هيئة الامم المتحدة استعداد حكومة بلاده لتنفيذ جميع بنود هذا القرار .

ولم يستطع قادة الدول العربية الاخرى تأييد الموقف المصرى التأييد الكامل . وذلك لأسباب عديدة اهمها اختلاف مستوى التطور الاجتماعى والسياسى الكائن فى الكثير من الدول العربية وكذلك لاسباب مختلفة متعلقة بالطابع السياسى الداخلى الامر الذى سبب بدوره اختلاف الاساليب ، فى حل مشكلة التسوية لدى بعض الزعماء العرب . والى جانب ذلك ترددت أصوات تقول ان البلاد التى تعرضت للعدوان والتى اصبحت نتيجة له ضعيفة من النواحى السياسية والعسكرية والاقتصادية لا يمكنها أن تدعى بقاء وضعها القيادى السابق فى العالم العربى . وكان النقد يخفى اتجاها واضحا جدا — وهو الاتجاه المعادى لمصر وصدر هذا الاتجاه كقاعدة من ممثلى ما يسمى بالدول العربية « المحافظة » التى كانت تسعى لاستغلال ضعف مواقف مصر السياسية الخارجية .

غير أن الدور البارز للجانب المصرى ظهر فى النضال من أجل التسوية بشكل ملموس جدا وبعد أن قدرت حكومة مصر قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ حق تقديره بشكل ايجابى بوجه عام بذلت الجهود النشيطة لتوحيد وتنسيق جهود الدول فى النضال من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى . كما بذلت جهودا مضنية كى يعترف اكبر عدد من الدول العربية بالقرار رقم ٢٤٢ ومن الامور التى خدمت هذه الاهداف الاتصالات النشيطة جدا والعديدة التى جرت بين قادة مصر والدول العربية الاخرى وكذلك مؤتمر الرباط « ١٩٦٩ » الذى ضم رؤساء الدول العربية وتنشيط اعمال جامعة الدول العربية ومؤسساتها التقليدية وتأييد المصريين لحركة المقاومة الفلسطينية .

---

(٩) « جيروساليم بوست » ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٧

والجدير بالذكر ان رفض اسرائيل سحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ادى الى ظهور اتجاهات عدم الثقة في الطرق السياسية لحل النزاع وذلك في اكثر الدوائر العربية هيبة ونفوذا . وحتى آخر لحظة كانت البلدان العربية التقدمية من أمثال الجزائر والعراق وسوريا ترى أن تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر في ٢٢ نوفمبر لا يمكن ان يؤدي الى حل ازمة الشرق الاوسط وان هذا القرار ، من حيث الجوهر ، يستبعد المشكلة الفلسطينية . واعلن الرئيس الاسد في كلمته عن افتتاح الدورة الاولى لمجلس الشعب بسوريا في ٢٢ نوفمبر عام ١٩٧١ ان القرار رقم ٢٤٢ « لا يعبر عن مصالح الشعب العربي الفلسطيني او مصالح الامة العربية » . ولقد قومت القيادة السورية النضال السياسي من اجل ازالة اثار العدوان الاسرائيلي على أمة « مجرد عامل هام من العوامل المساعدة في النضال المسلح» غير ان في موقف سوريا حاليا يشهد تحولا نحو الواقعية والاعتراف بالاساليب السياسية في حل النزاع .

وتسعى القيادة العراقية بشكل اكثر عنفا وحدة الى ربط ضرورة حل المشكلة الفلسطينية بالحل العام لمسألة ازالة آثار العدوان الاسرائيلي . ومن الطبيعي ان حزب البعث الذي وصل الى الحكم في ١٧ يولية عام ١٩٦٨ غير قادر على ضمان التأييد الواسع في أيامه الاولى لاجراءاته السياسية الداخلية من جانب غالبية سكان العراق . ولذلك طرحت في المقام الاول شعارات ذات طابع سياسي خارجي . وهكذا اعلنت قيادة حزب البعث ان العراق سوف تقيم علاقاتها مع جميع دول العالم من الان فصاعدا طبقا لموقف كل دولة من المسألة الفلسطينية . وتنقل القيادة العراقية علاقاتها المتطرفة بمشاكل التسوية السياسية للنزاع الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولقد أشار عبد الكريم الشيخلي وزير خارجية العراق السابق بوجه خاص قائلا : « نحن نرى أن هذا القرار لا يتضمن حلا واضحا لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين . وهكذا يناقض هذا القرار موقف العراق الذي يطالب العراق بحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير » .

كما اتخذت قيادة الجزائر ، ولفترة طويلة ، مواقف مشابهة تقريبا بالنسبة لمسائل التسوية ويضاف الى ذلك أن اعطى الانتصار في النضال الطويل والمضني مع المستعمرين ، جعل القيادة الجزائرية تشيد بأسبقية الحل العسكري للنزاع العربي الاسرائيلي على الحلول السياسية . كما أن بعد الجزائر المعروف عن منطقة المواجهة العربية الاسرائيلية المسلحة المباشرة

---

(١٠) « الثورة » في ٢٣ فبراير عام ١٩٧١

(١١) نفس المرجع

يؤدي الى سوء فهم لطابع العمليات التي تحدث في البلاد التي تواجه اسرائيل مباشرة . وتؤدي كل هذه الاسباب جملة الى سوء تقدير القيادة الجزائرية للاساليب السياسية في النضال من اجل تسوية ازمة الشرق الأوسط . ولذا فقد كانت الجزائر فترة ١٩٦٧ – ١٩٧٠ تعتبران الاسلوب العسكري في حل النزاع العربي – الاسرائيلي هو الاسلوب الممكن الوحيد . فلقد قال هـ . بومدين : « لقد اكدنا منذ الايام الاولى من معركة الشرق الاوسط أن الحل الممكن الوحيد ينحصر في مواصلة النضال والفداء حتى يحصل الشعب الفلسطيني على حقوقه وحتى يأتي ذلك اليوم الذي يسترد فيه العرب كرامتهم من جديد » . غير أن الجزائر غيرت منهجها فيما بعد ، ووافقت قيادتها من حيث المبدأ على امكانية التسوية السياسية للنزاع . وقال بومدين موضحا سبب ذلك التغيير في موقف بلاده ، ان الجزائر انبثاقا من المصالح المشتركة « لاتريد وضع العقبات أمام مسألة التسوية بالنسبة « لبعض اشقائها العرب » .

وبالرغم من سوء تقدير الاساليب السياسية لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي من جانب القيادة السورية والعراقية والجزائرية امتزج هذا الموقف بمدى هذه القيادة دائما بالعرفان والتقدير لخدمات الاتحاد السوفيتي في النضال من أجل السلام العادل والوطيد في الشرق الاوسط .

ولقد ساعد التغيير المحدود في موقف الدول العربية التقدمية الثلاث – الجزائر والعراق وسوريا – بالنسبة للنضال السياسي من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي ذلك التغيير الذي جاء نتيجة ادراك ان حقيقة سياسة عدم الاعتراف بالجهود السلمية في التسوية تلتقي في الواقع بالسياسة الاسرائيلية الرامية الى احباط هذا النوع من الجهود هذا التغيير المحدود ساعد على تهيئة الظروف المناسبة في العالم العربي لتنشيط النضال من أجل الوسائل السياسية لتسوية النزاع . وكان قرار الدورة الحادية عشرة لمجلس الدفاع المشترك للدول العربية « ٨ – ١١ نوفمبر عام ١٩٦٩ بالقاهرة » أول تعبير عن الظروف المتغيرة . ولقد تم التفاهم حول جميع المسائل التي طرحت للنقاش .

وكان موقف حكومة مصر ازاء هذه المسائل – وهو الموقف المناقض لسياسة اسرائيل الاستفزازية عاملا ساعد الى حد كبير على اعداد الاسلوب الموحد للدول العربية بالنسبة لمسائل التسوية : وتخوض الدول العربية المتقدمة نضالا حاسما ضد الامبريالية وشركائها الاسرائيليين وهي بذلك تساعد على تعزيز مواقف حركة التحرر الوطني العربية وتنشيط النضال من أجل

---

(١٢) « الف – باء » في ١٥ يناير عام ١٩٧٩

القضاء الكامل على الاستعمار بشكليه القديم والجديد . واتخذت حكومة مصر خطوات مختلفة تهدف الى التوصـــل الى تهيئة الظروف المناسبة للتسوية الفعالة والنهائية للنزاع العربى الاسرائيلى . دافعت الوفود المصرية فى صلابة وثبات ومن منطلق الواقعية فى المؤتمرات والاجتماعات الدوليـة وفى هيئـة الامم المتحدة عن مصالح العرب الوطنية ، فاضحة محاولات اعداد السلام فى فرض شروط التسوية على الشعوب العربية » من موقف القوة .

وكانت مناقشة الوضع الخطير فى هـــذه المنطقة بالدورتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة قد نجح نجاحا عظيما للغاية وملحوظا للسياسة الخارجية المصرية فى مجال النضال من أجل السلام فى الشرق الاوسط . وبفضـــل التـأييد النشيط من جانب بلدان المجموعة الاشتراكية تم فى هاتين الدورتين اتخاذ قرارات فعـالة للغـاية تدين بصراحة ودقة المعتدين الاسرائيليين وتتضمن هذه الوثائق المطالبة بالتنفيـذ الكامل لقرار مجلس الامن الصـــادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ الذى يقضى بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ وضمان حقوق ومصالح كل بلدان وشعوب الشرق الاوسط بما فى ذلك شعب فلسطين العربى .

ويظهر الاسلوب البناء الذى تنتهجه مصر والدول العربيـــة الاخرى بالنسبة لتسوية ازمة الشرق الاوسط بصفة خاصة فى الاستعداد للاستجابة بشكل ايجابى لاى مبادرة تساعده على تحقيق أى تقدم فى قضية ازالة آثار العدوان الاسرائيلى . وقد ادلت حكومة مصر بسرعة برأيها فى تأييد مذكرة ج . يارنج الصادرة فى ٨ فبراير عام ١٩٧١ التى تتضمن اقتراحا لحكومتى مصر واسرائيل لقبول الالتزامات المصاغة بدقة حول موضوعى التسوية الاساسيين ـ انسحاب القوات الاسرائيلية واقرار السلام . واعلنت الحكومة المصرية ردا على يارنج موافقتها على ابرام معاهدة سلام مع اسرائيل اذا ما التزمت اسرائيل بالجلاء عن جميع الاراضى العربية المحتلة وتنفيذ قرارات هيئـــة الامم المتحدة الخاصة باللاجئين الفلسطينيين . واسقط رد الجانب المصرى هذا فى يد حكام اسرائيل حجتهم الاساسية التى تزعم أن مصر ترفض الاعتراف بسيادة اسرائيل ووحدتها الاقليمية واستقلالها السياسى وان مصر ترفض ابرام اتفاقية سلام معها .

وكما هو معروف لم ترد اسرائيل على مذكرة السفير يارنج .

وينبغى فى سياق الحديث عن الخطوات الاخرى التى تتخذها القيادة المصرية ـ حول مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط التطلع الى بيان الرئيس

---

(١٣) « المجاهد » (الطبعة الفرنسية) فى ٣٠ مارس عام ١٩٧١

السادات الصادر فى ٤ فبراير عـام ١٩٧١ بخصوص استعداد الجـانب المصرى فى حالة تنفيذ اسرائيل الانسحاب الجزئى من الشاطىء ـ الشرقى لقناة السويس ـ أن يبدأ فى اعداد القناة واستئناف الملاحة الطبيعية فى اهم طريق مائى عالمى الامر الذى قد يصبح خطوة أولى فى طريق تنفيـذ قرار مجلس الامن المعروف . غير أن اسرائيل رفضت الرد بشكل ايجابى على مبادرة الرئيس المصرى . وفى ٩ فبراير عام ١٩٧١ أكدت جولدا مائير ـ وكأنها ترد على الرئيس المصرى السادات ـ الموقف الاسرائيلى المنحصر فى انه « لا يمكن أن يدور أى حـديث عن انسحاب القـوات الاسرائيلية بدون ابرام معاهدة سلام حول حدود آمنة ومعترف بها .. » (١٤) .

وكان أ. ايبـان أكثر صراحـة ، فقـد أعلن فى ١٧ فبراير عام ١٩٧١ فى الكنيست أن « منهج رفض انسحاب القوات الاسرائيليـة من جميع الاراضى المحتلة كان ولا يزال سياسة الحكومة الاسرائيلية » (١٥) .

وقدمت الدول العربية من جانبها طائفة كاملة من التنازلات التى املتها الرغبة فى التوصل الى شروط مقبولة للسلام المقبل فى الشرق الاوسط . والموافقـة الفعلية من جانب بعض الدول العربية على اعتبار حـدود اسرائيـل محصورة بين الخطوط التى كانت موجودة فى ٤ يونية عام ١٩٦٧ ، واستعداد هذه الدول لضمان سيادة اسرائيل وذلك فى حالة اظهار اسرائيل استعدادا مماثلا لذلك وامتناعها عن سياسة التوسعات الاقليمية على حساب الدول العربية المجاورة ، هذه كلها امور تحتم امكانية اقامة السلام العـادل والوطيـد بين البلدان العربية واسرائيل . غير ان النهج المتعنت الذى تنتهجه القيادة الاسرائيلية نحو التمسك بجميع الاراضى العربية المحتلة يشكل عقبات خطيرة على طريق السلام فى الشرق الاوسط ويزيد تعقيد قضية تنفيذ المبادرات والمقترحات الخاصة بالتسوية المنبثقة عن الجانب العربى .

وكان تصريح السـادات فى مثل هذه الظروف منطقيا جـدا ، وهو التصريح الذى يقول فيه ان مصر لن تعتبر نفسها من الان فصاعدا مرتبطة باى اتفاقيات خاصة بوقف اطلاق النار وسوف تواصل فى الوقت نفسـه بـذل الجهود للتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . ولقد صدق البرلمـان المصرى على هـذا التصريح الذى ادلى به السادات فى ١٦ مارس عـام ١٩٧١ (١٦) .

---

(١٤) « التايمز » فى ١١ مارس عام ١٩٧١

(١٥) « الموند » فى ٢٧ مارس عام ١٩٧١

(١٦) انظر « الاهرام » فى ١٧ مارس عام ١٩٧١

ويؤدى التخريب المكشوف الذى تقوم به أسرائيل لجميع الجهود الموجهة نحو تسوية ازمة الشرق الاوسط الى ان فرض العقوبات السياسية والاقتصادية على أسرائيل — بوصفها دولة تنتهك عن عمد وبصفة منتظمة الاحكام الاساسية لميثاق هيئة الامم المتحدة ولا ترغب فى التسليم بقرارات هذه المنظمة الدولية الرفيعة أمر له ما يبرره فى هذه الظروف . وتشير الى ذلك بشكل مباشر الاحكام الواردة فى البندين ٤١ و ٤٢ من ميثاق هيئة الامم المتحدة . والجدير بالذكر ان البند السادس من ميثاق هيئة الامم المتحدة يقول صراحة كذلك « يمكن فصل العضو الذى ينتهك بشكل منتظم المبادىء التى جاءت بالميثاق الحالى من المنظمة » .

تعنت الموقف الاسرائيلى

اذا كان التطور الايجابى المحدود ينعكس بدقة تامة فى موقف الدول العربية بالنسبة لعلاقتها بالجهود الرامية الى بلوغ التسوية السياسية العادلة على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ بكل احكامه ، فان موقف صاحب مبادرة حرب يونيه عام ١٩٦٧ يبدو مختلفا . ويدل جمود الموقف على اهتمام الدولة الصهيونية بأزالة بؤرة التوتر الناتجة عن افعال هذه الدولة .

وهكذا لم تنضم القيادة الاسرائيلية الى النضال من أجل تسوية أزمة الشرق الاوسط بأى شكل ايجابى وبناء . كما ان هذه القيادة لم تتمكن من تزييف مضمون القرار رقم ٢٤٢ ورفضت الاعتراف به كدليل للعمل السياسى فى اعادة الحقوق الدولية فى الشرق الاوسط اذ ان سياسة هذه القيادة قائمة على عدم الاعتراف بالقوانين فانها تتجاهل قرارات هيئة الامم المتحدة الاخرى المتعلقة بالوضع فى هذه المنطقة . وكان هذا هو الوضع حتى عام ١٩٦٧ ولم يتغير فى الامر شىء حتى بعد قيام اسرائيل بالهجوم الآثم على الدول العربية عام ١٩٦٧ . كما ان اسرائيل لم تنفذ اى قرار من القرارات الخمسين التى اتخذتها مختلف منظمات هيئة الامم المتحدة منذ يونيه عام ١٩٦٧ بخصوص قضايا الشرق الاوسط .

ولم تتعاون اسرائيل بشكل جدى مع مهمة يارنج وطرحت شروطا متطرفة للغاية ولجأت الى كل ما هو ممكن من حيل واعذار رافضة بشكل منتظم كل مبادرة بناءة . ولا يخفى على احد موقف اسرائيل السلبى من المشاورات القائمة بين اعضاء مجلس الامن الدائمين الاربعة ، التى تمت بهدف المعاونة فى ايجاد التسوية المتوازنة التى تأخذ فى اعتبارها المصالح الشرعية لجميع الاطراف المشتركة فى النزاع ... كل الاطراف وليس اسرائيل وحدها .. ولذلك كانت اسرائيل ضد هذه المشاورات . فاسرائيل لاتهمها

المصالح الشرعية بما في ذلك المصالح الشرعية لشعب فلسطين العربى الإمر الذى لا يدخل فى نطاق مخططات الصهاينة المتجاهلين لوجود هذا الشعب وكذلك الصهاينة الذين يبذلون كل ما فى وسعهم لكى ينتهى هـذا الوجـود بالفعل .

وسبب سياسة التعنت التى تنتهجها اسرائيل اندلاعا جديدا للعمليات العسكرية فى اكتوبر عام ١٩٧٣ وقد حاولت اسرائيل هنا استخدام التكتيك المجيب لهـا اى تكتيك التسويق والمطالب المتطرفة المخالفة تماما لقرارات مجلس الامن الجديدة ارقام ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ان التهرب من الالتزامات الدوليـة الاوليـة ــ مبدأ رئيسى فى سياسة اسرائيل الخارجية ومع ذلك لا تنسى الاصرار على حقوقها . التى لاتبدو واقعية ومكتسبة بقدر كونها مختلفة ومغتصبة فى تعسف ودون شرعية . وكلما بدأت تتهيأ ضد ارادة اسرائيل الظروف التى تساعد على خروج قضية التسوية من الطريق المسدود والتى تتوج بالسلام جهود اولئك الذين يريدون السلام بالفعل ، لجأ الصهـاينة الى مختلف استفزازات ، حتى لا يحـل السلام فى الشرق الاوسط وحتى يظل الوضع الراهن مهددا بالانفجار . وهـــذا أمر ضرورى بالنسبة للدولة الصهيونية وانصارها اذ ان تكتيك التعويق يعرقل استعادة الشرعية ويسمح لاسرائيل باستغلال ثمار العدوان والابقـاء بصفة دائمـة على ربط منطقة الشرق الاوسط بالاستراتيجية العالمية للامبريالية . وكل هذا يتطابق كلية مع مخططات الصهيونية فى الشرق الاوسط .

ولا يتميز موقف اسرائيل من قضية تسوية ازمة الشرق الاوســط بالجمود فقط . فموقف اسرائيـل له سمة مميزة أخرى تعـزز خاصيتها الوطيدة ، وتكون مظهر ارتقائها . والحديث يدور هنا حول المظهر الخـارجى لاعراض المرض الفطرى الذى يضاعف الجمـود السياسى الخـارجى للدولة الصهيونية . هذا المرض هو سياسة ضم الاراضى قهرا وهذه السـياسـة لا تنفصل عن مخططات « اعادة تكوين » ما تسمى بالامبراطورية الصهيونية ، التى يختلف الصهاينة فى تحديد حدودها وان كانوا متفقين جميعا على انها لا تتفق ابدا مع قرارات هيئة الامم المتحدة المعروفة التى رسمت الحـدود الشرعية الوحيدة حتى الان « للمؤسسة الصهيونية كما انها لا تتفق أيضـا مع « الحدود التى كسبتها اسرائيل اثناء الحرب الاولى مع العرب ، واصبحت اعراض هذا المرض واضحة وملحوظة بصفة خاصة بعد حرب يونية عام ١٩٦٧ . وهذا كله يؤدى الى تأكيد بأن السياسة الاسرائيلية تتميز بضوابط لا ينقصـها المنطق الداخلى وهى « الافلات من القصاص يولد الوقاحة » .

وطبقا لقانون « الوقاحة المتزايدة » هكذا يكشف القادة الاسرائيليون كثيرا عن انفسهم أمام العالم بوصفهم يؤمنون بضم الاراضى قهرا . وحتى

رجال الدولة وساسة اسرائيل الذين كانوا الى عهـد قريب لا يعارضون المحافظة على سمعة « الحمائم » بداوا يكشفون اكثر فأكثر انتماءهم الى سرب الصقور التى لاتود ترك ممتلكات الغير وترك الايرادات التى تأتى من الامتلاك غير الشرعى لهذه الممتلكات .

والصهاينة على اختلاف الوانهم أحيوا منذ بداية نشاطهم الفعلى حلمهم الجنونى الخاص باقامة « اسرائيل الكبرى فوق اكبر قدر ممكن من الاراضى الواسعة التى كانت فى حوزة ممالك داود وسليمان اليهودية القديمة . التى أعلن انها « ضرورية بشكل حيوى » لاسرائيل الكبرى . وفى الماضى ، وقبل ان يستقر الصهاينة فى فلسطين اخفى قادتهم « المسئولون اهداف مطامعهم حول اسرائيل الكبرى وعندما كان يصل الامر الى المحادثات الفعليـة كانوا يظهرون « اعتدالهم » ويسحبون ادعاءاتهم على فلسطين كلها مؤكدين اكتفاءهم « بقطعة صغيرة من الارض » .

ولم يتجاسر الصهاينة الا بعد ان استقروا فى الارض الفلسطينية . وراح بن جوريون يقول فى سفور ان اسرائيـل لا تشغل سوى « الجزء الاصغر (من الاراضى المستحقة لها وذلك دون ان يكشف عن المدى الحقيقى للمطامع الاقليمية الاسرائيلية . والتزم بهـذه الادعاءات اتباع الفـاشى الصهيونى جابوتينسكى الذين تبرأت منهم اسرائيل الرسمية على اعتبار انهم « متطرفون (رغم انها تشاركهم وجهات نظرهم التوسعية سرا . ولقد أعرب عن وجهات النظر هذه بشكل اكمل منـاحيم بيجيين زعيم عصابات ايرجون ومؤسس حزب « خيروت » الصهيونى اليمينى بوصفها الحالى تمثل خمس « ١/٥ » ما ينبغى أن تكون عليه بلاد آبائنا . وبالتالى ينبغى علينا أن نعمل من أجل تحرير الاربعة الاخماس « ٤/٥ » الباقية (١٧) .

ومن البديهى أن حكومةليفى أشكول عندما خططت الهجوم على الدول العربية وقامت به لم تعلن عن نواياها الحقيقية التوسـعية . فلقد استغلت « الخطر العربى » لاهداف مغرضة واشتكت امام العالم كله من ان اسرائيل الصغيرة المسكينة تتعرض لمختلف الاهانات من جيرانها . وفى ١٢ يونيـه عام ١٩٦٧ اعلن ليفى اشكول للكنست قائلا « لقد كان وجود دولة اسرائيل على قيد شعرة ولكن آمال القادة العرب فى ابادة اسرائيل تحطمت » . وقال آمنون كابيليول الكاتب الاسرائيلى المعروف ــ مذكرا بذلك التصريح الكاذب كلية ــ ان تأكيد اشكول سالف الذكر تلاقفته من الاف الخطب والاحاديث والمقالات الخاصة بالشخصيات الرسمية الاسرائيلية » ولا تزال هذه النغمة

---

(١٧) « ريماركيس افريكانى » ٢٤ اغسطس عام ١٩٦٧ صـ ٤٠٠ ، سبتمبر عام ١٩٦٧ صـ ٤٤٠ .

تدوى حتى يومنا هذا ، ونمت هذه النغمة بقوة على ايدى جـولدا مائير واتباعها الذين يتشبثون فى عناد بهذه الخدعة المكشوفة .

غير أن السياسة الرسمية للدولة الصهيونية تظهر اكثر فأكثر ما كان مقررا فى « المؤسسة » الصهيونية منذ البداية اى جوهرها الاحتلالى المتعلق بضم الاراضى قهرا .

ولقد أعلنت اسرائيل « ملكيتها » للقدس العربية فور احتلالها لها فى يونية عام ١٩٦٧ . ومنذ ذلك الحين تقوم اسرائيل بتعريض المدينة للتهويد المنتظم وتقرر فى سفور عدم رغبتها فى الانسـحاب منها متجاهلة بذلك قرارات هيئة الامم المتحدة التى تدين هذا العمل غير المشروع .

وفى يوليه ١٩٦٧ ظهر المخطط الاسرائيلى بالنسبة للضفة الغربية لنهر الاردن ، هذه المنطقة يطلق عليها القاموس الصهيونى اسمى : السـامرة ويهودا ولقد طرح هذا المخطط الجنرال ايجال آلون الذى كان يشغل منصب وزير العمل فى حكومة ليفى أشكول . وبعد أن أصبح الجنرال نائبا لرئيس الوزراء فى حكومة جولدا مائير وهو من ضمن أولئك الذين يطلقون على أنفسهم « المعتدلين » ، بذل جهده لتنفيذ المخطط مشترطا الا يحمل المخطط الطـابع « الرسمى » . أما السبب الذى دفعه لوضع هذا الشرط ، فسوف نتحدث عنه بعد أن نوجز « مخطط آلون (طبقا لما جاء على لسان صاحب المخطط نفسـه عام ١٩٧٢ وليس ١٩٦٧ وهذا يدل على اهمية هـذا النوع من المخططات .

فقد اكـد ايجال آلون فى حديث مع مراسلة صـحيفة « معاريف » الاسرائيلية فى مارس عام ١٩٧٢ من جديد وجهة نظره القائلة بأن نهر الاردن يجب ان يصبح « حدودا سياسية (اسرائيلية ويجب ان يقام على طـول هذه « الحدود » حزام امان « عرضه ١٤ ــ ٢٤ كيلو مترا على ان يعتبر هـذا الحزام ضمن الاراضى الاسرائيلية ذات السيادة . وايجال آلون مستعد لان يقدم للسكان العرب « امكانية الحصول على الوجود الوطنى الخاص بهم » فى قطعة الارض المتبقية بعد هذا الاجراء ، الامر الذى يشبه بعض الشىء وضع شـعوب البنتو المعروفة فى جنوب افريقيا . ولم يحصل مصـير الارض الداخلة فى مخطط آلون على ترخيصه النهائى ، بعد ، فى اى وثيقة قانونية ويقول نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى انه ينبغى الاتيان « بالحقائق الجديدة » التى تخدم مستقبل خريطة اسرائيل اى تهويد ما يمكن يهويده من الاراضى عن طريق اقامة المستوطنات اليهودية الجديدة على الاراضى العربية (١٨) .
والحقيقة أن هذا هو ما يحدث بالفعل .

---

(١٨) « جيروساليم بوست » ، ٢٦ مارس عام ١٩٧٢

ففى غرب الاردن وليس فى وادى نهر الاردن فقط يوجد بالفعل ١٦ كيوبتز « اى مستوطنة للجنود المزارعين من ٤٥ تقرر بناؤها وهكذا ينفذ المخطط « غير الرسمى » بشكل رسمى تماما ولا ينحصر اهتمام صاحب المخطط الا فى الاسراع فى احداث « أمر واقع جديد » .

والآن نتحدث بعض الشيء عن « شروط » آلون الخاص بحمل مخططه الطابع غير الرسمى . فهذا الشرط ليس مخصصا لتهدئة اولئك الذين يعارضون ضم الاراضى قهرا . فهو موجه الى انصار ضى الاراضى قهرا الذين لا يودون ان يسمعوا شيئا حتى عن شعوب البنتو والذين يعربون عن استيائهم تجاه الطابع غير الرسمى وحده ، ولكنهم « يوافقون على جميع وجهات المخطط العملية ، ومن المنطلق نفهم « النقد » الذى وجهه « اسحق رافائيل زعيم الحزب الوطنى الدينى لنائب رئيس الوزراء . ومن هذا المنطلق بالذات يدين » أحد زعماء « حيروت » هو الجنرال عازر وايزمان « ابن أخ حايم وأيزمان أول رئيس لاسرائيل » الذى يعلن صراحة : « اننا نقول بصراحة ان السامرة ويهودا من الاراضى التابعة لنا » ومن هذا المنطلق بالذات قامت « جبهة الانتخابات » التى شكلها أ. شارون فى ١٣ سبتمبر عام ١٩٧٣ بمعارضة الحكومة ، بل الاعضاء « المعتدلين » فيها والى هذه الجبهة « اليمينية المتطرفة التى اشتهرت باسم « ليكود » انضمت كتلة جحال حيث يلعب الدور الرئيسى فيها حزب « حيروت » بيجين ووايزمان والتجمع البرلمانى « الوسط الحر » و « القائمة القومية » المتكونة من الاعضاء السابقين بحزب العمل وكذلك « الحركة من أجل اسرائيل الكبرى .

وفضلا عن ذلك من الممكن الا يقلق « المتطرفون » قلق اكدت لهم جولدا مائير شخصيا فى مارس عام ١٩٧١ ان أحدا لاينوى الخروج من السامرة ويهودا كما أن موشى ديان اوضح فى حديث ادلى به لمراسل شركة تليفزيون سى . بى . اس الامريكية فى فبراير عام ١٩٧٢ قائلا :

« انى اعتبر الضفة الغربية لنهر الاردن بمثابة وطن لنا ولا يوجد اى فارق بالنسبة لى بين تل ابيب ومنطقة الخليل . هذا هو وطننا . ولا اعتقد انه يجب أن تصبح اسرائيل دولة عربية . « وحتى لا يغضب ديان زميله فى الحكومة الذى يتحدث عن الكيان الوطنى « لعرب الضفة الغربية لنهر الاردن يتجنب « ديان » مسألة السيادة مفضلا الحديث عن « حق اسرائيل فى

---

(١٩) « جيروساليم بوست » فى ٢٠ يولية عام ١٩٧٢ ، « لوموند » ٣٠ مارس عام ١٩٧٢

(٢٠) « جيروساليم بوست » ، ٢٣ مارس عام ١٩٧٢ و ٢٨ أبريل عام ١٩٧٢

(٢١) انظر « لوموند » ١٦ مارس عام ١٩٧١

تهويد هذه الارض والقاء جنوده على نهر الاردن (٢٢) . والجدير بالذكر ان رئيس الوزراء الراحل ليفى اشكول احجم فى خطبه العامة عن تفسير الضم بهذا القدر من الصراحة بالنسبة لمشكلة « الحدود الآمنة » وعلى أقل تقدير بالنسبة لهذه المنطقة حيث حدد مطامعه بالقدس العربية ومرتفعات الجولان .

وفى الوقت الحالى يتحدث الزعماء الصهاينة باسرائيل علانية عن رغبتهم فى ضم الجولان السورية وكذلك شرم الشيخ والممرات المؤدية الى النفط المصرية المأهولة فى شبه جزيرة سيناء . وتجرى اقلمة « الاراضى السورية والمصرية المحتلة فى عام ١٩٦٧ بشكل سافر ويجرى « تهويدها » على قدم وساق والكثيرون من القادة الاسرائيليين يعلنون كثيرا وبلا تحفظ « ضم هذه الاراضى » الى أرض اسرائيل ويوظفون راس المال فيها كأن هذه الاراضى تابعة لهم بالفعل . وهكذا أقيمت فوق مرتفعات الجولان ١٨ مستوطنة ومن المقرر زيادة تعداد السكان اليهود الى ١١ الفا وخلال خمس سنوات أى من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٢ استثمرت اسرائيل ١٠٠ مليون جنيه اسرائيلى فى « استصلاح » هذه المنطقة وتقام هنا شبكة للمواصلات تبلغ قيمتها ١٦ مليون جنيه اسرائيلى ومن المقرر اقامة بعض الاستثمارات الصناعية فى هذه المنطقة . وتغير اسم شرم الشيخ واصبح اوفير ، كما يجرى تعمير الشريط الساحلى من هذه المنطقة حتى ايلات وكذلك ساحل سيناء المطل على البحر الابيض المتوسط .

وكلما مر الوقت زادت تصريحات وافعال المحتلين الصهاينة وقاحة . ففى عام ١٩٧٢ حل الدور على قطاع غزة ــ وهو ارض فلسطينية ــ فقد كان من المفروض ان يدخل فى نطاق الدولة العربية طبقا لقرار هيئة الامم المتحدة الصادر عام ١٩٤٧ .

ولما لم تتكون هذه الدولة اصبحت الارض « قطاع غزة » تحت ادارة مصر مؤقتا حتى احتلت اسرائيل القطاع وكما هو الحال بالنسبة للاراضى العربية الاخرى التي « هودت » أو يجرى تهويدها فى فلسطين ، لجأت القوات الاسرائيلية فى قطاع غزة الى أسلوب تهجير سكان القطاع الاصليين بالقوة . وقد قال اندريه سيماما مراسل صحيفة « موند » فى اسرائيل : « لقد طرد البدو الذين كانوا يعيشون فى ٢٠٠٠ هيكتار من الارض المخصصة

---

(٢٢) انظر « جيروساليم بوست » ٢٠ فبراير عام ١٩٧٢

(٢٣) انظر « جيروساليم بوست » ٢٨ يولية عام ١٩٧٢

(٢٤) انظر « جيروساليم بوست » ٢٠ يولية عام ١٩٧٢ ، « لوموند » فى ٢١ اكتوبر اكتوبر عام ١٩٧١

للمستعمرات اليهودية دون حرج وعندما حاول بعضهم العودة أستخدمت القوات الإسرائيلية القوة ضدهم ودمرت « عششهم » وزدمت الآبار (٢٥) .

وظهر فى اسرائيل أناس شرفاء احتجوا على هـــذه الاجراءات غير المشروعة ولكن الوزير جاليلى رد بتصريح وقح قال فيه ان الحكومة تعتبر غزة « جزءا من اسرائيل وزيادة على ذلك تسرعت مسز مائير فى التصـــديق على اقوال ممثل حكومتها بالاستحسان الشخصى من جانبها » غير انه لايرجد من بين وزرائها — وفيهم أولئك الذين ينتمون الى حزب مابام الصـــهيونى اليسارى والذين يعتبرون انفسهم اشتراكيين — لا يوجد بينهم من كان يرى ضرورة مناقشة هذه الادعاءات المرتبطة بضم الاراضى قهرا .

وهكذا نرى ان سياسة ضم الاراضى قهرا التى تنتجها اسرائيـــل — ظاهرة ليست جديدة بالمرة . و « الحداثة » هنـــا لا تنحصر الا فى اكتساب هذه الظاهرة الطابع الاســتعراضى وهـــذا لا يدل فقط على التقليل الكبير المسافة بين المتطرفين من امثال بيجين — وايزمان وبين اسرائيل الرسمية من حيث الجوهر ، بل يدل كذلك على زوال الخلافات الخارجيـــة البحتة بينهم . وبالحـــكم على ذالك كله أدى « قانون الوقاحـــة المتـــزايدة » الذى تسترشـــد به الحكومة الاسرائيلية ، بالفعـــل ، الى تميز لسياســـة الدولة بالتطرف وينظر الى المبشرين بهذه السياسة من أمثال جابوتينسكى « كأبطال وطنيين » . ولقد كان هؤلاء « الابطال » فى ابتهاج شديد عندما علموا أن الكنيست اتخذ فى ١٦ مارس عام ١٩٧٢ قرارا خاصا اعتبر فيه « الحق التاريخى للشعب اليهودى فى أرض اسرائيل امرا واقعا لا جدال فيه (٢٦) » . وعندما شرح مراسل وكالة انباء يونيتدبرس انترناشيونال فى اسرائيل هذا القرار ، قال ان « ارض اسرائيل » تمتد بعمق الى الاردن وتصل حتى نهر الفرات فى سوريا الامر الذىيحتاج الى استيلاء جديد على بعض الاراضى العربيـــة « لتحقيق » « الحقوق التاريخيـــة » التى منحهـــا الصـــهاينة لانفسهم . واثبتت الاحداث الاخيرة ان جنوب لبنان ينتمى الى عداد الاراضى العربية التى يتطلع اليها الصهاينة .

ان قرار الكنيست سالف الذكر ليس من صنع المتطرفين على الاطلاق ولو كان ذلك فمن أين لهم بالعـــدد الضرورى من الاصـــوات ؟ انه تعبير عن النهج الرسمى . وقد اشار حايم تسادوق رئيس اللجنة البرلمانيـــة للدفاع والخارجية فى المناقشات التى سبقت اتخاذ هذا القرار ، أشار الى أن الملاحظ أن هناك خلافات قليلة جدا فى الاراء بخصوص الحق التـــاريخى

---

(٢٥) انظر « لوموند » فى ٢٩ مارس عام ١٩٧٢

(٢٦) « جيروساليم بوسنت » فى ١٧ مارس عام ١٩٧٢

للشعب اليهودى فى ارض اسرائيل . ان ما يثير الخلافات هو امكان تنفيذ هذا الحق فى الوقت الحالى » .

ان القادة الاسرائيليين يثرثرون فى نفاق وكأنهم مستعدون للمحادثات بلا شروط تمهيدية وفى الوقت نفسه لا ينشغلون الا بما يحرك شروطهم التمهيدية المتعلقة بضم الاراضى والقائمة على « الامر الواقع » وعلى الاستيلاء على أرض الغير . ومن الطبيعى جدا ان يطفو على السطح الرأى القائل بانهم يفضلون المكتسبات الاقليمية على السلام . وتؤكد بياناتهم الاخيرة صحة هذا الرأى .

« عندما يعلن ازرائيل جاليلى رسميا ان غزة من الان فصاعدا « جزء لا يتجزأ عن اسرائيل « وعندما تعلن مسز جولدا مائير ان ضم الاراضى فى غرب الاردن طبقا « لمخطط الون » يجب ان ينظر اليه على اعتبار انه الحد الادنى من المطلوب يطفو على السطح سؤال قانونى : اين يتوقف « الامر الواقع » ومن أين تبدأ الحدود المقبلة لاسرائيل وهى الحدود التى يستطيع حكام القدس حتى الان تحديدها » .

هيئة الامم المتحدة ودورها فى النضال من اجل تسوية ازمة الشرق الاوسط

هيئة الامم المتحدة وجمعيتها العامة ومجلس الامن — منظمات دولية طرحت فيها ونوقشت مرارا مشكلة تسوية ازمة الشرق الاوسط . ومع تشديد المجموعة الافرو — آسيوية فى هيئة الامم المتحدة ومع زيادة ادراك دول « العالم الثالث » لحقيقة أن عدوان اسرائيل يعد مظهرا سافرا من مظاهر التوسع الامبريالى الذى يهدد فى الحقيقة كل دول آسيا وافريقيا ، فضاعفت بشكل ملحوظ فرص اتخاذ تلك القرارات التى لا تتضمن فقط المفهوم المجرد لضرورة التسوية بل تشير الى الخطوط الملموسة الخاصة بالتوصل الى هذه التسوية . وساعد على هذا التغير بالدرجة الاولى العمل الثابت الخطى لوفود الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية الاخرى وكذلك مصر لتوضيح وكشف الجوهر الحقيقى للعدوان الاسرائيلى الامبريالى ضد البلدان العربية .

ومن الطبيعى جدا وجود وجهات نظر كثيرة ومختلفة فى هيئة الامم المتحدة بخصوص جوهر حل المشاكل التى ظهرت او تفاقمت نتيجة للعدوان الاسرائيلى الذى حدث عام ١٩٦٧ ان طابع الحل الوسط والتفسيرات المتنوعة جدا للقرارات والتوصيات المتحدة طابع يميز قرارات هيئة الامم المتحدة وخاصة ما يتعلق بمسائل تسوية ازمة الشرق الاوسط — ويعتبر قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ مثالا مميزا فى هذا المجال .

لقد اهتمت هيئة الامم المتحدة الى الوضع فى الشرق الاوسط منذ لحظة قيام دولة اسرائيل وظهور المشكلة الفلسطينية وبعبارة ادق مشكلة اللاجئيين الفلسطينية . وبصفة اجمالية من الممكن تسمية اكثر من عشر وكالات ولجان وهيئات تابعة لهيئة الامم المتحدة ترتبط ببحث مختلف وجهات الوضع فى الشرق الاوسط .

وتقضى المقترحات السوفيتية المعروفة يستدرك باشتراك هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن فى حل أو تأمين بعض المسائل الملموسة المتعلقة بتسوية ازمة الشرق الاوسط : ضمان انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة وتوفير النظام الاساسى للمناطق المنزوعة السلاح وضمان الحدود العربية الاسرائيلية الآمنة والمعترف بها .

وكانت الدورة الطارئة الخامسة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة التى عقدت بمبادرة من الاتحاد السوفيتى ، مرحلة هامة فى النضال من اجل أزالة آثار العدوان الاسرائيلى الذى حدث فى عام ١٩٦٧ . ان مناقشة الوضع فى الشرق الاوسط اثناء الدورة سالفة الذكر التى حملت طابعا حادا جدا ــ اثبتت أن الغالبية الساحقة من الدول الاعضاء فى هيئة الامم المتحدة تؤيد انسحاب قوات المعتدى من الاراضى العربية المحتلة . وبالاضافة الى ذلك اتخذ فى الدورة الطارئة الخامسة قراران طالبا اسرائيل بعدم اجراء اى تعديل فى نظام القدس الداخلى وهكذا من الممكن ان نقول بكل ثقة ان غالبية الوفود رفضت محاولات اسرائيل فى الاحتفاظ بالاراضى العربية التى حصلت عليها نتيجة للعدوان ولقد أكدت الجمعية العامة مبدأ عدم السماح باستخدام القوة فى اغراض الاستيلاء على الاراضى . وبالرغم من ان الدورة الطارئة الخامسة للجمعية العامة لم تتخذ اى قرار ، الا أن رئيس الجمعية أعلن فى مجال عرضه لنتائج الدورة : لقد كان هناك اجماع للاراء بالفعل حول مبدأ عدم السماح بالاستيلاء على الاراضى بطريق الحرب « وان » الجميع توصلوا بالفعل الى ضرورة انسحاب القوات الى مواقعها الاساسية « اى العودة الى ما كان عليه الوضع فى ٤ يونيه عام ١٩٦٧ .

وأصبح مبدأ عدم السماح باستخدام القوة فى أغراض الاستيلاء على الاراضى ، اساسا فى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى تمت الموافقة عليه بالاجماع فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ . ولقد نصت الفقرة الثالثة من القرار على مطالبة السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة « بتعيين مبعوث خاص يتوجه الى الشرق الاوسط لاجراء اتصالات بالدول المعنية بهدف المعاونة فى التوصل الى اتفاق واجراء اتصالات بالدول المعنية بهدف تعزيز الجهود الموجهة نحو

---

(٢٧) نفس المرجع

بلوغ التسوية السلمية والشاملة طبقا لاحكام ومبادىء القرار الحالي « (أى القرار رقم ٢٤٢) . وفى ديسمبر عام ١٩٦٧ قام أوثانت سكرتير عام هيئة الامم المتحدة بتعيين جونار يارنج سفير السويد لدى موسكو فى ذلك الوقت مبعوثا شخصيا له فى الشرق الاوسط .

وكان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وثيقة انطلاق للمناقشة المقبلة لمشكلة الشرق الاوسط فى اطار مجلس الامن والجمعية العامة وكذلك اثناء مشاورات المندوبين الدائمين للدول العظمى . وكان اعلان مبدأ عدم السماح بالاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب ، والتأكيد على ضرورة التوصيل الى السلام العادل والوطيد في منطقة الشرق الاوسط ، والاشارة الى ضرورة انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل في عام ١٩٦٧ ، وكذلك وقف جميع ادعاءات وحالات الحرب واحترام السيادة والاعتراف بها وكذلك الوحدة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى فى منطقة الشرق الاوسط وحقوق هذه الدول فى الحياة فى سلام وفى حدود آمنة ومعترف بها دون اللجوء الى التهديد بالقوة أو استخدامها ، كانت هذه كلها احكاما اساسية فى ذلك القرار ، وتتطابق جميعها تماما مع ميثاق هيئة الامم المتحدة .

وكان صدور قرار هيئة الامم المتحدة فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ مرحلة هامة وجديدة فى النضال من أجل السلام العادل فى الشرق الاوسط . والى جانب أن هذا القرار أشار فى شكل مختصر وعلى هيئة حل وسط « وفى غموض الى حد كبير » — الى الاتجاهات الاساسية للتسوية ، فان هذا القرار احبط المخططات الاسرائيلية الخاصة بتخليد احتلال الاراضى العربية ، وحرم اسرائيل من أى أساس للاصرار على المحادثات العربية الاسرائيلية المباشرة .

ومع قبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بدأت مرحلة النضال من أجل ايجاد الطرق المقبولة من جميع الاطراف لتنفيذه مما يؤدى للوصول الى تسوية الوضع فى الشرق الاوسط وكان مؤتمر وزراء خارجية الدول الاوروبية الاشتراكية فى وارسو الذى حدد بعض الخطوات الملموسة فى مجال المعاونة على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ — كان هذا المؤتمر أول ندوة عالمية كبيرة فى هذا المجال .

وعلق الرأى العام العالمى آمالا بعيدة على مهمة ج. يارنج حيث كان يرى فى حيوية هذه المهمة وسيلة هامة للتسوية .

وكان لاعتماد المهمة على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ أمر له أهمية كبيرة فى هذا الصدد وكانت المرحلة الاولى من مهمة الوساطة التى يقوم بها يارنج مرتبطة بتفسير بعض التفاصيل فى مواقف الجانبين المتنازعين ولا يمكن

اعتبار أن هذه المرحلة كانت ناجحة . ولقد اصطدمت محـــاولات يارنج فى الحصول من اسرائيل على بيان واضح بقبولها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، اصطدمت بتعنت جاد من جانب اسرائيل لاصدار مثل هذا البيان . وعندئذ حول المندوبون الاسرائيليون انتباه الرأى العام العـــالمى الى رغبتهم فى عقــد معاهدة سلام مع الدول العربية . « متجـــاهلين » مسألة انسحاب القــوات الاسرائيلية ، ابداء رأيهم صراحة فى اكثر مسائل التســـوية حيوية وهى المســـألة الاقليمية .

وظهر هذا الخط المتعنت بشكل اكثر صراحة فى كلمة ا . ايبان وزير خارجية اسرائيل التى القاها فى ٨ اكتوبر عام ١٩٦٨ أثناء النقاش فى الدورة الثالثة والعشرين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة . فلقــد طرح ايبان فى كلمته ما تسمى « بالنقاط التسع » للتسوية ، مكررا التقويم الاسرائيلى لقرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ، على اعتبار أن هذا القرار « قائمة للمبادىء التى يمكن للجانبين وضعها فى أساس الاتفاقية » . وفى هذه الحالة يطرح أيبان التصور الاسرائيلى للشروط المسبقة لاى تســـوية والتى تنص على ضرورة « اقامة السلام الدائم . والاتفاق حول تحديد الحدود الآمنة والمعترف بها » وهو بذلك يربط بين كل شروط التسوية السلمية فى الشرق الاوسط ـ وخاصة مشكلة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ ـ وبين تحقيق « الشروط المسبقة » ، السالفة الذكر ، بمـــا يتفق ومصالح اسرائيل بالفعل . ان طريقة ايبان فى حـــل مشكلة التسوية طبقا لما جاء على لسانه ـ « منهج غير معقول لا يقره انسان ولم يسبق له مثيل من قبل (٢٩) » .

ولاقت « نقاط » ايبان « التسع » ـ وهى محاولة صريحة لفرض شروط التسوية السلمية على الجانب الاخر مع استمرار احتلال اسرائيل لاراضى الدول العربية ـ هذه النقاط لاقت مقاومة جادة من جانب الحكومات العربية وفى الوقت نفسه لجأت القيادة الاسرائيلية الى مناورات جديدة محاولة فى هـــذه المرة استغلال مهمة جونار يارنج . ففى ١٥ اكتـــوبر عام ١٩٧٨ بعث ابا ايبان بمذكرة الى السفير يارنج حاول فيها اخفاء الاهداف الحقيقيـــية للقيادة الاسرائيلية من الاشارة الى ضرورة ايجاد « امكانية العون فى التوصل الى اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل فيما يختص باقامة السلام العادل والوطيد » . وكانت الركيزة الرئيسية فى هذه المذكرة على ضرورة اقامة السلام بين أطراف النزاع ولم تذكر اية كلمة عن استعداد اسرائيـــل

---

(٢٨) « لوموند » ٣ مارس عام ١٩٧٢ .

(٢٩) انظر « لجيروساليم بوست » ٩ اكتوبر عام ١٩٦٨ .

لتسحب قواتها من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ او عن موافقتها على تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر من نفس العام « ١٩٦٧ » ان بمضمون مذكرة ايبان الصادرة فى ١٥ أكتوبر هو نفس مضمون المذكرتين اللتين بعث بهما فيما بعد وهذا المضمون قاصر على تلخيص « النقاط التسع » .

وتصدق مذكرة الرد التى سلمها محمود رياض وزير خارجية مصر الى يارنج فى ١٩ اكتوبر عام ١٩٦٨ حين تشير الى أن نهج اسرائيل فى مسائل التسوية يتناقض تماما مع قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر . واشار الوزير المصرى فى مقدمة مذكرته ، عن طريق حق ، الى ان قيادة اسرائيل حاولت ان تتظاهر بانها تبحث عن تسوية سلمية طبقا لقرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر رغم انها ترفض الاعتراف به كما ترفض التصريح باستعدادها لتنفيذ هذا القرار .

واصبح واضحا ان مهمة يارنج لن تستطيع التحرك من مكانها اذا لم تقدم لها الاتجاهات للعمل فى جميع الاوجه الاساسية فى التسوية . وكما كانت مهمة يارنج قد تحددت بقرار من مجلس الامن ظهرت ضرورة صياغة بعض توصيات المجلس بشأن التسوية . وبهدف صياغة هذه التوصيات وبدات فى ابريل عام ١٩٦٩ فى نيويورك حسب اقتراح فرنسا ، لقاءات المشاورات بين مندوبى الدول العظمى الاربع الدائمين فى اطار مجلس الامن . وفى تلك الفترة اشتهر « برنامج ـ جدول » تسوية النزاع العربى الاسرائيلى الذى تقدم به الاتحاد السوفيتى فى ديسمبر عام ١٩٦٧ ، هو البرنامج الذى كان يصلح اساسا لمناقشات «الدول الاربع مما كان له اهمية ايجابية كبيرة .

واستمرت المشاورات الرباعية فى اطار مجلس الامن حتى سبتمبر عام ١٩٧١ عندما توقفت بسبب موقف الجانب الامريكى . وقبل ذلك وتحت ضغط الامريكيين توقفت مجموعة الخبراء التى كانت تقوم بتنسيق بعض الصياغات لاجتماعات « الدول الاربع » وتوقفت هذه المجموعة عن أعمالها .

وفى اثناء المشاورات الرباعية ظهرت تفاصيل ممتعة لدرجة ما ، فى سلوك مندوبى الولايات المتحدة الامريكية وهى تفاصيل تلقى ضوءا اضافيا لى جوهر الاسلوب الامريكى فى حل مشكلة التسوية فى الشرق الاوسط . ورغم ان جميع المشتركين فى المشاورات الرباعية « وفيهم الامريكيون » اعترفوا رسميا بان قرار مجلس الامن الصادر فى اكتوبر يجب ان يتم تنفيذه بجميع بنوده ، عمل مندوبو الولايات المتحدة وانجلترا فى عناد على ربط تنفيذ البند الاساسى فى القرار والخاص بانسحاب القوات الاسرائيلية ، باقامة « الحدود الآمنة والمعترف بها » مبتعدين فى الوقت نفسه عن التحديد الدقيق لمفهوم الحدود هذه . وعند مناقشة هذا الموضوع اوصل الامريكيون الامر بتأييد

من الانجليز الى الاعتراف بمبدأ ضرورة اجراء بعض التغييرات فى التخطيط المقبل للحدود العربية الاسرائيلية وقد كان من الممكن تقويم هـذا الاقتراح بطريقتين : اذا ما أخذنا فى الاعتبار تأكيدات الجانب الامريكى بأن الخطوط التى كانت قائمة فى ٤ يونيـة عام ١٩٦٧ يجب أن تظل « أساسا » للحدود المقبلة فان مسألة اجراء بعض التعديلات فى الحدود العربية الاسرائيلية على اساس متبادل يمكن تفهمها ، غير ان نية الامريكيين الابتعاد عن مناقشة مسألة حجم هذه التعديلات كانت واضحة جدا ، الامر الذى يجعلنا نفهم ذلك على انه سعى لتقديم مكافأة للمعتدى على عدوانه ولقد كشف الجنرال م. ديان الجوهر الحقيقى للمناقشات الامريكية الاسرائيلية . ففى حديث صحفى أدلى به لصحيفة « نيويورك تايمس » أعلن « بصراحة الجندى » أن اسرائيل « لا يجب أن تعود الى الخريطة القديمة مع تعديلات طفيفة . بل يجب اجراء تعديلات ضخمة (٣٠) » .

بالاضافة الى ذلك اصر الجانب الامريكى اثناء المشاورات على نقل مركز ثقل التسوية الى « محادثات اكثر مباشرة » بين الاطراف مشيرا الى أن التسوية السلمية فى الشرق الاوسط يجب ان يتم التوصل اليها عن طريق الاتفاق بين الاطراف المعنية فى النزاع بشكل مباشر .

وانعكس بدرجة كبيرة فى موقف الجانب الامريكى أثناء المشاورات الرباعية الضغط المتزايد على الحكومة الامريكية من جانب الدوائر الصهيونية وذوى النفوذ الموالين لاسرائيل . والجدير بالذكر أن نشير هنا الى البيان الذى أصدرته مجموعة أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب والذى وقع عليه ٦٢ من أعضاء الكونجرس . وجاء بهذا البيان أن « الطريق الوحيد للسلام العادل فى الشرق الاوسط يكمن فى المحادثات المباشرة بين اسرائيل والدول العربية « وان » أى اتفاق يتم بين الدول الاربع العظمى لا يمكن أن يكفل السلام فى الشرق الاوسط (٣١) » .

وعلى مدار كل مشاورات « الدول الاربع » تقدم الجانب السوفيتى بمجموعة كاملة من المقترحات البناءة تقوم على أسس سليمة . وبمبادرة من الجانب السوفيتى بالذات تم التوصل الى اتفاق يتم بمقتضاه تبادل الآراء حول مسائل التسوية وفقا للترتيب الوارد فى قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر . وبمبادرة من الجانب السوفيتى ايضا اكد كل المشتركين فى المشاورات الرباعية تأييدهم يارنج . غير أن « الدول الاربع » لم توفق فى صياغة التوصيات لهذه المهمة .

---

(٣٠) « نيويورك تايمز » ٥ يونية عام ١٩٦٩

(٣١) « نيويورك تايمز » ٢٦ ابريل ١٩٦٩

واتخذ مندوبو فرنسا موقفا بناء اثناء المشاورات الرباعية . ولقد تقدم الجانب الفرنسي باقتراح هام يقضي بأن يتقدم أطراف النزاع « بأعلانات للنوايا » بحيث يتضمن احد بنودها تصريحا واضحا بضرورة تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر بجميع بنوده وأحكامه . وبالاضافة الى ذلك اتخذ الجانب الفرنسي موقفا مشابها تقريبا مع الجانب السوفيتي حول مسألة الحدود العربية الاسرائيلية المقبلة . وبالاضافة الى ذلك تقدم الجانب الفرنسي فى ٩ ديسمبر ١٩٦٩ بمقترحات صريحة حول التسوية بين الاردن واسرائيل . ولقد تجاوبت هذه المقترحات فى الكثير مع البرامج السوفيتية الخاصة بالتسوية . وكان من الممكن لو وافق الاعضاء الآخرون فى المشاورات الرباعية على هذه المقترحات يمكن الاسراع فى البحث عن طرق تسوية أزمة الشرق الاوسط . وبالاضافة الى ذلك خصصت الوثيقة الفرنسية جانبا لمشكلة ضمانات تسوية الشرق الاوسط المقبلة التى تمت مناقشة كل جوانبها فى اللقاءات الرباعية الكثيرة التى جرت خلال عامى ١٩٧٠ – ١٩٧١ . وينطلق الجانبان السوفيتي والفرنسي من ان هذه الضمانات – مع استخدام المراقبين والسلك العسكرى التابع لهيئة الامم المتحدة – يمكنها بل يجب ان تصبح جزءا لا يتجزأ من التسوية السياسية فى الشرق الاوسط . غير أن مسألة الضمانات لم تحل أثناء المشاورات الرباعية نتيجة لموقف الجانب الامريكى الذى نقل الامر كله الى بساط البحث دون أن يقدم أية مقترحات واضحة .

وفى مارس عام ١٩٧١ أشار بوشي المندوب الامريكى فى المشاورات الرباعية بشكل مباشر الى ان الولايات المتحدة الامريكية غير مستعدة لمناقشة ضمانات التسوية بشكل صريح . وأصبح التقدم المقبل فى البحث عن حل بناء لمسألة الضمانات أمرا غير ممكن بالفعل رغم ان التقدم استمر بعض الوقت . واثارت المشاورات الرباعية معارضة شديدة من قبل الجانب الاسرائيلى الذى وجد فى احتمال توصل الدول العظمى الى اتفاق تهديدا واقعيا لمخططاته التوسعية .

واتصفت فترة مهمة يارنج كلها بالجمود رغم ان المبعوث الشخصى للسكرتير العام كان يلتقى من وقت لآخر بالمندوبين الرسميين لأطراف النزاع . وكان يستمع الى وجهات نظرهم بخصوص بعض جوانب مشكلة التسوية .

وفى ٢٣ يونية عام ١٩٧٠ اعلن و. روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة أن الولايات المتحدة تقدمت « بمبادرة سلام » مقترحا فيها على العرب واسرائيل « وقف اطلاق النار واللجوء الى المحادثات » عن طريق وساطة السفير يارنج . ومن الطبيعى أن يطفو التساؤل التالى على السطح : لماذا اعتبرت حكومة الولايات المتحدة فى هذه المرحلة بالذات انه فى الامكان العودة

الى مسألة تنشيط مهمة يارنج *وجاء في رسالة وزير الخارجية التى بعث بها في ١٩ يونية عام ١٩٧٠ الى محمود رياض وزير الخارجية المصرى : انى ارى أن محافظة الولايات المتحدة وتعزيزها لروابط الصداقة مع كل شعوب ودول هذه المنطقة (الشرق الاوسط) امر يستجيب لمصالحنا المشتركة (٣٢) .

واذا ترجمنا هذا الى لغة مفهومة لجميع الاطراف كان هذا معناه أن الحكومة الامريكية قد سيطر عليها القلق بشكل جدى خشية أن تؤدى سياستها قصيرة النظر وعديمة الافاق في تأييدها الشامل لاسرائيل الى حرمان الولايات المتحدة من بقايا احترامها في بعض الدول العربية فضلا عن تهديد مصالح شركات البترول الامريكية في الشرق الاوسط .

وفي الوقت نفسه لم تستطع حكومة الولايات المتحدة مع هذه المخاوف الا أن تأخذ في اعتبارها المقاومة المتزايدة من جانب الدول العربية لعدوان اسرائيل واصرار هذه الدول على التوصل الى ازالة آثار هذا العدوان . واخيرا كان التأييد الاقتصادى والدبلوماسى والسياسى المتسع بشكل دائم والثابت من جانب الاتحاد السوفيتى للنضال العادل الذى تخوضه الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلى الامبريالى ، كان هذا التأييد عاملا هاما جدا دفع الولايات المتحدة الى اتخاذ هذه الخطوة .

وتتلخص المقترحات الامريكية في النقاط التالية :

- دعوة اسرائيل ومصر الى تجديد وقف اطلاق النار ولو لفترة محدودة .

- الاقتراح على اسرائيل ومصر « وكذلك اسرائيل والاردن » بالموافقة على النص التالى من تقرير السفير يارنج المقدم لاوثانت سكرتير عام هيئة الامم المتحدة : لقد اخبرتنى الجمهورية العربية المتحدة « الاردن واسرائيل » بأنهما متفقان على مايلى :

(أ) بعد أن قبلت الدولتان القرار رقم ٢٤٢ واعربتا عن استعدادهما لتنفيذه كاملا تقومان بتعيين المندوبين لاجراء المناقشات تحت رعايتى في الوقت الذى أحدده والمكان الذى أعينه آخذا في الاعتبار ما يراه كل جانب في شكل اللقاءات .

(ب) ينحصر هدف المناقشات سالفة الذكر في التوصل الى اتفاق حول اقرار السلام العادل والوطيد بينهما وهو السلام القائم على الاعتراف المتبادل من جانب الجمهورية العربية المتحدة « الأردن واسرائيل »

---

(٣٢) « نيويورك تايمز » ٢٣ يولية عام ١٩٧٠

بالوحدة الاقليمية والسيادة السياسية لكل منهما وكذلك الاتفاق حول الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المحتلة اثناء نزاع عام ١٩٦٧ ــ وهذا كله طبقا للقرار رقم ٢٤٢ .

(ج) وللمساعدة فى مهمتى الخاصة بالتوصل الى اتفاق طبقا لما جاء بالقرار رقم ٢٤٢ فان الجانبين سوف يلتزمان التزاما كاملا ابتداء من أول يولية حتى اول اكتوبر على الاقل بقرار مجلس الامن الخاص بوقف اطلاق النار (٣٣) » .

ولقد قبلت حكومة مصر فى ايجابيــة فكرة تنشيط مهمــة يارنج . وجاء برد محمود رياض وزير الخارجيـة الذى بعث بـه الى د. روجرز وزير الخارجيـة الامريكى فى ٢٢ يولية عام ١٩٧٠ ان مصر وأصـدقاءها جميعهم وخاصة الاتحاد السوفيتى كانوا ينادون دائما بضرورة بذل الجهود التى قد تساعد على نجاح مهمة يارنج . كما تضمن رد رياض الاشارة الى أن الجانب المصرى أبلغ فى أوائل عام ١٩٦٨ بما يسمى « بصيغة يارنج » * التى وافقت عليها الحكومة المصرية . غير ان رياض أكد فى رسالته ان الحكومة الاسرائيلية رفضت فى ذلك الوقت ابلاغ السفير يارنج باستعدادها لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر عام ١٩٦٧ وهو الأمر الذى شكل صعوبات خطيرة فى جهود المبعوث الشخصى للسـكرتير العام ولم يسمح فى هذه الفترة بالتوصل الى اتفاق حول اتصالات اطراف النزاع عن طريق وساطة يارنج حسب « الصيغة » التى اقترحها . وتضمنت رسـالة رياض الموافقـة على

---

(٣٣) نفس المرجع

(*) ان صيغة يارنج « التى ضمنها ج . يارنج تقريره لسكرتير عام هيئة الامم المتحدة عرضها على حكومات مصر والاردن واسرائيل فى ربيع عام ١٩٦٨ وذلك بعد جولة المشاورات الاولى التى قام بها فى القاهرة وعمان وتل ابيب . وكانت « صيغة يارنج » تنص على مايلى : ابلغتنى حكومات اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة والاردن بموافقتها على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ بهدف التوصل الى التسوية السلمية والمقبولة لمشكلة الشرق الاوسط وانها تنوى تنفيذ احكام ١٩٦٧ التسوية السلمية والمقبولة لمشكلة الشرق الاوسط وانها تنوى تنفيذ احكام هذا القرار تحت رعايتى . وأعرب حكومتا اسرائيل ومصر عن الاستعداد للتعاون معى بصفتى المبعوث الخاص للتوصل الى هذه التسوية بعد ان اخذت فى اعتبارى الطابع العاجل للمشكلة فى الوضع المتكون وبهدف الاسراع بالجهود الموجهه نحو بلوغ التسوية قمت بدعوة الحكومتين للقاء فى مؤتمر فى اطار مجلس الامن . وانى أقول بارتياح ان الحكومتين رحبتا بهذه الدعوة ن. ، فى الكنيست قائلة » فى البداية رفضت الحكومة الاسرائيلية مقترحات الولايات المتحدة الامريكيـة ولكن بعد ذلك حصلت اسرائيل على تفسير هام حول تعزيز معذرة اسرائيل الدفاعيـة والتأييد على مبدأ العدالة فيما يختص بالمسائل السياسية ، وبعـد ان حلت رئيسة الحكومة الاسرائيلية رموزو ما تعنيه القيادة الاسرائيلية بمبادرة « المسائل السياسية » اوضحت أن الولايات المتحدة نرى انه لا يجب على اسرائيل العودة الى حدود عام ١٩٦٧ ولا أنه ــ طالما لم يتم التوصل الى التسوية السلمية ــ لا يجب على أى جندى .

استئناف مهمة يارنج وعلى الشروط التى وضعها الجانب الامريكى لموافقة روجرز على نص تقرير يارنج الموجه الى أوثانت . وفى ٢٦ يوليه تلقى روجرز ردا ايجابيا من عطا الله وزير خارجية الاردن الذى اشار فى رسالته بصفة خاصة الى أن حكومة الاردن « لا ترى أى جديد » فى مقترحات وزير الخارجية ، اذ أن مضمونها « يتلخص فى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وفى أستئناف مهمة السفير يارنج بهدف اجراء الاتصالات مع الاطراف من اجل تنفيذ القرار سالف الذكر » .

والواقع ان مقترحات روجرز لا تتضمن اى جديد من الناحية المبدئية او لا تتضمن ما يستجيب لمواقف مصر والاردن آرائهما الرسمية . ولقد اعترفت هاتان الدولتان بأهمية مهمة يارنج واعربتا عن استعدادهما للتعاون بشكل بناء وبالفعل تعاوننا معه وكانتا دائمـا على استعداد للاصغاء الى التوصيات المتفق عليها من جانب الدول العظمى الاربع وهى التوصيات التى رفضتها اسرائيل مقدما .

ولم يتضح موقف اسرائيل بالنسبة « لمبادرة روجرز » الا فى اوائل اغسطس ففى ٤ اغسطس اعلنت جولدا مائير فى الكنيست قائلة « فى البداية رفضت الحكومة الاسرائيلية ، مقترحات الولايات المتحدة الامريكية ولكن بعد ذلك حصلت اسرائيل على تفسير هام حول تعزيز مقدرة اسرائيل الدفاعية والتأكيد على مبدأ العدالة فيما يختص بالمسائل السياسية » وبعد ان حلت رئيسة الحكومة الاسرائيلية رموز ما تعنيه القيادة الاسرائيلية بعبارة « المسائل السياسية » أوضحت ان الولايات المتحدة ترى انه لا يجب على اسرائيل العودة الى حدود عام ١٩٦٧ وانه ـ طالما لم يتوصل الى التسوية السلمية ـ لا يجب على أى جندى اسرائيلى ان ينسحب من الاراضى المحتلة (٣٤) » ، وذلك سعيا الى « اجبار » حكومة الولايات المتحدة على ضرورة مواصلة نهج التأييد التام للسياسة الإسرائيلية فى مسائل التسوية .

واصبحت اتفاقية « وقف اطلاق النار مع تجميد الموقف » نافذة المفعول فى ٧ اغسطس عام ٧٠ فى تمام الساعة ٢٢ بتوقيت جرينتش . وفى هذه الفترة بالذات اى فى الفترة التى ظهرت فيها البوادر المشجعة للانفراج المحتمل لتوتر الشرق الاوسط بدأ المدافعون عن المعتمدين فى اسرائيل ذاتها وفى خارجها فى البحث المحموم عن حجج جديدة لاعاقة التسوية . فاختلفوا على عمل رواية خرق الجانب المصرى لشروط وقف اطلاق النار . وظهرت على صفحات الجرائد الاسرائيلية والغربية وخاصة الامريكية عناوين صاخبة عن وجود وحدات صاروخية مصرية جديدة على بعد ٥٠ كيلومترا غربى قناة السويس وعن « خرق توازن القوى » فى الشرق الاوسط وهكذا .

---

(٣٤) « نيويورك تايمز » ٦ أغسطس عام ١٩٧٠

وعرضت حكومة مصر مرارا وبالتفصيل موقفها الرسمي من هذه المسائل . وقالت صحيفة «الاهرام القاهرية» انه ــ كما اصبح معروفا لمراسلها ــ لم تكن القاهرة موافقة على إن تقوم الاقمار الصناعية الامريكية وطائرات التجسس من طراز أو ــ ٢ التى تحلق على ارتفاعات كبيرة بمراقبة خط وقف اطلاق النار (٣٥) وقالت الصحيفة ذاتها أن محمود رياض وزير الخارجية أوضح فى رده الذى بعث به الى ممثل المصالح الامريكية فى القاهرة وجهة نظر مصر بالنسبة للاتهامات الامريكية والاسرائيلية . ولقد جاء بهذا الرد ما يلى على وجه الخصوص :

أ ــ ان ما يدهش الجمهورية العربية المتحدة ان الولايات المتحدة صدقت بشكل بسيط قول اسرائيل أن الجانب المصرى خرق شروط وقف اطلاق النار .

٢ ــ ان الجمهورية العربية المتحدة لم تفعل شيئا يؤثر على التزاماتها تجاه شروط وقف اطلاق النار .

٣ ــ ان الجمهورية العربية المتحدة تلفت النظر الى انها ابلغت الولايات المتحدة بان اسرائيل اقامت تحصينات خرقا لشروط وقف اطلاق النار على الساحل الشرقى المحتل « لقناة السويس » .

٤ ــ ان الجمهورية العربية المتحدة تلفت النظر الى ان الولايات المتحدة قد خرقت بنفسها شروط وقف اطلاق النار طبقا لما أعلن عن قيام واشنطن بمد اسرائيل بطائرات من طراز « فانتوم (٣٦) » .

وعلى ما يبدو وبهدف اعطاء صفة اللياقة لحياد وعدم تحيز الحكومة الامريكية للسياسة الاسرائيلية أصدرت وزارة الخارجية بيانا أشارت فيه فى تحفظ شديد الى وجود بعض حالات خرق شروط وقف اطلاق النار من جانب اسرائيل .

وفى الواقع كما حرصت الصحف العالمية ــ أن الحديث كان يدور حول الحالات المتعددة والمتكررة لدخول العسكريين الاسرائيليين منطقة القناة واقامة مواقع للمدفعية والدبابات وغيرها فى هذه المنطقة وحول الحالات المتكررة لعمليات انتهاك الطائرات الاسرائيلية للمجال الجوى المصرى . وقال ل. بريجنيف فى خطابه الذى القاه فى باكو يوم ٢ اكتوبر عام ١٩٧٠ : « ان القيادة الاسرائيلية تسعى بكل السبل الى تعزيز مواقعها فى الاراضى العربية المحتلة وخاصة فى الساحل الشرقى لقناة السويس كما تزيد القوات

---

(٣٥) « الاهرام » فى ٢١ اغسطس عام ١٩٧٠

(٣٦) « الاهرام » فى ٥ سبتمبر عام ١٩٧٠

لتوجيه ضربات اجرامية جديدة ضد البلدان العربية،وذلك كله خلف ستار من دخان الاتهامات المختلفة ضد الجمهورية العربية المتحدة (٣٧) » .

وفى جو عدم الاستقرار الخطر القائم فى الشرق الاوسط الناتج عن موقف اسرائيل افتتحت الدورة اليوبيلية الخامسة والعشرون للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وكانت الفقرة الثانية والعشرون من جدول الاعمال مخصصة لبحث « الوضع فى الشرق الاوسط » .

أن مناقشة تسوية أزمة الشرق الاوسط سواء فى الدورة الخامسة والعشرين أو السادسة والعشرين للجمعية العامة اظهرت الاهتمام الحقيقى من جانب غالبية الوفود بسرعة انهاء النزاع واقرار السلام فى الشرق الاوسط . وفى اثناء المناقشة قيل أن المتسببين الحقيقيين فى توتر الوضع هم — اسرائيل والولايات المتحدة المناصرة لها . وذكر أثناء المناقشة بوجه خاص ان الجانب الاسرائيلى فى الحقيقة ، عطل نشاط مهمة يارنج وان استمرار احتلال اسرائيل للاراضى العربية ليس فقط خرقا لمبادىء هيئة الامم المتحدة ولكنه كذلك تهديد مباشر للسلام العالمى والامن . وأكد غالبية أعضاء الوفود انه لا يمكن أن يوجد أى تبرير للعدوان على الوحدة الاقليمية والاستقلال السياسى لاى دولة وان الاستيلاء على الاراضى بالقوة أمر غير مسموح به .

وفى الدورتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين للجمعية العامة استمرت المحاولات الامريكية — الاسرائيلية لاغراق مناقشة النزاع فى متاهات الكلام . ووصل الامر فى الدورة الخامسة والعشرين الى أن أ. ايبان وزير خارجية اسرائيل بدأ — بعد ان أستنفد كل الحجج الانتقادية والاستفزازية بشكل سافر فيما يختص بمشروع القرار الذى تقدمت به مجموعة دول عدم الانحياز ، بدأ يؤكد ان قبول هذا القرار « يضاعف العقبات امام استئناف مهمة يارنج » « وان هذا القرار يتضمن » خرقا وتزييفا للتوازن بين انسحاب القوات الاسرائيلية واقامة السلام فى ظل الحدود الآمنة والمعترف بها ، التى تعتبر فى رأى الجانب الاسرائيلى « أساسا » للقرار (٣٨) .

وفى الجمعية العامة لم يؤخذ صراخ ايبان الهستيرى فى الاعتبار . فلقد صوت ٥٧ وفدا لصالح مشروع القرار الخاص بالشرق الاوسط الذى وافقت عليه الدورة السادسة والعشرون للجمعية العامة « فلقد تضمن البند التاسع من القرار مثلا ايماء واضحا الى امكانية فرض عقوبات على اسرائيل

---

(٣٧) ل. بريجنيف . بالنهج اللينينى . خطب ومقالات المجلد ص ١٤٣

(٣٨) وثيقة هيئة الامم المتحدة أ/ب.طة ١٨٩٦ فى نوفمبر عام ١٩٧٠ ص ١٣ ، ١٧

ودعوة لحل المشكلة الفلسطينية » ولقد وافق على القرار ٧٩ وفدا واعترض ٧ وامتنع عن التصويت ٣٦ وفدا .

وتضمنت بنود قرار الجمعية العامة رقم ٢٦٢٨ « الدورة السادسة والعشرون » دعوة لاستئناف اتصالات الاطراف عن طريق وساطة يارنج ومد فترة وقف اطلاق النار « التى بدات فى ٧ اغسطس عام ١٩٧٠ كما يذكر القراء » لمدة ثلاثة اشهر . وخلال هذه الاشهر الثلاثة توقع الراى العام العالمى ان تبعث اسرائيل بمندوبيها للاتصال بالسفير يارنج الا أن اسرائيل لم تتقدم الا فى أوائل ينساير عام ١٩٧١ باقتراح أطلقت عليه اسم « أسس السلام » بين اسرائيل والدول العربية ـ المشتركة فى النزاع والمعترفة بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولم « تتجرأ » القيادة الاسرائيلية على هذه الخطوة الا بعد أن حصلت على تأكيدات من حكومة الولايات المتحدة بأنها سوف تسعى كما سبق ، الى ضمان التفوق العسكرى لاسرائيل على الدول العربية . واكدت جولدا مائير فى كلمتها التى القتها فى الكنيست يوم ٢٩ ديسمبر عام ١٩٧٠ أن حكومة اسرائيل حصلت ما الولايات المتحدة على « التحديدات » التالية للموقف الامريكى :

ـ ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لاترى انه يجب على اسرائيل أن تدخل فى المحادثات أو تجريها وهى فى موقف الضعف .

ـ والولايات المتحدة الامريكية لا توافق على البرنامج العربى فى حل مشكلة اللاجئين القائم على ضرورة تنفيذ القرار رقم ١٩٤ للجمعية العامة الدورة الثالثة الذى يقضى للاجئين بحق الخيار بين العودة الى الوطن والاستيطان فى الدول الاخرى مع أخذ التعويضات اللازمة .

ـ يجب أن يتم حل النزاع العربى الاسرائيلى على أساس اتفاقية سلام . وما دامت الحدود العربية الاسرائيلية المحددة التى تقوم عليها اتفاقية السلام لا توجد ، فان « اسرائيل تنوى الحفاظ على خطوط وقف اطلاق النار دون سحب قواتها من الاراضى الواقعة تحت ادارتها » (٣٩).

غير أن المقترحات الاسرائيلية التى سلمت ليارنج والتى نشرت فيما بعد فى « نيويورك تايمس » لم تتضمن «الشىء الرئيسى كما انها لم تكشف موقف اسرائيل من مسألة انسحاب قواتها وتجاهلت مبدأ عدم السماح بالاستيلاء على الاراضى بطريق الحرب » . وشملت المقترحات المقابلة المصرية اهم احكام قرار مجلس الامن الضرورية لاقامة وتعزيز السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط .

---

(٣٩) « التايمز » ١٢ مارس عام ١٩٧١ .

وفى ظروف بعض الحماس الظاهرى فى مناقشات مشكلة التسوية وزيادة اهتمام الراى العام العالمى بهذه المشكلة تقدم السفير يارنج فى ٨ فبراير عام ١٩٧١ بمذكرة « خاصة موجهة الى حكومتى مصر واسرائيل . واقترح فيها ان يلتزم الجانبان بالالتزامات التى تمت صياغتها بدقة حول المسألتين الاساسيتين فى التسوية : ـ انسحاب القوات الاسرائيلية واقامة السلام .

وقدمت الحكومة المصرية ردا ايجابيا ودقيقا وسريعا . فقد اعلنت بشكل خاص موافقتها على عقد معاهدة سلام مع اسرائيل اذا ما اخذت اسرائيل على عاتقها الالتزام بالانسحاب من جميع الاراضى العربية التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ وتنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة الخاص باللاجئين الفلسطينيين ان الخطوة البناءة التى قامت بها حكومة الجمهورية العربية المتحدة حرمت حكومة اسرائيل من امكانية التهرب من الرد على مبادرة السفير يارنج بحجة أن مصر ترفض الاعتراف بسيادة اسرائيل ووحدتها الاقليمية واستقلالها السياسى وترفض ابرام معاهدة سلام معها .

فماذا كان رد فعل الدوائر الحاكمة باسرائيل على مذكرة يارنج سالفة الذكر ؟ فى ١٧ فبراير أى بعد يومين من نشر رد مصر ، صرح ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل فى الكنيست بان منهج رفض انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ « كان وسيظل سياسة الحكومة الاسرائيلية (٤٠) . وفى ٢١ فبراير اذيع بيان حول اجتماع الحكومة الاسرائيلية لمناقشة مذكرة يارنج وجاء بالبيان مباشرة أن « اسرائيل لن تنسحب من خط الهدنة طبقا لما كان عليه الوضع فى ٤ يونيه عام ١٩٦٧ (٤١)» .

واثار رد اسرائيل الوقح ، الاستياء والغضب فى جميع انحاء العالم . وظل سبب عناد اسرائيل كما هو فى الماضى ـ التأييد والتشجيع العلنى لطبيعتها التوسعية من جانب حكومة الولايات المتحدة الامريكية .

ونذكر أن أ . ايبان ، طبقا لما جاء بصحيفة « فيجارو » الفرنسية ، قال فى ٢١ فبراير فى حديث صحفى قصير أدلى به الى اذاعة القدس ان « الولايات المتحدة لم تمارس أى ضغط على اسرائيل « فيما يختص بالرد المحتمل على مذكرة يارنج .

وحتى صحيفة « نيويورك تايمس » التى لا يمكن الشك فى تعاطفها مع العرب كتبت تقول فى هذه الفترة : « ان بيان الوزير الاسرائيلى (نقصد بيان ايبان حول رفض مذكرة يارنج) بالاضافة الى رد الفعل السلبى من جانب الشخصيات الرسمية الاسرائيلية على محاولات يارنج التوصل الى الحصول

---

(٤٠) « جيروساليم بوست » ١٨ فبراير عام ١٩٧١

(٤١) «جيروساليم بوست » ٢١ فبراير عام ١٩٧١

على التزامات صريحة من اسرائيل بخصوص انسحاب قواتهـا من الامور التى ادت الى ظهور مسائل خطيرة متعلقة باستعداد اسرائيل للتحرك نحو بلوغ السلام طبقا للمبادىء التى جاءت بقرار مجلس الامن » .

وكان لمناقشة تقرير السكرتير العام لهيئة الامم المتحـدة فى يونيـة عام ١٩٧٣ مجلس الامن حول نشاط هيئة الامم المتحدة فى تسوية النزاع العربى الاسرائيلى اعتبارا من يونية عام ١٩٦٧ ، كان لهذه المناقشة اهمية كبيرة فى خطة الكشف المطرد لسياسة اسرائيل العدوانية ان الحقائق العديدة والصريحة التى جاءت فى تقرير السكرتير العام اظهـرت ـ فى اقنـاع واكـدت فى وضوح ـ أن اسرائيل كانت ولا تزال السبب الرئيسى فى الوضـع الخطير المستمر فى الشرق الاوسط .

والحق أن تقرير ، ك. فالدهايم لمجلس الامن والمناقشة التى تلت هـذا التقرير ـ قرار اتهام خطير ضد اسرائيل اما « الفيتو » الامريكى الخـاص بالمشروع الختامى لقرار المجلس فقد ساعد على تعقيد وضع لولايات المتحدة ذاتها وزيادة النقد الموجه الى خطها السياسى فى مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط .

سياسة الولايات المتحدة فى مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط

فى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ كان البيت الابيض يدندن مثل خلية النحـل المنزعجة . وكان المستشارون والموظفون الكثيرون فى حيرة : فمنذ الصباح انفرد الرئيس هارى ترومان باقرب مستشاريه واصدر اوامره بألا يزعجه أحد. وفى تمـام الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثلاثين استـدعى الى البيت الابيض شخص يدعى ابشتين وهو مدير الوكالة اليهودية فى واشنطن وفيما يتعلق اصبح سـفيرا لاسرائيل لدى الولايات المتحـدة الامريكية « ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ » . وقيل له ان الولايات المتحدة الامريكية مستعدة للاعتراف بالفعل باستقلال اسرائيل . ولكن ينبغى أولا الحصول على طلب بهـذا الاعتراف . وأشار ابشتين بشكل معقول جدا الى انه ينبغى اولا ايجاد الدولة لتقديم مثل هذا الطلب وظهرت دولة اسرائيل كما كان متوقعا قبل منذ منتصف الليل أى فى تمام السادسة مساء حسب توقيت واشنطن . ووعد ابشتين بابلاغ تل ابيب برغبة الرئيس ترومان والاشارة الى ان الرئيس فى عجلة من امره .

وفى غضون ثلاث او أربع ساعات أبلغوا مارشال وزير الخارجيـة بأن الرئيس سوف يذيع بعد السادسة مساء بيان الاعتراف باسرائيل . وحذروا

(٤٢) « لوفيجارو » ٢٣ فبراير عام ١٩٧١ .

وزير الخارجية بالا يخبر احدا بذلك او يخطر اوستين سفيرا للولايات المتحدة لدى هيئة الامم المتحدة باى شكل من الاشكال حيث كان موجودا فى ذلك الوقت بنيويورك وفى تلك اللحظة كان يناقش مسألة الوصاية على فلسطين .

وفى ١٤ مايو عام ١٩٤٨ وفى تمـــام السادسة بتوقيت واشنطن انتهت فترة الانتداب الانجليزى على فلسطين ، وفى السادسة ودقيقة واحدة ظهرت فى العالم دولة اسرائيل . وفى الساعة السادسة و ١١ دقيقة قام تشارلز روس سكرتير رئيس الولايات المتحـــدة لشئون الصحافة باستدعاء المراسلين الى مكتبه وقرأ عليهم بيان الرئيس ترومان حول الاعتراف بالدولة الجديد فعليا .

وتفسير هذا التسرع الذى لم يسبق له مثيل فى منتهى البساطة : فلقد لاح من بعيد وبشكل واقعى امام الولايات المتحدة الامريكية افاق استغلال الدولة الجديدة وايديولوجية دوائرها الحاكمة المتطرفة فى اعاقة حركة العرب الوطنية التحررية وفى نسف الجبهة الاستعمارية الانجلو فرنسية فى هـــذه المنطقة وكذلك فى تعزيز مواقعها هناك . ولذلك يستنتج غالبيـــة من يبحثون فى أسباب قيام اسرائيل ان هذه الدولة ما كانت لتظهر فى الشرق الاوسط لولا الدور النشيط الذى لعبه البيت الابيض فى عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ لاقامة اسرائيل وهو استنتاج سليم جدا .

ولقد اصبحت كل السياسات المتوالية للولايات المتحـــدة فى الشرق الاوسط تأكيدا مقنعا على السعى الثابت للجانب الامريكى لاستغلال اسرائيل فى محاربة حركة الشعوب العربية الوطنية التحررية .

وفى ذلك بالذات ينبغى البحث عن السبب الرئيسى لتلك العـــلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية « الخاصة » ، التى لم تحدث ــ على حد قول دافيــد نيس الذى كان قائما باعمال الولايات المتحدة فى القاهرة اثناء حرب يونيو عام ١٩٦٧ ، لم تحدث أبدا مع أى دولة أخرى بالنسبة للولايات المتحدة .

ان سياسة التوسع التى ينتهجها الزعماء الاسرائيليون وسعيهم الى الاستيلاء على الاراضى العربية ، بالاضافة الى نشـــاطهم فى محـــاربة حـــركة الشعوب العربية الوطنية التحررية ــ هذه الامور هى التى استرعت الانتباه المتزايد من جانب الولايات المتحدة نحو الدولة الجديدة . ان اسرائيل القوية ــ حسب تقدير الساسة الامريكيين ــ ضرورية فى الشرق الاوسط كعامل حاسم يحد من نمو تطور الحركة الوطنية التحررية فى هذه المنطقة . وفى عام ١٩٥١ حدد مجلس النواب الامريكى اهمية اسرائيل بقوله : « ان اسرائيل تعتبر حصنا فى هذه المنطقة من العالم للديمقراطية العالمية وعلى ضـــوء مصـــالح امريكا الشخصية لا يمكننا ان نتجاهل الوضع القائم فى هذه البـــلاد « دول الشرق

---

(٤٣) « نيويورك تايمز » ١٧ فبراير عام ١٩٧١

الاوسط » (٤٤) . وفى هذا الخصوص كتبت « التايمس » اللندنية : تقول فى اكتوبر عام ١٩٤٨ أعلن الرئيس ترومان : « لقد التزمنا بالعمل على ان تصبح اسرائيل كبيرة بالقدر الكافى وحرة بالقدر الكافى وقوية بالقدر الكافى لضمان استقلال وامن شعبها . وانذاك وضعت الاسس لكى تقوم بين الولايات المتحدة ودولة اخرى « اسرائيل » علاقات لم يسبق لها مثيل فى التاريخ الامريكى . واليوم اصبحت هذه الروابط فى جميع المجالات ــ الدفاع والتعاون الاقتصادى وتبادل المعلومات الاستخبارية والجنسية المزدوجة والتاييد الدبلوماسى المتبادل ــ أصبحت اكثر توثقا من علاقات الولايات المتحدة مع بريطانيا العظمى مثلا (٤٥) » .

وتتطلع الاحتكارات الامريكية الى دولة اسرائيل بوصفها المنفذ المخلص لافكارها التوسعية . والدوائر الحاكمة باسرائيل من ناحيتها لم تخف ، ولا تخفى منذ الايام الاولى لوجود هذه الدولة وحتى الوقت الحاضر ــ اهدافها العدوانية بالنسبة للدول العربية . وتضافرت هنا بالذات مصالح الامبريالية الامريكية والصهيونية وفى ذلك يوجد احد الاسباب الاساسية للعلاقات « الخاصة » القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل .

وفى يولية عام ١٩٥٢ تم توقيع الاتفاقية الامريكية ــ الاسرائيلية الخاصة بالمساعدة فى ضمان الامن المتبادل . وطبقا لهذه الاتفاقية التزمت اسرائيل مع الولايات المتحدة الامريكية بالاشتراك فى « الدفاع » عن منطقة الشرق الاوسط . ولم يعتبر الجانب الامريكى ان فى الامكان اعلان الاتفاقية سالفة الذكر اذ ان الولايات المتحدة فى تلك الفترة كانت تأمل فى استغلال ضعف مواقف حلفائها الغربيين « المستعمرين التقليديين » فى هذه المنطقة من أجل تقوية تغلغلها وتعزيز نفوذها هناك . ولكن الحياة قلبت هذه الحسابات وسار تطور الدولة العربية فى طريق آخر تماما وعندئذ اعلنت حكومة الولايات المتحدة الامريكية « فى عام ١٩٦١ » عن وجود الاتفاقية الامريكية الاسرائيلية سالفة الذكر املا فى التأثير على الدولة العربية ومع ذلك كان التأثير عكسيا .

ان العلاقات « الخاصة » القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل لا ترجع فقط الى التلاقى الدائم لمصالحهما فى الشرق الاوسط . فينبغى البحث عن اسباب هذه العلاقات فى بعض جوانب الحياة السياسية الداخلية بالولايات المتحدة الامريكية ذاتها وفى دور واهمية مجموعة الضغط الصهيونية وفى الوضع الاجتماعى والسياسى للمواطنيين الامريكيين المتحدرين من اصل .

---

(٤٤) انظر محاضرات جالسات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكى ، واشنطن ١٩٥١

(٤٥) « التايمز » ٥ فبراير ١٩٧١

اوروبى . ويعترف الكتاب الامريكيون « ايلى ويريل مثلا » : بأن ما يحدث فى اسرائيل ، أو ما هو مرتبط بشكل ما باسرائيل ، له اصــداء سريعة فى الولايات . ومن ناحية اخرى تسعى مجموعة الضغط الصهيونية بكل قواها الى ايهــام الامريكيين البسطاء « ناهيك عن أولئك الذين يشغلون المنــاصب الحكومية ، والاجتماعية البــارزة ، بان اسرائيل ــ « قلعة حصينة ضــد الشيوعية فى الشرق الاوسط ولذلك فان تأييد الولايات المتحدة لها يتفق والمصالح الحيوية للولايات المتحدة الامريكية ذاتها .

والواقع أن اليهود فى الولايات المتحدة يشرفون على الاذاعة والتليفزيون ويرأسون غالبيــة هيئات تحرير الصحف البارزة . وعن طريق وسائل الاعلام الجماهيرى هذه ، وبمساعدة المنظمات الصهيونية العديدة فى الولايات المتحدة الامريكية (الدعوة اليهودية المتحدة » ، المؤتمر اليهودى الامريكى « ومنظمات اخرى) يقوم اليهود بالتأثير على الرأى العام فى الولايات المتحدة الامريكية ويستفيدون بنشاط من التكتلات المالية الاقتصادية التى يسيطر عليها رأس المال اليهودى وهذا بدوره يؤدى الى وجود كل الاسس التى تطابق الاهــداف ووسائل تعقبيها والتى ينفذها واضعو ومنفذو سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط ، بالاضــافة الى الاساليب التى يستخدمهــا زملاؤهم الاسرائيليون .

وفى هذا الخصوص كتب رايزمان الاستاذ بجامعــة هارفارد يقول : ان قدرة الصهاينة ليست فقط فى سيطرتهم على أصوات الناخبين اليهــود ذات الوزن وعلى موارد اليهود المالية والتنظيمية الهامة بل انها تمتــد الى تخويف أى شخص يعــارض أهدافهم السياسية المرتبطة باسرائيل » .

وممــا تجــدر الاشارة اليــه فى هـــذا الصدد انه فى خريف عام ١٩٦٩ قدمت جولدا مائير فى زيارة رسمية الى الولايات المتحدة الامريكيــة . وقامت مجالس الطوائف اليهودية الموجودة بالمعابد اليهودية بالزام كل يهود نيويورك ومنهم صغار اصحاب المحلات فى حى داون تاون « حى فى نيويورك يعيش فيه فقراء اليهود » بأن يدفع كل منهم مبلغ ١٠٠٠ دولار خــلال يومين أو ثلاثة الى « صندوق استقبال جولدا مائير » بصرف النظر عن مقدار دخل كل فرد . وتم تسليم المبلغ الذى يقدر بعشرات الملايين من الدولارات الى ج. مائير « كتبرع من اليهود الامريكيين لمساعدة اشقائهم فى اسرائيل » .

وينحصر التعبير الاكثر دقة للعلاقات « الخاصة » فى المساعدة المادية التى تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل . ومنذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ بلغت المساعدة الاقتصادية التى قدمتها الحكومة الامريكيــة « عدا حساب

---

(٤٦) انظر استعراض للعلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية « بقلم ليلى قاضى بيروت ــ ١٩٦٩ صــ ٢٠٨

الحولات التى تأتى من المصادر الشخصية والمساعدات العسكرية » حوالى « ٢ر٥ » مليار من الدولارات ونصف مليار علما بأن تعداد سكان اسرائيل لا يزيد على ٣ر٣ ملايين نسمة . وهذا يفوق كثيرا حجم المساعدات الامريكية لاى حليف من حلفائها .

ومنذ عام ١٩٦٨ زادت المساعدة الامريكية التى تقدم لاسرائيل حيث بلغت عام ١٩٧٠ ــ ٨٠٠ مليون وعام ١٩٧١ ــ ١ر٥ مليار من الدولارات .

وحتى عام ١٩٦٧ كانت الولايات المتحدة تضمن لاسرائيل توريدات مستمرة من المعدات العسكرية الحديثة التى كانت تصل اليها عن طريق المانيا الغربية وفرنسا . ومنذ عام ١٩٦٧ اصبحت الولايات المتحدة المورد الوحيد للسلاح الى اسرائيل .

وفى اواخر يناير عام ١٩٧١ قام مجلس النواب فى الولايات المتحدة الامريكية بعمل تعديل على مشروع القانون الخاص باعتمادات الدفاع وهذا التعديل يعطى للرئيس صلاحيات غير محددة بالنسبة لتقديم المعدات العسكرية لاسرائيل بدون تحديد لاسعارها .

وفى هذا الخصوص اعلن ما كورماك رئيس مجلس النواب قائلا : « لم اسمع عن شىء مثل هذا ابدا طوال فترة وجودى فى المجلس خلال ٤٢ عاما » (٤٧)

وبعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ التزمت الولايات المتحدة الامريكية بمد دولة اسرائيل باسلحة تبلغ قيمتها ٢ر٢ مليار من الدولارات .

وتحتل مسألة الجنسية المزدوجة مكانا خاصا فى العلاقات الامريكية فطبقا لمجموعة القوانين الامريكية يفقدالامريكى الذى يشترك فى انتخابات دولة أجنبية أو فى قواتها المسلحة أو جهازها الحكومى ــ يفقد جنسيته الامريكية . غير ان المحكمة العليا بالولايات المتحدة الامريكية اتخذت قرارا فى خريف عام ١٩٦٩ يعطى للامريكيين الحق فى الخدمة بأسرائيل بنفس المواصفات سالفة الذكر دون فقد الجنسية الامريكية . وطبقا لقانون الجنسية الاسرائيلى يحصل اليهودى الامريكى القادم الى اسرائيل على الجنسية الاسرائيلية تلقائيا .

وبعبارة اخرى بلغت العلاقات « الخاصة » القائمة بين الولايات المتحدة واسرائيل ــ حدا لا يعتبر فيه امن وسلامة اسرائيل من الامور الحيوية بالنسبة للامن القومى الامريكى وسلامته فقط ، بل يصبح فيه رد الفعلى الامريكى على الخطر المحتمل الذى قد تتعرض له اسرائيل اكثر شدة من

---

(٤٧) « البرافدا » ٢١ فبراير عام ١٩٧١

رد فعل أمريكا على نفس الخطر لو كان يمس اى حليف لهـا فى حلف شمال الاطلنطى أو حلف جنوب شرق آسيا (٤٨) » .

وبالاضافة الى ذلك فهم يحاولون بنشاط فى الولايات المتحدة الامريكية اثبات ان اسرائيل والعلاقات الامريكية الاسرائيلية من الامور التى اصبحت مشكلة خطيرة للغاية بالنسبة لسياسة الولايات المتحـــدة الخارجية اذ ان اسرائيل « خرجت من تحت سيطرة الولايات المتحدة الامريكية وهى بالتالى لا تنسق أعمالها » مع السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط وما الى ذلك ومثل هذا البيان له هدف مزدوج : فهو من ناحية موجه نحو ابعاد مسئولية الوضع المتأزم فى الشرق الاوسط عن كاهل الولايات المتحدة الامريكية واثبـات عدم ارتباط الولايات المتحدة بسياسة العدوان والتوسع التى تنتهجها اسرائيل ، ومن ناحية أخـرى هو تشجيع للقـادة الاسرائيليين على أن يتخـذوا عن عمد موقفا غير مرن وبعيدا عن حل الوسط ويتصف بالتعويض فيما يختص بكل المبادرات المرتبطة بالبحث عن طريق حل النزاع العربى الاسرائيلى ولا يمكن ان نختلف فى الرأى مع السناتور الامريكى فولبرايت الذى أعلن اثناء مناقشة مع زميله جافيتش الموالى لاسرائيل والمعادى للاتحـاد السوفيتى أن « السبب الرئيسى فى عدم حدوث أى تقـــدم فى مسألة تسوية أزمة الشرق الاوسط عن طريق المحادثات هو اقناع اسرائيل بان حكومة الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ يؤيدان اسرائيل مهما اتخذت من مواقف » .

ولقد وضح ان حكومة الولايات المتحدة التى وافق مندوبيها على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لا ترى ما يستحق اللوم فى الخط المتعنت الذى تنتهجه القيادة الاسرائيلية بشكل سافر كما انها تغمض عينيها عن عدم شرعية ما يفعله المحتلون الاسرائيليون فى الاراضى العربيـــة الاصلية وتشجع ، فى صمت ، الغارات التى تقوم بها القوات الاسرائيلية فى اعماق اراضى الدول العربية .

ولكن الايام تتغير وسرعان ما تتحول عدم شرعيـــة اعمال اسرائيـــل العدوانية ـ عن طريق الخسائر الملموسة فى قواتها المسلحة وعن طريق نمو الاتجاهات المعادية للنزعة العسكرية فى البلاد ـ سرعان ما تتحول عـــدم شرعية اعمال اسرائيل العـدوانية الى سعى القطاع التقدمى بالاوســـاط الاجتماعية الاسرائيلية لايجاد مخرج من المأزق الذى وصـل اليـه الشعب الاسرائيلى عن طريق حـــكامه الذين يفقدون البصيرة ان الاجراءات التى اتخذتها مصر والدول العربية الاخرى فى نهاية عام ١٩٦٩ وبداية عام ١٩٧٠ لتعزيز مقـدرة الدول العربية الدفاعية أثرت تأثيرا سريعـا على الوضـع السياسى فى الشرق الاوسط » . وحاليا تتظاهر حكومة الولايات المتحدة

---

(٤٨) « التايمز » ٥ فبراير عام ١٩٧١

بان ما يقلقها جدا هو عدم تسوية النزاع العربى الاسرائيلى اما اقامة السلام فى الشرق الاوسط فقد أعلن على الملأ ضمن المهام الحيوية بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية .

ولنذكر بصفة مبدئية ـ ولو فى ايجاز ـ الرواية التى حدثت مؤخرا . ففى ١٩ يونية ١٩٦٧ أوجز ل. جونسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية المبادىء الاساسية التى يجب أن توضع ، حسب رأى الجانب الامريكى ، ضمن اساس تسوية ازمة الشرق الاوسط . وتنحصر هذه المبادىء التى أطلق عليها اسم « نقاط جونسون الخمس » فيما يلى ؟

١ ـ لكل دولة فى الشرق الاوسط حق الوجود وهذا الحق يجب ان يحترمه الجيران .

٢ ـ تعاون العرب واسرائيل فى ايجاد الحل العادل لمشكلة اللاجئين .

٣ ـ حق حرية الملاحة فى الطرق المائية الدولية بالنسبة لجميع الدول .

٤ ـ يجب على كل الامم ان تأخذ على عاتقها المسئولية لوضع نهاية لسباق التسلح فى الشرق الاوسط . ويجب على هيئة الامم المتحدة ان تطالب بتقارير عن جميع توريدات الاسلحة .

٥ ـ احترام الاستقلال السياسى والوحدة الاقليمية لدول الشرق الاوسط والاعتراف بالمصالح الخاصة بالديانات الثلاث فى الاماكن المقدسة بالقدس .

والوثيقة كما هو واضح بليغة بالقدر الكافى وفى بعض اجزائها مقبولة من جانب غالبية الدول العربية ، اذا ما قومناها بمقاييس اليوم . غير ان المسألة الرئيسية ـ الخاصة بانسحاب القوات الاسرائيلية الى خطوط ٤ يونية عام ١٩٦٧ وبعدم السماح بالاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب والعدوان ـ لم تذكر عنها شىء « النقاط الخمس » . وبدأ الجانب الامريكى واسرائيل فى استغلال حقيقة احتلال اسرائيل للاراضى العربية فور انتهاء « حرب الايام الستة » كورقة رابحة فى المتاجرة السياسية بمسائل التسوية . وهذا ما اكده التطور المتعاقب للاحداث .

وحارت الحكومة الامريكية فى ردها على المقترحات السوفيتية المقدمة فى ٣١ ديسمبر عام ٦٨ « وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد » خطوط الحكومة الاسرائيلية كلية . وبرزت مسألة « محاربة الارهاب » أى نشاط حركة المقاومة الفلسطينية ـ وهكذا ما اعتبره الجانب الامريكى رئيسية فى طريق اقامة السلام فى الشرق الاوسط . اما فيما يتعلق بمسألة مستقبل

الحدود العربية الاسرائيلية وهى المسألة التى تعتبر فى حقيقة الامر انعكاسا لاهم مسائل التسوية ــ انسحاب القوات الاسرائيلية فلقد أصبح واضحا من الرد الامريكى ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية تؤيد بالفعل المطلب الاسرائيلى الخاص باعادة النظر فى الحدود حيث تطفو على السطح فكرة اقامة الحدود العربية الاسرائيلية الآمنة والمعترف بها عن طريق التوصل الى « اتفاق الاطراف » (فى النزاع) . والمميز جدا بالنسبة للموقف الامريكى من مسائل التسوية ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية حتى وقتنا هذا لم تحدد أو تعرب عن وجهة نظرها فى تلك المسائل الهامة بشكل حيوى بالنسبة للدول العربية مثل موعد انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة ومستقبل الحدود العربية الاسرائيلية بعد تحقيق التسوية .

وظهر بوضوح طابع الجانب الواحد للافعال الاساسية فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية فيما يختص بتسوية النزاع العربى الاسرائيلى وذلك أثناء المشاورات السوفيتية الامريكية حول الشرق الاوسط التى جرت على فترات فى ربيع وخريف عام ١٩٦٩؛ وكذلك فى المقترحات الامريكية الجديدة التى طرحت فى ٢٤ مارس و ١٢ مايو و ١٥ يولية و ٢٨ أكتوبر عام ١٩٦٩ . والجدير بالذكر ان كل اقتراح من هذه الاقتراحات التى يحل كل منها محل الاخر فى تعاقب ، كان يدل على الانحدار التدريجى والمتعاقب فى الوقت نفسه للامريكيين تجاه المواقف الموالية لاسرائيل صراحة .

ومن بين « المبادرات » الامريكية العديدة حول مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط التى تميزت بطابع دعائى كبير . ما يسمى بـ « مشروع روجرز » الذى صاحبته ضجة دعائية عريضة . وعندما تحدث وزير الخارجية روجرز فى ٩ ديسمبر عام ١٩٦٩ بفندق « شيراتون ربارك » بواشنطن اوجز بعض تصورات حكومة الولايات المتحدة حول مسائل التسوية وبعد أن قرر روجرز أن « الدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيلية كما جاء بقرار هيئة الامم المتحدة دون التوصل الى اتفاق للسلام قد تعنى الوقوف الى جانب العرب كما ان دعوة العرب الى السلام بدون انسحاب القوات الاسرائيلية قد يعنى الوقوف الى جانب اسرائيل » حاول صياغة بعض المبادىء العامة لتسوية ازمة الشرق الاوسط حسب المفهوم الامريكى وخاصة مسائل سلام وأمن الاطراف بعد التوصل الى التسوية وانسحاب القوات .

والجدير بالذكر انه قد يبدو ان روجرز أشار بحق وبوجه عام فى المسألة المتعلقة باقامة السلام بين الاطراف الى ان « اتفاقية السلام المحتملة

---

(٤٩) انظر نشرة وزارة الخارجية الامريكية رقم ١٨٦٤ ، ١٥ يوليو ١٩٦٧ صـ ٣٣

فى المستقبل بين الاطراف يجب ان تقوم على النوايا الواضحة التى يعلنونها وعلى الاستعداد للقيام بتغيرات جوهرية فى الموقف والظروف المميزة للشرق الاوسط اليوم » . ولكن هذا يعتبر شبه حقيقة بالفعل . فحقيقة الامر ان اسرائيل ترفض الاعلان عن نواياها فيما يختص بشروط السلام المقبل مع الجيران العرب . وفى الحقيقة تظهر اسرائيل الوضوح الذى دعا اليه وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية فى شىء واحد فقط وهو الرغبة السافرة فى التوسع . وقيل بشكل كاف ودقيق فى بيان روجرزان الولايات المتحدة الامريكية — ليست نصيرة لسياسة التوسع . وأشار وزير الخارجية الى ذلك بشكل خاص ، قائلا : « ورغم ان الحدود السياسية المعترف بها يجب ان تقام ويتم الاتفاق عليها بين الاطراف الا ان اى تغييرات فى الخطوط التى كانت قائمة لا يجب ان تعكس نتائج الاستيلاء بل يجب ان تتحدد بالتغييرات الطفيفة التى تلبى مصالح أمن جميع الاطراف (٥٠) » .

وأثار هذا البيان عاصفة من السخط فى الدوائر الحاكمة باسرائيل . وقوم هذا البيان على انه يكاد يكون « ابتعادا من الولايات المتحدة عن نهج تأييد القيادة الاسرائيلية .

غير أن الزمن أظهر بسرعة أن كلمة روجرز التى تضمنت موجزا للاسلوب الامريكى « الجديد » بالنسبة لمختلف وجهات التسوية كانت مناورة دورية . ورغم أن وزير الخارجية أعلن أن الولايات المتحدة الامريكية « مستعدة للعمل بالاشتراك مع الاخرين فى هذه المنطقة (منطقة الشرق الاوسط) وفى جميع أنحاء العالم مادام هؤلاء الاخرون يسعون بالفعل الى نفس الهدف الذى نسعى اليه : السلام العادل الوطيد » (٥١) — رغم هذا لم يزد الامر عن ترديد « بعض الكلمات البراقة » .

بالاضافة الى ذلك فقد كان تقديم « مشروع روجرز » ظاهرة عرضية فى سياسة الولايات المتحدة بالشرق الاوسط . ولقد دل هذا على ان الدوائر الرسمية فى واشنطن تلجأ بنشاط الى المناورة السياسية وهى تسعى الى المحافظة على مواقفها الاخذة فى الضعف فى الشرق الاوسط محاولة الايعاز لبعض الزعماء العرب أن « مفتاح التسوية » يكاد يكون « فى جيب » الساسة الامريكيين . وتحاول واشنطن أن تتمسك بشدة بهذا الخط فى الوقت الحالى .

وعندما توقف اطلاق النار فى الشرق الاوسط فى منتصف عام ١٩٧٠ تقريبا بدأ الجهاز الدعائى لواشنطن والممثلون الرسميون للحكومة الامريكية

---

(٥٠) المصدر السابق ، العدد ١٥٩٣ ، ٥ يناير ١٩٧٠ صـ ٨ ، ٩ .

(٥١) نفس المرجع صـ ١١

فى الجوء الى الاصطلاح السياسى الخارجى الجديد ـ « الدبلوماسية الهادئة » والكلام فى هذه الحالة يدور حول الاتصالات السرية للممثلين الرسميين للحكومة الامريكية مع الممثلين الرسميين للاطراف فى النزاع وهى الاتصالات التى قد يمكن التوصل من خلالها الى اتفاق تقره جميع الاطراف حول طرق حل مختلف مشاكل تسوية أزمة الشرق الاوسط على أســاس المقترحات التى تقدم بها الجانب الامريكى . وحاولت حكومة الولايات المتحدة الامريكية أن توحى للرأى العام العالمى بفكرة فحــواها أن الممثلين الرسميين للولايات المتحدة يمكنهم أثناء الاتصالات السرية مع ممثلى الاطراف فى النزاع ليس فقط طرح المقترحات الصريحة التى من الممكن أن توافق عليها الدول العربية ولكن كذلك التأثير على الجانب الاسرائيلى لجعل الاسرائيليين أكثر « مرونة والتوصل فى النهاية الى السلام الذى طال انتظاره فى الشرق الاوسط وفى الوقت نفسه أوحت واشنطن الى الدول العربيـــة بأســاليب « الدبلوماسية الهادئة » التى تدافع عنها وتكاد تدل على « اعادة تقييم سياسة الشرق الاوسط التى تنتهجها الولايات المتحدة « وتفهم » الجانب الامريكى لمصالح العرب الحقيقية .

وعندما لجأت وزارة الخارجية الامريكية الى « الدبلوماسية الهــادئة أخذت فى اعتبارها منذ البداية امكانية القاء ظلال الشك على سياسة الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط ومحاولة ابعــاد الدول العربية عن حليفهــا الطبيعى والمضمون ـ دول الاسرة الاشتراكية ، والعمل « عن غير عمد » على دس تصورات للعرب عن أن الاتحاد الســوفيتى ليس فقط موافقــا على « المبادرات » الامريكية (ومن الطبيعى الا يذكروا شيئا عن مضــمونها) بل انه يكاد يكون قد وكل حكومة الولايات المتحدة فى العمل بحثا عن حل للنزاع العربى الاسرائيلى . ومن هذه الاختلافات نصل الى القضية المبتذلة الوهــلة التى أثارتها دعاية بكين حول « تواطؤ » الدولتين العظميين وحول « الامبريالية الاشتراكية » وغير ذلك من الكلام الفارغ المعادى للاتحاد السوفيتى .

وتجدر الاشارة الى ان الاشاعات الجديدة حول « التواطؤ » السوفيتى الامريكى بخصوص الشرق الاوسط بدأت تنتشر بشدة فى الصحافة الغربية وبعض صحف الدول العربية أثناء وبعد زيارة الرئيس الامــــريكى نيكسون للاتحاد السوفيتى وبعد زيارة ل . بريجنيف للولايات المتحدة رغم أن الجميع يعرفون جيدا أنه لا يوجد ولا يمكن أن يوجــد اى « تواطؤ » سرى أو علنى بين الاتحاد الســوفيتى والولايات المتحدة الامريكية .

وبعد أن بث المندوبون الامريكيون الرسميون الاوهام بالنسبة لامكانيات « الدبلوماسية الهادئة » شككوا بل تجاهلوا امكانيــات تســوية أزمة الشرق الاوسط وهى الامكانيات الموجودة فى الاستغلال الفعال والبناء لتلك الوسائل

الهامة والحاسمة مثل المشاورات الرباعية بين المندوبين الدائمين للدول العظمى الاربع فى اطار مجلس الامن ونشاط ج. يارنج المبعوث الشخصى للسكرتير العام لهيئة الامم المتحدة الذى تحددت مهامه فى قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢نوفمبر عام ١٩٦٧ ، مثل اجراء الاتصالات مع الدول المعنية والمحافظة عليها بهدف المعاونة فى التوصل الى اتفاق ، وتأييد الجهود الموجهة نحو بلوغ التسوية السليمة الشاملة طبقا لاحكام ومبادىء القرار الحالى » ، ومثل المشاورات الثانية السوفيتية ـ الامريكية ، والسوفيتية ـ الفرنسية ، والسوفيتية ـ الانجليزية بالنسبة للبحث عن طريق تسوية ازمة الشرق الاوسط وتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر .

وفى النهاية ، « الدبلوماسية الهادئة » عبارة عن متسع عريض لمواصلة الاعمال الاستفزازية والمثيرة التى تقوم بها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة التى تتحدى الرأى العام العالمى فى سفور . ان الدبلوماسية الهادئة التى تنتهجها حكومة الولايات المتحدة لا تؤدى الى نوع من القلق فى تل ابيب كما كان من الممكن أن يحدث اذا ما استخدم الجانب الامريكى أساليب « الدبلوماسية الهادئة » فى البحث عن حل مقبول من جميع الاطراف للنزاع ـ بل انها بالعكس تؤدى الى زيادة تعسف الموقف الاسرائيلى وهذا ناجم عن الخبرة العملية للدوائر الحاكمة باسرائيل بأن كل شىء « يمر دون حساب » .

وتؤكد حقائق الحياة اليومية وتطور الوضع فى الشرق الاوسط أن تنفيذ جميع أحكام قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ يهيىء وحدة الظروف الملائمة لاقامة السلام الوطيد والمستمر والعادل فى هذه المنطقة . وهذا معناه انه لا يمكن أن يوجد رأيان حول ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . وهذا معناه أن أى حل وسط للنزاع يجب وأن يكون مرتبطا ارتباطا وثيقا جدا بالحل النهائى جزءا لا يتجزأ منه . وهذا معناه انه لا يمكن ان يوجد للنزاع العربى ـ الاسرائيلى أى حل أمريكى أو اسرائيلى يفرض بالقوة ويلحق الاضرار بالمصالح الشرعية والامال العادلة للبلدان والشعوب العربية . وهذا معناه فى النهاية أن السلام الذى طال أنتظاره والهدوء فى الشرق الاوسط أمور لا تحققها أساليب « الدبلوماسية الهادئة » بل التنفيذ الامين لكل قرارات مجلس الامن والجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة .

ولا ريب فى أن حكومة الولايات المتحدة الامريكية لديها الامكانيات الضرورية للتأثير على سياسة القادة الاسرائيليين العنيدة وقصيرة النظر . وليس سرا على احد ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية لو مارست الضغط الضرورى على اسرائيل لاضطرت اسرائيل فورا « إلى قبول وجهة نظر امريكا

مهما كانت وجهة النظر هذه (٥٢) والواقع ان الموقف المهدد بالانفجار فى الشرق الاوسط والمفعم بأخطر العواقب على قضية السلام العام كان من الممكن ان تخف حدته منذ أمد بعيد وان تصبح خطوات تسويته واقعا ، لولا رغبة حكومة الولايات المتحدة فى ذلك الوقت فى مواصلة — كما قال الرئيس المصرى السادات — « تنفيذ السياسة التى تهدف الى ضمان التفوق العسكرى لاسرائيل واعطائها امكانية الاستمرار فى احتلال الاراضى العربية وتنفيذ مخططاتها التوسعية على حساب العرب واراضيهم » (٥٣) وصدق هذه الكلمات واضح للعيان .

دول غـــرب اوروبا
وتسوية ازمـة الشـــرق الاوسط

ان القرب الجغرافى لمسرح الشرق الاوسط من غرب أوروبا ، والروابط الوطيدة جدا والقديمة القائمة بين دول غـرب أوروبا والدول العربيـــة فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والمجالات الاخرى ، والارتبـاط المتزايد لميزان الطاقة فى غرب أوروبا بتوريدات البترول والغاز من منطقـة الشرق الاوسط — كل هذه الامور تحدد الاهتمـــام المتزايد من جانب دول غرب أوروبا بالتمسك بالعلاقات مع الدول العربيـة وتطـويرها النشيط وكذلك بالحالة العامة للوضع فى الشرق الاوسط وآفاقه .

وبصـفة مستمرة يزداد دور البترول فى ميزان الطـاقة بدول غرب أوروبا ، واذا كان البترول — حسب المصادر الامريكية — قد بلغ عام ١٩٧٠ نسبة ٩ر٦٠٪ من مصادر الطاقة بدول غرب أوروبا (الفحم ٦ر٢٩٪ ، الغاز الطبيعى — ٢ر٦٪ ، الطاقة المائية — ٩ر٢٪ ، الطاقة النووية — ٤ر٠٪) ، ففى عام ١٩٨٠ سوف يشكل البترول ٧ر٧١٪ من مصادر الطاقة بدول غرب أوروبا ، الغاز — ١ر١١٪ فى ظل التقليل المناسب لدور الفحم الذى يصـل الى ٤ر١٣٪ .

وهكذا ليس من الصعب أن نرى الوضـــع الذى ستصير اليه دول غرب أوروبا اذا ما توقف فجأة أو تعقدت بشكل خطير امدادات أسواق هـذه البلاد ببترول الشرق الاوسط خاصة أن الاحتياطى الاستراتيجى من البترول ومنتجاته فى دول ما تسمى بالدول الست الاعضاء فى السوق المشتركة لا يكفى الا لمدة ٦٥ يوما وهذه الدول هى : فرنسا ، بلجيكا ، هولندا ، لوكسمبرج ، ايطاليـا ، ألمانيا الاتحادية .

---

(٥٢) ج. كامبيل ، النزاع العربى الاسرائيلى ، « فورين افايرز » أكتوبر عام ١٩٧٠ صـ ٧٠

(٥٣) « البرافدا » فى ١٣ أكتوبر عام ١٩٧١

ولقد أدى قرار الدول العربية المتخذ بعد الاندلاع الجديد للعمليات الحربية بين الدول العربية واسرائيل فى اكتوبر عام ١٩٧٣ ــ وهو القرار الخاص باستخدام البترول كوسيلة للضغط السياسى على الغرب ــ الى جانب عدم استقرار ميزان الطاقة فى الكثير من الدول الرأسمالية ، أدى هذا القرار الى تفاقم لا نظير له من حيث المدى فى أزمة الطاقة القائمة بشكل دائم والتى تشمل العالم الرأسمالى كله فى الواقع . أن زيادة أسعار الوقود والحد من استهلاك البترول ومنتجاته فى العديد من دول غرب أوروبا ــ من المظاهر الملموسة لهذه الازمة المنعكسة لا على حالة الاسواق الاقتصادية العالمية فقط بل كذلك ، بدرجة كبيرة على الوضع السياسى العالمى .

كما أن التهديد بتخفيض توريدات البترول ، والتخفيض الحقيقى فى هذه التوريدات بعد ضربة شديدة وجهت الى اقتصاد عدد كبير من دول غرب أوروبا (بما فيها الدول الواقعة خارج مجال نفوذ « سلاح البترول » العربى) وكذلك اليابان . وبدأ تخفيض الانتاج فى العديد من مجالات الصناعة وزادت البطالة بشكل فاحش .

واظهرت أزمة الطاقة الخلافات الكبيرة بين دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الامريكية . وتدل على ذلك بصفة خاصة النتائج المؤسفة لمؤتمر واشنطن الذى ضم الدول المستهلكة للبترول وهى ١٣ دولة وكان هذا المؤتمر قد عقد فى فبراير عام ١٩٧٤ .

والجدير بالذكر فى الوقت نفسه أن حكومات عدد كبير من دول غرب اوروبا واليابان قامت فى مجال التوصل الى تسوية لأزمة الشرق الاوسط ــ باصدار مجموعة كاملة من البيانات الفعالة جدا تدور فكرتها الرئيسية حول ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة ، وذلك بعد أن أدركت هذه الدول الارتباط الكبير والمتزايد لاقتصاد بلادها بتوريدات البترول العربى .

غير أن عملية تغير علاقات مختلف دول غرب أوروبا بنزاع الشرق الاوسط بدات قبل ذلك بكثير فالعدوان الاسرائيلى الذى حدث عام ١٩٦٧ قدم تعديلات خطيرة فى هذا الموضوع وحدد نوعا ما ، طابع موقف دول غرب أوروبا من اقامة بلوغ تسوية أزمة الشرق الاوسط ومن أسباب بلوغ هذه التسوية . وبوجه عام كان موقف دول غرب أوروبا (باستثناء فرنسا وايطاليا الى حد ما) من العدوان الاسرائيلى ــ « محايدا » فى البداية ، ولذا كان من الممكن تقويمه على انه تأييد وعون للعدوان الاسرائيلى وذلك تمشيا

---

(٥٤) انظر محاضر جلسات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكى واشنطن ١٩٧١ صـ ١٧٠

مع الحملة الدعائية الواسعة المعادية للعرب والمعادية للاتحاد السوفيتى التى تشنها الدوائر الصهيونية .

وبعد ان اتخذت حكومة العمال فى بريطانيا العظمى موقفا « محايدا » من العدوان الاسرائيلى الذى حدث عام ١٩٦٧ انخرطت فى تأييد اسرائيل مظهرة فى الوقت نفسه الاهتمام بالتوصل الى تسوية « مشرفة » سواء بالنسبة للعرب أو اسرائيل . وأشار هـ . ولسن رئيس الوزراء فى خطابه الذى القاه فى وركينجتون الى انه « يجب على الجميع أن يعملوا فى الوقت الحالى من أجل التوصل الى التسوية المشرفة والوطيدة فى الشرق الاوسط » (٥٥) . وهناك نقاط كثيرة فى خطاب ولسن تشير الى حد ما الى المشروع الانجليزى المقبل لقرار مجلس الامن حول الشرق الاوسط . كما ان ج . براون وزير الخارجية الذى أعلن فى البرلمان ضرورة حل نزاع الشرق الاوسط فى اطار هيئة الامم المتحدة على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة ووقف حالة الحرب بين الدول العربية واسرائيل وضمان حرية الملاحة بالنسبة لسفن جميع الدول فى قناة السويس وخليج العقبة وضرورة وقف سباق التسلح بين دول الشرق الاوسط — زكى بعض النقاط التى جاءت فى خطاب ولسن .

وفى خريف عام ١٩٦٧ قامت الدبلوماسية الانجليزية بعمل نشيط للغاية فى اطار مجلس الامن . فلقد قام الجانب الانجليزى باعداد القرار رقم ٢٤٢ الذى وافق عليه مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر .

وقد يبدو أن بعض الافكار البناءة التى طرحها المندوبون الانجليز الرسميون الى جانب ذلك الاهتمام الواضح باستقرار الوضع فى الشرق الاوسط — وهو الاستقرار الذى كان يجب أن ينعكس على بريطانيا العظمى بسبب الآثار الاقتصادية لاغلاق قناة السويس نتيجة للعدوان الاسرائيلى — قد يبدو ان هذه الافكار تستطيع تحديد الأسلوب الاكثر حسما الذى تتبعه الحكومة الانجليزية فى حل مسألة ازالة آثار العدوان الاسرائيلى غير أن خط حكومة العمال ببريطانيا العظمى اقتصر على محاولات رد الاعتبار لاسرائيل وعرقلة اتخاذ تلك القرارات التى كانت تطالب بانسحاب قواتها المسلحة الى خطوط ٤ يونية عام ١٩٦٧ ، كما ان وفد بريطانيا العظمى بالدورة الخامسة الطارئة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة صوت ضد جميع بنود مشروع القرار السوفيتى الذى تضمن المطالبة بادانة العدوان الاسرائيلى والانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات الاسرائيلية وقيام

---

(٥٥) « التايمز » ... يونية عام ١٩٦٧ ...

(٥٦) انظر « التايمز » ٧ يولية عام ١٩٦٧

اسرائيل بتعويض الخسائر التى منيت بها الدول العربية المجاورة نتيجة لاعمال اسرائيل العدوانية كما عارض الوفد مشروع قرار دول عدم الانحياز .

والى حد ما تغير الوضع الموالى فى سفور والذى جاء نتيجة لنفوذ الدوائر الصهيونية الانجليزية فى حزب العمال وكذلك تحت تأثير اشتداد التوتر فى الشرق الاوسط والسعى الصريح من جانب اسرائيل لتعقيد قضية التسوية والابقاء بأى شكل من الاشكال على الاراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، ولقد ذكر ج. براون وزير الخارجية فى كلمته بالدورة الثانية والعشرين للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، أن « بريطانيا » العظمى لا تعتبر الحرب وسيلة لتسوية الخلافات وترى انه لا يجب على اى دولة ان توسع حدودها نتيجة للحرب (٥٧) ، وفى تلك الفترة فسر هذا الازدواج فى موقف انجلترا برغبتها فى تحسين علاقاتها بالدول العربية والمحافظة فى الوقت نفسه على العلاقات السابقة مع اسرائيل . ولقد ادت المبادرة الانجليزية فى مسألة قبول قرار نوفمبر السياسى لمجلس الامن ، ادت الى عودة العلاقات الدبلوماسية مع مصر ، وكانت قد قطعت عام ١٩٦٥ .

ولكن بعد قبول قرار نوفمبر الصادر عن مجلس الامن بدأ نشاط حكومة العمال الانجليزية فى التراخى بوضوح بالنسبة لمسائل التسوية .

وظهرت عناصر المناورة فى الموقف الانجليزى من المقترحات السوفيتية الخاصة بالتسوية وكانت هذه المقترحات قد طرحت فى ديسمبر عام ١٩٦٨ فبعد أن ذكرت الحكومة الانجليزية أن الجانب الانجليزى يشاطر الحكومة السوفيتية القلق فيما يختص بعدم وجود تقدم ملموس فى قضية التسوية حاولت القاء مسئولية عدم تسوية النزاع على عاتق الدول العربية واسرائيل بالتساوى .

ومع وصول حكومة المحافظين الى السلطة فى انجلترا لم تحدث تغييرات تذكر فى النهج المتعلق بتسوية ازمة الشرق الاوسط ، رغم أن بعض تصريحات الوزراء المحافظين بدت وكأنها أعطت انطباعا بأن بريطانيا العظمى تنوى أن تلعب دورا اكثر استقلالا فى هذه المسائل وانها تتحول بدرجة كبيرة الى تفهم وتأييد موقف الدول العربية . ومن بين هذه التصريحات يحظى بشهرة واسعة النطاق تصريح أ. دوجلاس هيوم وزير خارجية حكومة المحافظين ، وكان قد أدلى به فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٠ فى هاروجيت .

---

(٥٧) « التايمز » ٢٧ سبتمبر عام ١٩٦٧ .

والجدير بالذكر ان هذا التصريح كان بمثابة عرض لوجهة نظر المحافظين فى مشكلة الشرق الاوسط ولقد صدر هذا التصريح قبيل الزيارة الرسمية التي قامت بها جولدا مائير للولايات المتحدة الامريكية .

وقد ذكر أ. دوجلاس هيوم فى تصريحه أن تسوية أزمة الشرق الاوسط « يجب أن تقوم على قاعدتين أساسيتين ، عدم السماح بالاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب وضرورة اقامة السلام العادل والوطيد الذى يمكن أن تعيش فى ظله كل دول المنطقة فى أمان » وأشار هيوم بصفة خاصة الى أن تسوية مشكلة الارض يجب أن تكون نهائية . وأيد الابقاء على الحدود الدولية بين مصر وأرض فلسطين السابقة بوصفها الحدود المصرية الاسرائيلية المقبلة وكذلك الابقاء على الحدود السورية الاسرائيلية مشترطا ضرورة قبول سوريا لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ . وأشار الوزير الانجليزى بصفة خاصة الى ضرورة صياغة تعهدات السلام التى قد تتعهد بها الدول العربية واسرائيل فى حالة بلوغ التسوية النهاية وأشار كذلك الى أهمية تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والى ضرورة احترام مصالح العرب الفلسطينيين السياسية ، وكذلك رغبتهم فى اقتناء وسيلة « التعبير الذاتى » والجهود المتضافرة من جانب كل الاطراف المعنية والاصرار على انتهاز امكانية بلوغ السلام ... امور قد تسمح ــ حسب تقدير دوجلاس هيوم ــ بتحقيق التقدم فى هذا المجال (٥٨) .

وبالحكم على بيان دوجلاس هيوم نجد أن المحافظين ادركوا أن التأييد المطلق لموقف اسرائيل يؤدى الى اضعاف مواقف بريطانيا العظمى فى الدول العربية رغم ان هذه المواقف غير وطيدة بالمرة . ان تأميم ممتلكات شركات البترول الانجليزية « ايراك بيتروليوم » الذى قامت به الحكومة العراقية فى أول يونيه عام ١٩٧٢ كان أحد « اشارات الخطر » الدورية والهامة جدا التى ظهرت خلال الآونة الاخيرة فى سفينة السياسة الامبريالية الانجليزية المثقوبة منذ أمد بعيد .

غير أن المحاولات المتأخرة وغير المتعاقبة للحكومة الانجليزية « لترقيع الثقوب » الكائنة فى العلاقات الانجليزية العربية تتناقض مع تبعية لندن لواشنطن ، الامر الذى يحدد فى النهاية الخط الذى تسير فيه حكومة بريطانيا العظمى ودوائرها الحاكمة بالنسبة للنزاع العربى ــ الاسرائيلى . وهذا الاسلوب يوضح أن الدوائر الانجليزية الرسمية تتجنب الاراء النقدية وخاصة الموجهة الى القيادة الاسرائيلية وسياستها فى الشرق الاوسط .

---

(٥٨) انظر النشرة الصحفية لبعثة المملكة المتحدة لدى الامم المتحدة ، العدد ٧٩ ، ١٩٧٠.

ان السمات السالفة الذكر والخاصة بازدواج السياسة الانجليزية فى الشرق الاوسط وهى السمات التى تميزت بها حكومة العمال التى حلت محل حكومة المحافظين نتيجة للانتخابات البرلمانية الاستثنائية ـ تحدد عدم تعاقب الازدواج ولكنها مع ذلك تبقى على بعض الآمال فى ان تستطيع حكومة انجلترا فى ظل ظروف معينة أن تتحالف مع دول غرب أوروبا الاخرى فى تسوية النزاع العربى ـ الاسرائيلى . ويبدو أن القيادة الانجليزية تعلم أن التأييد السافر لاسرائيل يضر بالمصالح الانجليزية .

وبالمقارنة مع دول غرب أوروبا الاخرى تتخذ فرنسا فى مسائل التسوية موقفا خاصا ، وأكثر مناورة وبناء ، وقريبا من الموقف العربى فى الكثير من المسائل . أن الاستقلال فى تحديد أساليب واشكال التنفيذ . وسلامة أختيار الاهداف ـ هذه هى أهم سمات سياسة الحكومة الفرنسية فى الشرق الاوسط .

ففى أثناء مأدبة الغداء التى أقيمت تكريما للوفد الحكومى العراقى فى ٧ فبراير عام ١٩٦٨ وصف الرئيس ديجول موقف فرنسا من مشكلة تسوية أزمة الشرق الاوسط بمايلى : « لقد سبق أن قلنا ونكرر اليوم أمامكم أن التسوية من وجهة نظرى يجب أن تقضى بالجلاء العسكرى والادارى عن الاراضى المحتلة بعد ٥ يونية بقوة السلاح ، ويجب على هيئة الامم المتحدة أن تفهم بالتحديد الدقيق للحدود وامنها ، ومن الضرورى اقامة العلاقات السلمية والطبيعية بين جيران اسرائيل وهذه الدولة الجديدة ، وعودة اللاجئين حيث يمكنهم العودة الى أوطانهم (بفضل هذه الاجراءات) ، وضمان المصير الكريم لمن لا يستطيع العودة الى الوطن وكذلك للاقليات . وأخيرا ضمان حرية الملاحة التى سوف تصبح حقا معترفا به للجميع فى كل مكان ... وفرنسا مستعدة للاشتراك فى تنفيذ اتفاقية تقوم على هذا الاساس (٥٩) .

وبعد أن عارضت الحكومة الفرنسية عدوان اسرائيل واحتلالها للاراضى العربية (رغم انها لم تعتبر ما قامت به اسرائيل عدوانا) أيدت الطابع الهادف والبناء للمقترحات السوفيتية الخاصة بالتسوية . وبهدف ايجاد الاجراء المقبول من جميع الاطراف للبحث عن حل للنزاع العربى الاسرائيلى اقترح الجانب الفرنسى فى ١٦ يناير عام ١٩٦٩ اجراء محادثات بين مندوبى الدول الاربع العظمى فى مجلس الامن للبحث عن سبل تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر . ولقى هذا الاقتراح التأييد الكامل والفورى من جانب الحكومة السوفيتية .

---

(٥٩) « لوموند » ٨ فبراير عام ١٩٦٨

وأخيرا وافقت على هذا الاقتراح بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكيـــة .

وجاء بمذكرة الحكومة الفرنسية الموجهة فى ١٦ يناير عام ١٩٦٩ الى حكومات الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى أن الحكومة الفرنسية ترى أن تبـــادل أراء « الدول الاربع » من الممـكن أن يشمل المسائل التالية :

ــ حالة تنفيذ قرار مجلس الامن الصـــادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ومهمة يارنج .

ــ بحث الوسائل التى قد تساعد وتضمن تنفيذ هذا القرار .

ــ بحث الاجراءات التى قد يسمح اتخاذها بتلافى التفاقم المطرد فى الموقف بمنطقة الشرق الاوسط .

ــ ان خط تنسيق أعمال الدول الاربع فيما يختص باقرار جهودها المشتركة فى البحث عن التسوية العـــادلة للنزاع العربى ــ الاسرائيلى الى جانب السعى الى تنشيط العلاقات الثنائية مع الدول العربيـــــة ــ هذا الخط يظل حتى يومنا هذا حلقة هامة فى الصيغة العـــامة لموقف فرنسا من أزمة الشرق الاوسط .

وفى الوقت نفسه كان الجانب الفرنسى يسعى دائمـــا لمناقشة جميع وجهات التسوية بصراحة . وظهر هذا بشكل خاص فى الموقف البنـــــاء والمقترحات المناسبة التى تقـــدم بهـــا المنـــدوب الفرنسى فى المشاورات « الرباعية » كما ان المقترحات الفرنسية التى قدمت فى ٩ ديسمبر عام ١٩٦٩ معروفة جدا .

وتلتزم فرنسا بالخط التالى فى مسائل التسوية . فكما صرح الرئيس بومبيدو فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى ٢٢ يناير عام ١٩٧١ يجب تنفيذ « حق دولة اسرائيل فى الوجود داخل حدود ثابتة ومعترف بهـــا ، وكذلك التزام اسرائيـــل بالانســـحاب من جميع الاراضى المحتلة نتيجة لحرب الايام الستة » ، وفى نفس المؤتمر الصحفى أشار بومبيـــــدو الى أن التسوية فى الشرق الاوسط من الممكن التوصل اليها عن طريق اعداد اتفاقية دوليـــة مقبولة من جميع الاطراف ، اذ أن أى أسلوب آخر يقضى فى نظـــرة على فرص اقامة السلام فى الشرق الاوسط . وتعتبر جهـــود الجانب الفـــرنسى فى اعداد التصورات الخاصة بالضمانات المقبلة لهذه التسوية جـــزءا هـــاما لا يتجزأ من الجهود الفرنسية فى قضية التسوية . وتنحصر وجهـــة نظـــر فرنسا بالنسبة لهذا الموضوع فى أن ضمانات تســـوية النزاع العـــربى ــ الاسرائيلى يجب أن تتضمن أشكالا ثلاثة :

ـ ضمانات عامة لاتفاقية التسوية .

ـ ضمانات متعلقة بالتنفيذ الفعلى لاتفاقية التسوية .

ـ ضمانات متعلقة بتسوية الخلافات المحتملة بين الاطراف .

ويرى الجانب الفرنسى انه يجب على مجلس الامن أن يقدم الضمانات العامة . فهو قادر على الاجتماع فى حالة حدوث انتهاكات خطيرة للاتفاق المقبل الخاص بالتسوية (٦٠) .

اما بالنسبة للمسألة الرئيسية فى التسوية ـ المسألة الاقليمية ـ فان فرنسا ملتزمة بخط دقيق ينحصر فى ضرورة التوصل الى انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ .

ان حرية مناورة الدبلوماسية الفرنسية تسمح لها بالتعاون على نطاق كبير وتوسيع « مجال الاتفاق » مع الاتحاد السوفيتى فى مسائل تقدير الوضع فى الشرق الاوسط وآفاق تطوره وامكانيات تسوية النزاع العربى الاسرائيلى على أساس عادل .

وتتمتع السياسة الفرنسية بالنسبة للشرق الاوسط بالاحترام فى جميع أنحاء العالم .

وفى الاونة الاخيرة حدثت بعض التغييرات فى موقف بعض دول غرب أوروبا كجمهورية ألمانيا الاتحادية وايطاليا بالنسبة لمسائل النزاع العربى الاسرائيلى . واذا كانت جمهورية المانيا الاتحادية قد الغت عام ١٩٦٥ كل ما تم التوصل اليه سابقا فى العلاقات العربية الالمانية الغربية بعد أن أقامت علاقات دبلوماسية مع تل ابيب ففيما بعد وخاصة مع وصول حكومة برانت الى الحكم اصبح خط اعادة المواقف الضائعة فى الشرق الاوسط ملحوظا . وتوجد فى جمهورية المانيا الاتحادية قوى مؤثرة الى حد كبير مهمته تنشيط العلاقات الاقتصادية مع البلدان العربية . وتبقى حقيقة أن ٧٠٪ من البترول الذى تستهلكه جمهورية المانيا الاتحادية يأتى من الدول العربية . ولذلك تحدد « المصالح الاقتصادية » موقف جمهورية المانيا الاتحادية من مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط ، فى نهاية المطاف وهى « مصالح تفوق من حيث أهميتها مصالح انجلترا وفرنسا » (٦١) .

ورغم ان هذا التقدير الامريكى مبالغ فيه بشكل واضح الا انه لا ينبغى تجاهل الاهتمام الجاد من جانب جمهورية المانيا الاتحادية بتنمية العلاقات

---

(٦٠) انظر « لوموند » فى ٢٣ يناير عام ١٩٧١.

(٦١) انظر محاضر لجنة الشئون الخارجية ص ١٢٤.

مع الدول العربية الامر الذى يحيى بدوره رغبة بون فى عدم اعلان ارتباطاتها باسرائيل . ولهذا النهج ثماره رغم ان التعقد الموجود منذ الماضى القريب فى العلاقات السياسية بين جمهورية المانيا الاتحادية والدول العربية وعدم حل طائفة كاملة من المشاكل الملموسة امور تؤثر تأثيرا سلبيا ملحوظا على سياسة جمهورية المانيا الاتحادية فى الشرق الاوسط مثل تأثيرها على طريقة اقبال الدول العربية على توسيع العلاقات والاتصالات بهذه الدولة وفى الوقت نفسه لا تسعى جمهورية المانيا الاتحادية الى تقدير مقترحاتها بخصوص مسائل التسوية .

ولقد ظهرت التعقيدات الخطيرة بالعلاقات العربية الالمانية الغربية فى اكتوبر عام ١٩٧٢ عندما اتخذت حكومة جمهورية المانيا الاتحادية العديد من القرارات المعادية للعرب فى جوهرها ، وذلك بعد احداث ميونيخ المشهورة التى جرت أثناء الالعاب الاولمبية . فلقد الغى نشاط منظمات عربية مثل « اتحاد الطلاب العرب » ، « اتحاد العمال العرب فى جمهورية المانيا الاتحادية » كما اتخذت التدابير لتشديد اجراءات التفتيش على تأشيرات الدخول بالنسبة للعرب القادمين الى جمهورية المانيا الاتحادية . لقد أعلن مدير مكتب الجامعة العربية فى بون فى كلمة ألقاها فى هانوفر يوم ٢٦ أكتوبر عام ١٩٧٢ أن « الموقف السلبى الذى تتخذه جمهورية المانيا الاتحادية ضد الدول العربية لا يمكن أن يخدم ابدا قضية السلام فى الشرق الاوسط . نحن لا نريد ألمان غربيين مواليين للعرب وانما نريد المانا يظلون موضوعيين فى النزاع الفلسطينى ولا يمثلون مصالح اسرائيل بل مصالح المانيا الغربية وحدها (٦٢) .

غير ان حكومة جمهورية المانيا الاتحادية تواصل خط تنمية العلاقات مع الدول العربية سعيا وراء ضمان حصول المانيا الغربية على البترول العربى بصفة مستمرة والحد من نفوذ جمهورية المانيا الديمقراطية فى الدول العربية .

ان محاولات جمهورية المانيا الاتحادية انتهاج سياسة « أبعد رؤية » مع الدول العربية تؤدى الى اكتساب موقف المانيا الغربية من النزاع العربى ــ الاسرائيلى ، اتجاه التقارب الكبير تدريجيا مع سياسة الشرق الاوسط التى ينتهجها زملاء المانيا الاتحادية فى السوق المشتركة وخاصة فرنسا .

وتتميز طريقة اقتراب ايطاليا من مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط بموقف خاص . ان موقف « البعد المتساوى » عن اطراف النزاع حتى

---

(٦٢) « دى ويلت » فى ٢٧ اكتوبر عام ١٩٧٢ .

وقتنا الحالى — هو الموقف الذى أعلن رسميا بعد العدوان الاسرائيلى مباشرة — لا يزال الخط الذى تنتهجه الحكومة الايطالية بالنسبة لمسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط (مع بعض الجنوح ناحية تأييد الدول العربية) .

والجدير بالذكر أن موقف الحكومة الايطالية هذا والاجراءات التى اتخذتها ايطاليا لوقف تصدير الاسلحة الى اسرائيل أمور لوقت معارضة من جانب قيادة الحزب الليبرالى الايطالى الموالى لاسرائيل والحزب الاشتراكى الموحد وبعض الاحزاب الاخرى . ومن المعروف أن ألدو مورو يتبع القول المعبر « العرب أصدقاؤنا والاسرائيليون أصدقاؤنا كذلك » .

ولم يكن موقف الحكومة الايطالية مصادفة . فانه مرتبط ارتباطا مباشرا برغبة ايطاليا منذ عهد بعيد فى أن تلعب دورا بارزا بين دول حوض البحر الابيض المتوسط كما يرتبط بالمتاعب الاقتصادية التى ظهرت لدى الجانب الايطالى بسبب غلق قناة السويس . وبالاضافة الى ذلك يسهل هذا الموقف تحسين العلاقات مع الدول العربية واسرائيل فى وقت واحد .

وتجدر الاشارة الى أن كل الحكومات الايطالية التى تولت الحكم منذ يونية عام ١٩٦٧ حتى يومنا هذا تؤيد الحل السلمى للنزاع العربى الاسرائيلى على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر . وفى الوقت نفسه قامت الحكومة الايطالية ببعض الجهود الدبلوماسية لتحريك قضية التسوية من جمودها . كما أن وضع ايطاليا الاقتصادى الذى تعقد بسبب تطور أزمة الطاقة أحدث بعض التعديلات فى سياستها بالشرق الاوسط ويظهر ذلك بوضوح فى جولات رجال الدولة الايطاليين فى الشرق الاوسط بهدف استيضاح الموقف فى المنطقة . كما أن بيان فبراير عام ١٩٧٤ الذى صدر عن أ. مورو رئيس الوزراء حول ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة ساعد على نمو هيبة السياسة الايطالية بالنسبة للشرق الاوسط .

وهكذا يمكن أن نستنتج أن الرغبة فى انتهاج سياسة اكثر استقلالا عن ذى قبل فى الشرق الاوسط تعتبر السمة المميزة لسياسة كل دول غرب أوروبا فى مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط .

وتقوى هذه السمة تدريجيا . وأكبر دليل على هذا هو فرنسا التى أصبح مثالها قوة جذب لزميلاتها الاوروبيات الغربيات .

موقف الاتحاد السوفيتي ـ الطريق الواقعي
لتسوية النزاع العربي ـ الاسرائيلي

لا ريب في ان ثبات النهج السياسي الخارجي اللينيني الذي ينتهجه الحزب الشيوعي السوفيتي والحكومة السوفيتية بالنسبة لتأييد الدول والشعوب المناضلة ضد الامبريالية ومن أجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعي والتي تدافع عن حقها في التنمية المستقلة ، هذا الثبات يحدد الموقف السوفيتي بالنسبة للعدوان الاسرائيلي ضد الدول العربية ، وكذلك طابع تلك الخطوات السياسية الخارجية التي تتخذها الدولة السوفيتية بهدف اقامة السلام العادل والوطيد في الشرق الاوسط . فمشكلة تسوية أزمة الشرق الاوسط موجودة بصفة مستمرة في مركز اهتمام الحزب والحكومة ويتسع حول هذه المشكلة نشاط دبلوماسي متحمس جدا ومستمر . ان انهاء نزاع الشرق الاوسط وتسوية العلاقات في هذه « البقعة الملتهبة » من القارة والمساعدة على التوصل الى التسوية السياسية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ـ امور تعتبر من أهم بنود برنامج السلام الذي طرحه المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي .

غير أن الاتحاد السوفيتي لا يعتبر النزاع العربي ـ الاسرائيلي منفصلا عن الوضع العالمي العام اذ أن النزاع لا يمس فقط دول وشعوب منطقة الشرق الاوسط كما انه لا يعتبر تهديدا للسلام والامن في هذه المنطقة وحدها فالتوتر الكائن هنا والمهدد بانفجار الموقف مشحون بمخاطر رهيبة تهدد قضية السلام العالمي بوجه عام . ويشير ا. كوسيجين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي قائلا : « لا يجب أن ننسى انه توجد في العالم مناطق كثيرة يوجد بها مولعون بأراضي الغير حيث لا يوجد أي أعتبار لمبادىء الوحدة الاقليمية واحترام سيادة الدول . واذا لم تقاوم اليوم ادعاءات اسرائيل فغدا ربما يحاول المعتدون الجدد الكبار والصغار الاستيلاء على أراضي الدول الاخرى المحبة للسلام (٦٣) .

وكان عدوان اسرائيل الذي بدأ في ٥ يونية عام ١٩٦٧ انتهاكا سافرا لميثاق هيئة الامم المتحدة ، فلا يوجد لهذا العدوان أي شيء مشترك مع البيانات الاسرائيلية العديدة التي تقول ان اسرائيل « تناضل من اجل الدفاع عن وجود دولتها وان اسرائيل » لا تطلب شيئا سوى الحياة السلمية على أراضيها » . وقد كان من الممكن أن يتوقف العدوان الاسرائيلي على مصر وسوريا والاردن فورا كما كان من الممكن حل مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية الى الخطوط التي كانت تشغلها في يونية عام ١٩٦٧

---

(٦٣) « ازفستيا » ٢٠ يونية عام ١٩٦٧ .

فورا ايضا ، اذا لم يتدخل اعوان ومؤيدو التوسع الاسرائيلي . ونذكر أن مجلس الامن الذى ناقش مسألة العدوان الاسرائيلي من ٥ الى ١٤ يونيــة عام ١٩٦٧ اتخذ أربع مرات قرارات بوقف اطلاق النار فى ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٢ يونية غير ان اسرائيل واصلت الاستيلاء غير المشروع على الاراضى العربيــة متجاهلة هذه القرارات ومستغلة عدم نص القرار الصادر فى ٦ يونيــة على موعد محدد لوقف اطلاق النار .

وعند مناقشة مسألة وقف اطلاق النـــار فى مجلس الامن فى يونيــة عام ١٩٦٧ ربط الجانب السوفيتى مسألة وقف العمليات العسكرية بمسألة الانسحاب الفورى للقوات الاسرائيلية . وعرقل الجـــانب الامــريكى بكل السبل موافقة مجلس الامن على مثل هذا القرار . وفى هـــذه الظـروف اصبح الوقف الفورى لاطلاق النار مسألة رئيسية ولان القوات الاسرائيلية كانت تواصل التقدم الى اعماق الارض العربية وفى ٧ يونية اتخذ مجـلس الامن بالاجماع وبناء على اقتراح المندوب السوفيتى قرارا يطالب الاطراف بوقف اطلاق النار وكل العمليات العسكرية اعتبــــارا من الساعة ٢٠ من يوم ٧ يونية بتوقيت جرينتش .

وزيادة على ذلك ، واصلت اسرائيل ـ بعد أن اتخذ مجلس الامن فى ٧ يونية قرار وقف اطلاق النار ـ واصلت اسرائيل العدوان ولم يتــوقف جنودها عن القتال واستمر الاستيلاء على الاراضى العربية . ونظرا لمواصلة اسرائيل عدوانها وخرقها الصاروخ لقرارات مجلس الامن اتخذت حـكومة الاتحاد السوفيتى قرارا بقطع العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفيتى واسرائيل محذرة فى الوقت نفسه بان الحكومة الاسرائيلية « سوف تتحمل كل مسئولية الغدر ، وخرق قرار مجلس الامن » . وهذا ما جاء فى مذكرة وزارة خارجية الاتحاد الســـوفيتى التى سلمها فى ١٠ يونيـــة عام ١٩٦٧ ف. كوزنيتسون النائب الاول لوزير خارجية الاتحــــاد الســوفيتى الى ك. كاتس سفير اسرائيل لدى موسكو .

وفى ٩ يونيو اجتمع فى موسكو قادة الاحزاب الشيوعية والعماليـــة وحكومات بلغاريا والمجر وجمهورية المانيا الديمقراطية وبولنــدا والاتحــاد الســوفيتى وتشيكوسلوفاكيا . وبعد ان ذكر المشتركون فى المؤتمر فى البيان المنشور يوم ١٠ يونية أن « شعوب الدول العربية تدافع عن قضية عادلة ، وأن « شعوب الدول الاشتراكية تقف الى جانب هذه الدول قلبا وقالبا » اشاروا الى ان الانتصارات التاريخية العظيمة التى احرزتها شعوب مصر والدول العربية الاخرى « فى مجال الحصول على الاستقلال الوطنى والحرية وأن التحولا الاشتراكية الهامة التى تحققت لما فيه صـــالح الجمــاهير الكادحة » ، سوف تبقى كما هى وان نظم الحكم التقدمية فى الدول العربية

وطيدة » رغم المتاعب التى تعترض طريق الشعوب العربيـة « وان الدول الاشتراكية » سوف تبذل قصارى جهـدها لمساعدة شعوب الدول العربيـة فى مقاومة المعتدى مقاومة حاسمة وفى المحافظة على حقوقها الشرعية واخماد بؤرة الحرب فى الشرق الاوسط » (٦٤) . وهذا البيان حدد بكل دقة برنامج نضال الدول الاشتراكية وكل الدول المحبـة للسلام من أجـل السلام فى الشرق الاوسط . كما عقد اجتماع مماثل فى بودابست يومى ١١-١٢ يولية عام ١٩٦٧ وتأكد فيها من جديد التأييد الحاسم الذى تقدمه الدول الاشتراكية للدول العربية الصديقة فى نضالها العادل من أجل ازالة آثار العـــدوان الاسرائيلى ومن أجل جلاء القوات الاسرائيلية من الاراضى العربيـــة المحتلة ومن أجل اقامة السلام القائم على العدل فى الشرق الاوسط .

وفى ١٣ يونية عام ١٩٦٧ طرحت الحكومة السوفيتية مسألة الدعـوة الفورية لعقد الدورة الطارئة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة لبحث الوضع القائم نتيجة للعدوان الاسرائيلى آخـــذة فى الاعتبـار ان الدورة الطـارئة سوف تتخذ قرارا موجها نحو ازالة آثار العـدوان الاسرائيلى . وأيـدت الاقتراح السوفيتى مائة دولة من أعضاء هيئة الامم المتحدة . ولم تعترض على عقد الدورة الطارئة سوى اسرائيل والولايات المتحـــدة الامريكيـــة وبوتسوانا .

ورأس الوفد السوفيتى فى الدورة الطارئة التى استمرت من ١٧ يونية حتى ٢١ يولية أ. كوسيجين وليس مجلس وزراء الاتحـــاد الســوفيتى ، وهذا يؤكد الاهمية الكبيرة التى يعقدها الجـانب السوفيتى على الدورة . وأسوة بالاتحاد السوفيتى حضرت الدورة الطارئة شخصيات حكومية بارزة كثيرة من الدول الاجنبية - أثنان من رؤساء الدول ١٤ رئيس وزراء و ٤٩ وزير خارجيـــــة .

وفى ١٩ يونية عام ١٩٦٧ طرح الوفد السوفيتى على الدورة الطارئة مشروع قرارا تتلخص بنوده الاساسية قرارا فيمايلى :

- الادانة الحاسمة للعدوان الاسرائيلى .

- الانسحاب الفورى وغير المشروط للقوات الاسرائيلية الى الخطوط التى كانت تشغلها قبل العدوان .

- تعويض اسرائيل للدول العربية التى تعرضت للعـــدوان عن الخسائر المادية التى سببها هذا العدوان .

- دعوة مجلس الامن لاتخاذ الاجراءات الفورية والفعالة بهدف ازالة جميع آثار العدوان الاسرائيلى .

---

(٦٤) « البرافدا » ١٠ يونية عام ١٩٦٧

وقد كان الجانب السوفيتي يدرك ، قطعا ، ان الصياغات الدقيقة والصريحة التى تقدم بها الوفد السوفيتي لمشروع القرار لن تحصل على عدد الأصوات الضرورى . ومع ذلك لعب هذا المشروع دورا هاما كوسيلة للضغط على اسرائيل وانصارها .

وفى ٢١ يونية عام ١٩٦٧ انعقد الاجتماع العام للجنة المركزية للحزب الذى ناقش سياسة الاتحاد السوفيتي بالنسبة لعدوان اسرائيل فى الشرق الاوسط . ووصف العدوان الاسرائيلى بكل وضوح فى قرار الاجتماع العام على انه « نتيجة لتآمر قوى الامبريالية العالمية الاكثر رجعية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية وهو التآمر الموجه ضد احدى طلائع الحركة الوطنية التحررية وضد الدول العربية التقدمية التى اتخذت طريق التحولات الاجتماعية الاقتصادية التقدمية لما فيه صالح الكادحين والتى تنتهج سياسة معادية للامبريالية » (٦٦) وحدد قرار الاجتماع العام للجنة المركزية مهمة السياسة الخارجية للدولة السوفيتية بالنسبة لمسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط على أنها نضال « ضد قوى الامبريالية الضاربة وسياستها فى التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى » ، وكذلك مواصلة خط « تأييد الدول العربية فى نضالها من أجل الحرية والاستقلال والوحدة الاقليمية ومن أجل التقدم الاجتماعى » .

وتنمية لقرارات الاجتماع العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتي الذى انعقد فى يونية عام ١٩٦٧ قام بودجورنى رئيس هيئة رئاسة مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفيتي بزيارات ودية لمصر وسوريا والعراق فى شهرى يونية ويولية من العام ذاته . وفى أثناء محادثاته بالقاهرة ودمشق وبغداد « تم بحث المسائل المتعلقة بالوضع فى الشرق الاوسط نتيجة عدوان اسرائيل على الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الاخرى كما تم بحث الاجراءات التى ينبغى اتخاذها لازالة آثار هذا العدوان » (٦٧) ، وكذلك بحثت مسائل التعاون المطرد بين الاتحاد السوفيتي ومصر وسوريا والعراق .

ان زيارات ن. بودجورنى التى جرت بعد العدوان الاسرائيلى مباشرة اظهرت للعالم كله أن الاتحاد السوفيتي لم يترك أصدقاءه العرب أثناء محنتهم واتخذ العديد من الاجراءات التى ساعد تنفيذها على اعادة القدرة العسكرية لمصر وسوريا التى قضى عليها العدوان الاسرائيلى تماما .

---

(٦٥) وثيقة هيئة الامم المتحدة ا/ل ٥١٩٠ فى ١٩ يونية عام ١٦٩٧

(٦٦) « البرافدا » ٢٢ يونية عام ١٩٦٧

(٦٧) « البرافدا » فى ٢٥ يونية عام ١٩٦٧

وهذه الزيارات فتحت سلسلة جديدة من الزيارات المتبادلة بين قادة الاتحاد السوفيتى والغالبية الساحقة من الدول العربية وجرت أثناء هذه الزيارات – ولا زال يجرى – تبادل واسع وصريح للاراء حول المسائل التى تهم البلاد كما يجرى اعداد الخطوات المشتركة الموجهة نحو تدعيم القدرة العسكرية والاقتصادية والسياسية للدول العربية ، ويجرى كذلك تعزيز الثقة المتبادلة . وهذه كلها عوامل ذات اهمية طويلة المدى ويزداد دورها بصفة مستمرة .

وبعد العدوان الاسرائيلى مباشرة أصبح النضال من أجل اعداد الوثائق التى يمكن أن تشكل أساس التسوية المقبلة لأزمة الشرق الاوسط والتى يمكنها أن تكون مقبولة من جميع الاطراف لمثل هذه التسوية ولقد أصبح هذا النضال أحد اتجاهات نشاط الدبلوماسية السوفيتية .

وفى ١٩ سبتمبر عام ١٩٦٧ افتتحت الدورة الثانية والعشرون للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة وكانت مسألة الوضع فى الشرق الاوسط – وهى موضوع النقاش العام بالدورة الخامسة الطارئة – قد أجلت الى الدورة الثانية والعشرين غير أنه تقرر عن طريق المشاورات بين الوفود ان نناقش هذه المسألة فى مجلس الامن . وبدأت هذه المناقشة فى نوفمبر . وظل خط الاتحاد السوفيتى كما هو – وهو ينحصر فى الذود عن ضرورة ضمان انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربية المحتلة مع تقديم المساعدة للدول العربية فى تعزيز استقلالها السياسى والاقتصادى .

وكان للانتقال بمركز ثقل النضال من أجل التسوية ، الى صياغة مبادىء التسوية المقبولة من جميع الاطراف فى تلك الفترة (النصف الثانى من عام ١٩٦٧) له ما يبرره ويتفق وجهود السياسة الخارجية السوفيتية بالنسبة لمسائل تسوية ازمة الشرق الاوسط . والواقع أنه أصبح واضحا أن المماطلة فى حل الازمة – وهو ما راهنت عليه اسرائيل والولايات المتحدة المؤيدة لها فى سفور – سوف يتطلب جهودا كثيرة مختلفة الجوانب عند حل هذه الازمة . وكان من الواجب أن يصبح العرض المركز للمبادىء الاساسية للتسوية أحد الخطوات الاولى فى هذا الاتجاه وهى المبادىء التى يجب أن يؤدى تطبيقها فى الشرق الاوسط الى انهاء النزاع على أساس عادل والى اقامة السلام والى الامن فى هذه المنطقة . ان صياغة هذه المبادىء على شكل قرار خاص من الجمعية العامة يعتبر عملا مضنيا للغاية ، هذا الى جانب أن قرارات الجمعية العامة لها طابع التوصية فى أغلب الاحيان فى الوقت الذى تقضى فيه قرارات مجلس الامن بضرورة التوصل الى موافقة الدول العظمى وهو ما يقضى بأن يكون القرار متوازنا ومقبولا من جميع الاطراف كما أن قرارات مجلس الامن ملزمة بالنسبة للدول – الاعضاء فى هيئة الامم المتحدة .

وفى أثناء المشاورات فى اطار مجلس الامن تمت صياغة عدة مشروعات لقرارات خاصة بالشرق الاوسط ولقد تقدمت بهذه المشروعات الدانمارك الولايات المتحدة والبرازيل والهند وستة أعضاء غير دائمين بمجلس الامن وكذلك الهند ومالى ونيجيريا (سوريا) . الا ان الاهتمام تركز حول مشروعين — المشروع الانجليزى الذى بحثه مجلس الامن فى ١٦ نوفمبر والمشروع السوفيتى الذى قدم متأخرا ثلاثة أيام . وكانت الصياغات المتوازنة هى السمة المميزة لهذه المشروعات . وبالاضافة الى ذلك كان المشروع السوفيتى يشير الى ضرورة « اتخاذ الاجراءات للحد من سباق التسلح غير المفيد ، والمدمر » (٦٨) . وهذا ما جرى حوله الحديث كثيرا أثناء المناقشات فى الدورة الطارئة الخامسة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة . ولقد أشار المشروع السوفيتى كذلك الى الدور الهام الذى يجب ان تلعبه هيئة الامم المتحدة فى قضية حل النزاع العربى — الاسرائيلى .

ونتيجة للمشاورات التى جرت عن طريق القنوات الدبلوماسية مع حكومة مصر تلقى المندوب السوفيتى فى مجلس الامن ارشادات بالتصويت مع مشروع القرار الانجليزى الذى لا ينبغى اعتباره انجليزيا صرفا ، فحسب الملاحظة العادلة التى قالها كارادون مندوب بريطانيا العظمى ذاته ، قدم كل عضو من أعضاء مجلس الامن تقريرا فى قضية البحث عن الاسس المشتركة .

وكان صدور القرار رقم ٢٤٢ فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ حدثا هاما ولم يكن الامر منحصرا فقط فى ان هذا المشروع تمت الموافقة عليه بالاجماع . فالقرار نفسه — بالرغم من اتزان صياغته وانسيابيتها المعروفة — وضع اساس ما تسمى ب « رمة » التسوية اى الارتباط المتبادل لكل وجهاتها ، وضرورة الحل الشامل لكل وجهات النزاع العربى — الاسرائيلى التى تكون مشكلة التسوية بوجه عام مع ضرورة حل مشاكل كل الدول اطراف النزاع .

والواضح تماما انه لولا الاشتراك النشيط للاتحاد السوفيتى فى مناقشة مبادىء التسوية المقبلة لازمة الشرق الاوسط لما خرج الى العالم قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولا يمكن اعتبار هذا القرار توصيات او تمنيات يمكن تنفيذها أو عدم تنفيذها . ولقد جاء فى بيان الحكومة السوفيتية الصادر فى ٢٣ مارس عام ١٩٦٨ : « ان قرار مجلس الامن الخاص بالشرق الاوسط — ليس توصية او رأيا يمكن للحكومات الاخذ به أو عدم الاخذ به فلقد اخذت كل دولة على عاتقها عند انضمامها الى

---

(٦٨) وثيقة هيئة الامم المتحدة س/ ٨٢٥٣ فى ٢٠ نوفمبر عام ١٩٦٧

هيئة الامم المتحدة الالتزام دون قيد أو شرط بتنفيذ قرارات مجلس الامن المتخذة طبقا لميثاق هيئة الامم المتحدة . وعدم تنفيذ هــذه الالتزامات ــ معناه معارضة هيئة الامم المتحدة وتحديها » (٦٩) .

ولقد أصبح قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ منذ لحظة صدور فى نوفمبر عام ١٩٦٧ أساسا قانونيا دوليا معترفا به من الجميــع للتسوية . وهو القرار الذى يؤكد على ضرورة تنفيذه كل من يهمه الامر فى اقامة السلام بالشرق الاوسط كما أن بنوده رسخت فى أساس كل مقترحات التسوية التى تقدم بها ويتقدم بها الاتحاد السوفيتى . هذا الى جانب أن الغمـوض والتحديد غير الكافى فى صياغات القرار رقم ٢٤٢ وكذلك أختلاف الروايات فى بعض فقــراته المرتبطة بترجمــة النسخة الانجليزية ، أمور أعطت الاسرائيليين الذين ينتهجون سياسة ضم الاراضى قهــرا ــ كمــا أعطت لانصارهم ــ امكانية توسيع الجدال حول حقيقة لا تقبل الجــدل هى أن قوات المعتدى يجب أن تنسحب من الاراضى التى احتلتها ، وهذا هو لب ومفتاح حل أى تسوية فى الشرق الاوسط .

ومن هنا ظهرت المقترحات « الجدية » حــول ضرورة بدء « الاتفــاق على الحدود العربية ــ الاسرائيلية المقبلة » ، (وهذا فى ظل بقـــاء احتــلال اسرائيل للاراضى العربية الاصلية !) ثم حـــل مسألة انسحاب القــوات الاسرائيلية الى الحدود التى من الطبيعى جـدا بالنسبة لمطالب القيــادة الاسرائيلية التوسعية لا يجب أن « يتلاقى » مع الخطوط العربية الاسرائيلية طبقا للحالة التى كانت عليها اسرائيل فى ٤ يونية عام ١٩٦٧ وبمنتهى الدقة صاغ أرثر جولدبيرج المنـدوب الدائم للولايات المتحــدة لدى هيئة الامم المتحدة هذه « العقيدة » الاحتلالية فى الدورة الثانية والعشرين للجمعيــة العامة لهيئة الامم المتحدة حيث أعلن أن القوات الاسرائيلية لن تنسحب من الاراضى التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ الا فى حالة اقرار السلام فقط وبعــد التوصــل الى اتفــاق بين العــرب واسرائيل حول اقامة « الحــدود المعترف بها » .

وظل خط الاتحاد السوفيتى ودول الاسرة الاشتراكية كمــا هو ــ التوصل الى التسوية العادلة فى الشرق الاوسط على أساس التنفيذ الـكامل لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عــام ١٩٦٧ وبالدرجــة الاولى انسحاب القــوات الاسرائيليــة من جميع الاراضى العربيــة المحتــلة فى عام ١٩٦٧ .

---

(٦٩) « الازفستيا » فى ٢٣ مارس عام ١٩٦٨

غير ان ــ وهذا طبيعي جدا ــ النداءات لتنفيـــذ قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر كان من الممكن ان تظل مجرد تمنيات طيبة ، اذا لم يعززها النشاط الدبلوماسي والسياسي الملموس الذى يهدف الى صياغة المبــادىء المقبولة من جميع الاطراف للتسوية القائمة على احكام القرار رقم ٢٤٢ .

وأصبح برنامج التسوية السوفيتي عملا له دوى عالمي رفيـــع الشأن ــ وهو « برنامج جدول » تنفيذ قرار مجـــلس الامن رقم ٢٤٢ الذى وافق عليه الجانب المصرى فى ديسمبر عام ١٩٦٨ .

وهذا البرنامج كان يستجيب للهدف الرئيسي : فلكونه وثيقة متزنة قائمة على مبدأ « الشمول » أشار الى طرق التوصل الى التسوية في الشرق الاوسط بالوسائل السياسية عن طريق الانسحاب المرحلي للقوات الاسرائيلية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالنواحي الاخرى فى التسوية . ان تنفيذ الاجراءات التى يقضى بها البرنامج السوفيتي للتسوية ــ الانسحاب المرحلي للقــوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ، وتعبير الدول العربية واسرائيل عن الاستعداد الرسمى للموافقة على وقف حالة الحــرب بعــد انسحاب القوات الاسرائيلية ، والتوصل الى اتفاق حول كل جوانب التسوية طبقــا لما جاء بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، واقامة الحـدود بمـا فى ذلك مسألة اقامة المناطق منزوعة السلاح ، وضمان حرية الملاحة في الطـرق المائيــة الدولية ، والحل العادل لمشكلة اللاجئين وهكذا ــ ان تنفيذ هذا البرنامج من شأنه أن يؤدى الى ازالة آثار العدوان الاسرائيلى وضمان السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط ، ذلك السلام الذى يستجيب لمصــالح الدول العربيــة واسرائيــل .

ولم يكن الغرب قادراً على « رفض المبادرة السوفيتية البناءة الجديدة ببساطة ولذلك حاولت الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا تقليل أهتمام الرأى العام العالمي بالبرنامج السوفيتي لحل أزمة الشرق الاوسط وذلك عن طريق مختلف المسائل العارضة التى لم تدل الا على عدم تفهم جوهــــر الوثيقة السوفيتية ومحاولات « التحديد » الاضافية وما شابه ذلك.

غير أن المبادرة السوفيتية كانت غاية فى الاهمية كما أن توقيتها وطابعها البناء من الامور التى كانت جليــــة بالنسبة للجميـــــع . ورغم أن المشروع السوفيتي كان « مجمدا » فى الغرب (لم تؤيده) سوى حكومة فرنسا التى اصدرت بيانا رسميا حول استعدادها لقبــول هـــذا المشروع كأساس فى مسألة جذب انتباه الرأى العام العالمى الى ضرورة حل مشكلة تسوية أزمة الشرق الاوسط ، او فى مجال انعاش اهتمام الدول العربيــة ذاتهــا بهــذه المشكلة وفى مجال القضاء على النزعات الاستسلامية المتولدة فى بعض دوائر الاوساط الاجتماعية العربية . وفى النهاية اظهر الاتحــاد السوفيتي امام العالم

من جديد تأييده النشيط والعملى لنضال الدول والشعوب العربية من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى عن طريق تحريك مقترحات التسوية الصريحة والقائمة على أحكام قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

وعلى هذا الاساس بنيت المقترحات السوفيتية الجديدة التى تم تنسيقها مع الجانب المصرى ، وعرضت للمناقشة فى يونية عام ١٩٧٩ ، وكذلك بعض الاضافات والتحديدات التى اضيفت الى المقترحات التى أعدت فى يونية عام ١٩٧٠ . ولقد تأسست هذه المقترحات الجديدة (التى كانت تحمل طابع « الشمول » على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما انها تعتبر اعتراف أطراف النزاع بهذا القرار بمثابة أساس للتسوية ، وتقضى بضرورة اظهار أطراف النزاع الاستعداد لتنفيذ جميع احكام القرار . وكان هذا الاعتراف ضروريا وان كانت الدوائر الاسرائيلية الحاكمة لم تعلن استعدادها لتنفيذ احكام هذا القرار الا فى خريف عام ١٩٧٠ ، بعد مماطلة دامت ثلاث سنوات خلافا لمصر وبعض الدول العربية التى وافقت على الاعتراف بالقرار رقم ٢٤٢ على انه أساس مقبول جدا وقانونى دولى واقعى .

ويدل المشروع السوفيتى الذى حمل عنوان « الاحكام الاساسية لتسوية مشكلة الشرق الاوسط من جديد على رغبة الجانب السوفيتى فى التوصل الى تسوية سياسية فى الشرق الاوسط . وتنطلق الوثيقة السوفيتية من ضرورة حل مشكلة التسوية من حيث الجوهر ، خاصة أن الاتفاق على التسوية يجب ان يمس جميع جوانب التسوية وكل المنطقة وجميع البلاد ــ أطراف النزاع » .

وتتلخص مقترحات الجانب السوفيتى فيمايلى :

ــ لقد ثبتت ضرورة اعتراف اسرائيل والدول العربية ــ الاعضاء فى التسوية بأنهم جميعا مستعدون أن ينفذوا فى اخلاص قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بجميع أحكامه .

ــ خصص مكان هام للاشارة الى انه يجب على اطراف النزاع الاعتراف بعدم السماح بالاستيلاء على الاراضى بطريق الحرب وكذلك مكان هام لاهمية اقامة السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط وفى ظل هذا السلام يمكن لكل دولة من دول المنطقة ان تعيش فى أمان دون أن تتعرض لاخطار استخدام القوة .

ــ وبما أن انسحاب القوات الاسرائيلية ، من جميع الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ يجب أن يكون لب أى تسوية مقبولة من جميع الاطراف

---

(٧٠) أنظر « البرافدا » فى ١٥ اكتوبر عام ١٩٧٠

ومضمونها الاساسى ، تضمنت المقترحات السوفيتية مقترحات صريحة حول الحدود العربية الأسرائيلية المقبلة ، التى يجب ان تتلاقى مع خطوط الحدود الدولية بين الدول العربية واسرائيل حسب الوضع الذى كان قائما فى ٤ يونية عام ١٩٦٧ .

– وكانت المقترحات السوفيتية تقضى بالارتباط والتبعية المتبادلة بين انسحاب القوات الاسرائيلية ووقف حالة الحرب بين اسرائيل والدول العربية ، وعندئذ أعتبر أن انسحاب القوات الاسرائيلية قد يبدأ فى يوم ايداع أطراف النزاع الوثيقة النهائية للتسوية التى وافقوا عليها من خلال وساطة يارنج . وفى يوم ايداع هذه الوثيقة سوف يتم الوقف الحقيقى لحالة الحرب اى أن الجانبين سوف يتوقفان عن العمليات العسكرية . وبمجرد أن تنسحب القوات الاسرائيلية الى الخط الذى كانت موجودة فيه قبل ٥ يونية عام ١٩٦٧ يجب أن يعلن رسميا وقف حالة الحرب تماما .

– وبالاضافة الى ذلك كانت المقترحات التى تقدم بها الاتحاد السوفيتى تضمن حصانة دول الشرق الاوسط حتى بعد الوقف القانونى لحالة الحرب . واذا ما تم انسحاب القوات الاسرائيلية الى خط ما قبل يونية عام ١٩٦٧ فانا « الحدود المعترف بها » لدول المنطقة من الممكن أن يضمنها مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة أو أعضاؤه الاربعة الدائمون – الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا . ومن المقترح اقامة مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود بموافقة الدول المعنية وسوف يتضمن نظامها تحديد الطابع العسكرى بحيث لا يسمح بتفوق أى من الجانبين . ومن المقرر كذلك وضع قوات هيئة الامم المتحدة فى منطقة غزة حيث كانت موجودة حتى مايو عام ١٩٦٧ وكذلك فى منطقة شرم الشيخ وذلك بموافقة مصر حسب قرار مجلس الامن .

– وأخيرا كانت المقترحات السوفيتية تقضى بضرورة التزام اسرائيل بتنفيذ قرار هيئة الامم المتحدة الخاص باللاجئين الفلسطينيين المطرودين من ديارهم .

– ومن المهم جدا أن مشروع التسوية السوفيتى كان يقضى بضمان حرية الملاحة لسفن جميع الدول فى مضايق تيران وخليج العقبة وقناة السويس .

وكان القسم الثالث الذى أشار الى دور مجلس الامن كجهاز رئيسى مسئول عن قيادة عمليات هيئة الامم المتحدة فى الحفاظ على السلام فى الشرق الاوسط ، اذا كانت هذه العمليات تعتبر ضرورية كان هذا القسم قسما هاما من المقترحات السوفيتية .

ان الطابع الشـــامل للمقترحات السوفيتية واضـح وجلى اذ أن المقترحات كانت تتضمن مبـــادىء التسوية الشاملة وكانت تتطلع الى كل مجموعة المسائل الداخلة فى كل مجموعة التسوية .

وبشكل مجمل ، ينحصر موقف الاتحاد السوفيتى من بعض الوجهات الصريحة فى التسوية التى لم يتم الاشارة اليها فيما سبق ــ فيمايلى :

يعتبر الجانب السوفيتى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ أساسا مقبولا لبلوغ التسوية بالوسائل السياسية السلمية .

ان انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربيـــة المحتلة عام ١٩٦٧ يجب أن يكون المســألة الاساسية فى الحـل العادل طويل الامد للنزاع العربى ــ الاسرائيلى ، أما الحدود العربية الاسرائيلية المقبلة فيجب بالتالى أن تتـلاقى مع الخطـوط الدوليـة للحـدود بين الدول العربيـة واسرائيل طبقا لما كان عليه الوضع فى ٤ يونيـــة عام ١٩٦٧ . وفى التسوية النهائية يجب على أطراف النزاع أن تأخذ على عاتقهـا التزامات صريحـــة تتعلق بأقامة السلام بينهما واحترام الحق المتبادل فى الحيـــاة فى ســلام والاعتراف بهذا الحق ، دون التهديد بالقوة أو باستخدامها .

وينبغى ضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران وخليج العقبـــة بالنسبة لسفن جميع الدول بما فيها اسرائيل .

أما فيما يختص بحرية الملاحة فى قناةالسويس فسوف تصبح مضمونة مع تحقيق سيادة مصر على هذا الطريق المائى الدولى الهام جـــدا وذلك على أساس أحكام معاهدة القسطنطينية المبرمة فى عام ١٩٨٨ وزيادة عــلى ذلك سوف تتمتع سفن اسرائيل بحق حرية المرور فى القناة فـور اتمـــام انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . ويجب أن يعود الى القدس الوضع الذى كان قائما قبل نزاع عام ١٩٦٧ ، ومن الطبيعى أن يشمل القدس إنسحاب القـــوات المسرائيلية . كمـا يجب تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة الخاصة باللاجئين الفلسطينيين .

ان مسألة وقف أو تخفيض توريدات الاسلحة الى أطراف النزاع أمر يمكن بحثه بعد حل مشكلة التسوية وانسحاب قوات المعتدين الاسرائيليين الى خطوط ٤ يونية عام ١٩٦٧ اذ انه لا ينبغى وضع المعتدى وضحايا العدوان على مستوى واحد فى هذه المسألة .

وحتى النظرة القصيرة لموقف الاتحاد السوفيتى من جميع الوجهـــات الاساسية فى تسوية ازمة الشرق الاوسط تمكننا تماما من التحدث عن الطابع المتزن للموقف السوفيتى وعن أن تنفيذ المقترحات الصريحة التى تقدم بها الجانب السوفيتى بخصوص تسوية النزاع العربى ــ الاسرائيلى من شأنه أن

يساعد بلا شك فى تسوية وتنقية الوضع فى الشرق الاوسط ، والتوصل الى حلول مقبولة من جميع الأطراف لكل جوانب ازمة الشرق الاوسط .

ان خط الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى فى تأييد القضية العربية العادلة خط ثابت دائما ولا يتغير . فهذا الخط يجد انعكاسة فى جميع اتصالات الجانب السوفيتي بخصوص مسائل الوضع فى الشرق الاوسط . وفى هذا الخصوص من الطبيعى جدا أن تجتذب البيانات السوفيتية ـ المصرية المشتركة الصادرة نتيجة للزيارات الحكومية الهامة ومحادثات قادة بلدينا مزيدا من اهتمام الرأى العام العالمى . ولقد اولت الصحف الاجنبية اهتماما خاصا لبعض نقاط البيان السوفيتي ـ المصرى المشترك الصادر بعد زيارة الرئيس المصرى أنور السادات لموسكو فى ابريل عام ١٩٧٢ حيث جاء بالبيان أن المجادثات والمباحثات السوفيتية ـ المصرية سوف تساعد على التطور المطرد للصداقة بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية وعلى زيادة امكانيات مصر فى مقاومة العدوان الاسرائيلى وفى خدمة قضية السلام فى جميع انحاء العالم (٧١) . ونتيجة لزيارة السادات لموسكو فى ابريل عام ١٩٧٢ أشار البيان المشترك الى انه فى الظروف التى لم تتخل فيها الدوائر المعادية لحركة التقدم فى الشرق العربى وعملاؤها ، عن تفكيرهم فى كسر شوكة الشعوب العربية واحباط التسوية السياسية واجبار الشعوب العربية على الاستسلام أمام مطالب الامبرياليين » ، ـ لدى الدول العربية ـ ضحية العدوان الاسرائيلى » كل الاسس لاستخدام كل الوسائل الممكنة من اجل استعادة الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل » (٧٢) . كما تضمنت الوثائق السوفيتية ـ العربية الاخرى مثل هذه الاسس .

ان الطابع المتعاقب لسياسة الدولة السوفيتية بالنسبة للشرق الاوسط وجد انعكاسه فى البيان السوفيتي ـ الامريكى المشترك الذى صدر بعد محادثات الرئيس الامريكى نيكسون فى مايو عام ١٩٧٢ بموسكو . وفى هذه الوثيقة أكد الجانب الامريكى علنا المبادىء التى تحاشت امريكا عرضها منذ مدة طويلة : (تأييد التسوية السلمية فى الشرق الاوسط طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومهمة يارنج والرغبة فى تسوية الوضع فى هذه المنطقة وهكذا) . وزيادة على ذلك لن نكون مخطئين اذا اعتبرنا أن تثبيت النقاط سالفة الذكر فى البيان السوفيتي الامريكى المشترك يعتبر نجاحا ضخما للسياسة الخارجية السوفيتية ودليلا واضحا على أن الاتحاد السوفيتي لايغير سياسته فى الشرق الاوسط وان تحسين العلاقات السوفيتية

---

(٧١) انظر « البرافدا » فى ٥ فبراير عام ١٩٧٢

(٧٢) « البرافدا » فى ٣٠ ابريل عام ١٩٧٢

ـ الامريكية يتم على أساس مبدئى وليس على حساب الدول الاخرى كما يحاول أن يثبت ذلك أعداء الاتحاد السوفيتى الذين يروجون الاشاعات المغرضة حول وجود « اتفاق » بين « الدولتين العظميين » بخصوص الشرق الاوسط . وكان التنويه الى ضرورة حل المشكلة الفلسطينية فى البيان السوفيتى ـ الامريكى المشترك حول نتائج زيارة ل. بريجنيف للولايات المتحدة الامريكية فى صيف عام ١٩٧٣ خطوة هامة للامام فى هذا الموضوع .

ولقد أولى اهتمام كبير لتسوية أزمة الشرق الاوسط حتى أثناء لقاء القمة السوفيتى ـ الامريكى الثالث الذى تم نتيجة له التوصل الى اتفاق حول مواصلة الاتصالات « من أجل تنسيق جهود الدولتين نحو التسوية السلمية فى الشرق الاوسط » (٧٣) .

والاتحاد السوفيتى فى سياسته التى ينتهجها فى الشرق الاوسط لا يسترشد بتصورات حالة الاسواق العابرة ولكنه يسترشد بالخط المستمر القائم على التوطيد الشامل للعلاقات مع الدول النامية والقضاء على بؤر التوتر الخطرة فى مختلف مناطق الكرة الارضية وخاصة فى الشرق الاوسط . ولقد وجد هذا النهج انعكاسه وتجسيده الملموس فى برنامج السلام الذى ينفذ بنجاح والذى أعده المؤتمر الرابع والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى .

ويعتبر الموقف السوفيتى فى مسائل تسوية أزمة الشرق الاوسط مفتاح الحل للازمة العقيمة فهو يشير بوضوح الى تلك الطرق التى يمكنها أن تؤدى الى اقامة السلام العادل والوطيد والدائم فى هذه المنطقة .

ان صحة السياسة السوفيتية فى الشرق الاوسط تتأكد يوميا . والاتحاد السوفيتى عندما يؤيد بشكل متعاقب أقامة السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط وانه على اقتناع كامل بأن هذا السلام من شأنه انه يستجيب للمصالح الحقيقية بالنسبة لجميع دول الشرق الاوسط . وصدق أ. جروميكو حين قال : « يمكن لشعوب هذه المنطقة أن تحول جهودها من الصراع الذى يفرط بشكل متبادل فى الطاقة المادية والبشرية ـ الى حل مشاكل التقدم الاجتماعى والاقتصادى مستغلة فى ذلك امتيازات الحياة السلمية » (٧٤) .

---

(٧٣) « البرافدا » فى ٤ يولية ١٩٧٤

(٧٤) وثيقة هيئة الامم المتحدة ص ٩ فى ٢١ ديسمبر عام ١٩٧٣

ان النهج الموجه نحو انفراج التوتر العالمي الذى يعتبر دائمـا من اهم مسلمات السياسة الخارجيـة السوفيتية له اكبر علاقة مبـاشرة بمنطقـة الشرق الاوسط . فالقضاء على النزاع فى هذه المنطقة من شـأنه أن ينمى بشكل ملحوظ المناخ الدولى كما ينعكس انعكاسا مفيدا فى كل مكان بالعالم .

والاتحاد السوفيتي ـ كما هو حاله دائما ـ مستعد لأن يبذل قصارى جهده فى هذا الامر .

الباب السابع

الى أين يسير الشـــرق الاوسط ؟

العـــالم العـــربى

فى ظـــروف العـــدوان الاسرائيلى المستمر

ان الفشل العسكرى الذى منيت به الدول العربية الثلاث عام ١٩٦٧ لم يمس هذه الدول وحدها . ففى جميع الدول العربية بل فى غيرها من الدول تساءل الكثيرون ـ ماذا حدث بالضبط ، وما هى الاسباب الداخلية والدفينة لهذا الفشل ، وأين الضمانات فى أن الدول العربية لن تتعـــرض مستقبلا لمثل هذه الكبوة السياسية الخارجيـــة ؟ من الطبيعى الا تكون الاجابة على هذه الاسئلة واحدة . ان اسباب النظام السـياسى الخـــارجى والداخلى المتداخلة والمتشابكة لا تمكننا فقط من ادراك معنى ما حـدث فى يونـــة عام ١٩٦٧ بل تمكننا كذلك من محاولة التطلع نوعا ما الى المستقبل القريب وان نرى فى الاحداث التى جرت بعد العدوان ، وخاصة احــداث أكتوبر عام ١٩٧٣ تأكيدا أو بالعكس تكذيبا لتلك أو هذه التطورات فى هذا المجال ، وللاتجـــاهات الملموسة ونزعات التنميـــة فى العـــالم العـــربى وآفاقه القريبـــة والبعيـــدة .

ولقد سبب الفشل فى « حرب الايام الستة » ازدياد الانتقادات الموجهة الى نظم الحكم التقدمية فى مصر وسوريا ليس فى داخل هذه البلادفحسب بل فى العديد من الدول العربية الاخرى . وأكثر بعض النقاد الكلام ، فقالوا انهم بدأوا يرون السبب الرئيسى للهزيمة فى التحولات الاجتماعية الاقتصادية التى جرت فى مصر وسوريا . وخرجوا من ذلك باستنتاج « جدى » فحـواه انه من الضرورى القضاء على المكاسب التقدمية . ورفض اعادة بناء المجتمع ، وتقليص علاقات الصداقة مع الدول الاشتراكيـــة والتحـــول الى أساليب الرأسمالية الصرفة فى الاقتصاد ، والبحث عن امكانيات تحسين العلاقات مع الدول الغربية كنتيجة لذلك . وبعد عام ١٩٦٧ أصبح نائب الرئيس زكريا محيى الدين ـ وهو أحد الانصار المقربين لعبد النـاصر ورجـل دولة بارز وأحد منظمى ثورة ٢٣ يولية وأحد المشتركين النشطاء فيها ـ أصبح المعبر والداعية لمثل هذه الافكار فى مصر . ان خطورة مثل هذه النظريات نجمت من أن أصحابها تحججوا بأن الصداقة مع الغرب سوف تساعد الشعوب

العربية على التوصل الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى العربيــــة المحتلة عام ١٩٦٧ وعلى ازالة اثار العدوان .

ولم تكن اقالة زكريا محيى الدين من جميع مناصبه وحدها ردا على مثل هذه الميول بل شمل الرد اعلان ناصر فى ربيع عام ١٩٦٨ « بيان ٣٠ مارس » الذى تأكد فيه أن فشل مصر فى « حرب الايام الستة » نجم عن ذلك التأييد الشامل الذى قدمته الامبريالية العالمية لاسرائيل ، وان هذا الفشل لم يكن نتيجة ـ للاتجاه نحو اعادة بناء المجتمع المصرى على أسس تقــدمية بل كان نتيجة للخطأ فى حسابات القيادة العسكرية المصرية ولفساد بعض اســاليب تنفيذ هذا النهج ولتباين الاساليب البيروقراطية فى تدبير مطالب ديمقراطية نظام الدولة والحياة الاجتماعية .

وبعد وفاة ناصر فى خريف عام ١٩٧٠ تفاقمت من جديد مسألة طــرق التنمية المقبلة للدول العربية . والجدير بالذكر فى مصر مثلا نوقشت لفترة من الوقت وبحماس مسألة مدى جدوى العودة الى التشكيل القــديم لمجلس قيادة الثورة الذى كان يمثل أعلى سلطة فى البلاد فى الشهور الاولى التى اعقبت ثورة عام ١٩٥٢ . ان استئناف نشاط هذا المجلس فى الظروف التى ابتعد فيها الكثيرون من شخصيات الفترة الاولى لتنمية مصر الجمهورية عن النشاط الحكومى واوقعوا انفسهم تحت شبهة الميول الموالية للغرب والاقاويل ـ قد يعنى عودة تلك الشخصيات ذات النزعة اليمينية والمحافظة من امثــال زكريا محيى الدين سالف الذكر وعبد اللطيف البغدادى الى الحياة السياسية النشيطة بحصر الامر الذى يشكك فى مسألة الاتجاه ، المعادى للامبريالية ، التقدمى فى تنمية مصر ، غير ان هذا لم يحدث مما يدل على الطابع العميق للتحولات الاجتماعية الاقتصادية التى جرت فى مصر ، وعلى ان هذه التحولات كانت تستجيب لمصالح غالبية جماهير الشعب . وبذلك كذبت مرة اخرى القضية الاستفزازية الحقودة التى اثارتها الدعاية الرجعية مدعية ان التحولات الاجتماعية الاقتصادية التقدمية التى جرت فى مصر كانت « مفروضة » على شعب هذه الدولة وانها كانت السبب الاساسى فى فشل مصر فى « حرب الايام الستة » .

ان توطيد ايمان الغالبية العظمى من الشعوب العــربية بأن اعادة بنــاء المجتمع على اسس تقدمية يساعد على حل المشاكل التى تقف امام الحركــة التحررية العربية بنجاح وخاصة بالنسبة لمسالة ازالة اثار العدوان الاسرائيلي ـ ان هذا التوطيد يعتبر النتيجة الاكثر تحيزا لما جرى بعد عام ١٩٦٧ كمــا أن طريق التنمية المنتظمة للاقتصاد وتعزيز الوحدة الداخلية للقوى التقدمية واجراء التحولات الديمقراطية لما فيه صــالح الكادحين امتــزاجا بالنضــال

السياسي من اجل تسوية النزاع – هذا الطريق الذى تنتهجه الدول العربية المتقدمة يلقى تأييدا كاملا من جانب الدول الإشتراكية ولقد صدق يحيى عبد القادر سفير مصر فى موسكو سابقا حين قال : « ان هدف مصر الرئيسى فى حالة الحرب هو مقاومة العدوان الامبريالى الصهيونى ، أما هدف الاتحاد السوفيتى – فهو الحد من اضعاف النفوذ الامبريالى . وهكذا فلدينا هدف واحد . وفى حالة السلام نهتم بشكل رئيسى بالتنمية الاقتصادية اما الاتحاد السوفيتى فهو يهتم بتقديم المساعدة لهذه التنميسة حتى لا تقع الدول النامية فى احضان السوق الامبريالية العالميسة . وفى هذه الحالة لدينا مصالح مشتركة مع الاتحاد السوفيتى ولا ريب فى أن مصر سواء فى الوقت الحاضر أم فى المستقبل مهتمة بالصداقة مع الاتحاد السوفيتى . ان الاتجاه التقدمى فى سياسة مصر الخارجية والداخليسة متعلق بطابع ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ وبخبرتنا فى النضال ضد الامبريالية والعدوان . وهذا الاتجاه يتلاقى مع أهداف السياسة الخارجية التى ينتهجها الاتحاد السوفيتى الذى يعتبر طليعة شعوب العالم فى النضال المعادى للامبريالية ويؤيد نضال شعوب الدول الصغرى من أجل حريتها واستقلالها وتقدمها (١) .

ان المؤرخين البرجوازيين يحبون الكفاية عن سلبية وعدم مبالاة الجماهير المصرية . لقد ولى هذا الزمن واثبتت انتفاضة جماهير الشعب فى ٩ و ١٠ يونيــه عام ١٩٦٧ ان كادحى مصر كلهم اصرار على الذود عن مكتسباتهم الاجتماعية والاقتصادية وانهم مهتمون جدا بمن يحكم بلادهم .

وكما فى المرآة انعكست فى المجتمع المصرى الحديث العمليات الاجتماعية السياسية الكثيرة التى تحدث فى العالم العربى حاليا . فهناك تعمل نوعيات مختلفة من القوى ويدور نضال عنيف بين أنصار الطبقة التقدمية الحديثة وممثلى الطبقات القديمة التى تتمسك بكل قواها بالامتيازات السابقة والتى تحاول تحويل البلاد الى طريق التنمية الرأسمالية . واحيانا تأخذ هذه المقاومة الطبقية أشكالا حادة ومن الطبيعى جدا تاريخيا وشرعيا أن الجديد يشق لنفسه الطريق بصعوبة . واذا أخذنا فى الاعتبار الطابع الاجتماعى لنظام الحكم المصرى وحيوية ومواقف قوى المجتمع القديم فلن يدهشنا عدم التعاقب بل تتناقض بعض الاجراءات التى تتخذ فى مصر فى الوقت الحاضر .

ان العلاقة بالاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى اصبحت منذ أمد بعيد فى مصر والدول العربية الاخرى خطا فاصلا فريدا فى نوعه يعطى امكانية تمييز الوطنيين العرب الحقيقيين ، الذين يسعون الى تقدم بلادهم على أساس التنمية الشاملة للعلاقات السوفيتية العربية ، عن اولئك ، الذين يحاولون اخفاء اهدافهم الحقيقية وراء شعارات تنمية الصداقة والتعاون

---

(١) « روزا اليوسف » فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٧٢

مع الاتحاد السوفييتي . ولا ينبغي استبعاد انه من الممكن ان تظهر في الدول العربية من وقت لاخر وبمعاونة قوى الرجعية الخارجية والداخلية بعض التصرفات الصغيرة المعادية للاتحاد السوفيتي والشيوعية مثلما حدث في مصر في صيف وخريف عام ١٩٧٢ عند انتهاء أعمال الخبراء العسكريين السوفييت في جمهورية مصر العربية ، وعند رحيلهم من البلاد . ان عدم اخذ احتمال حدوث هذه الظواهر غير المرغوب فيها في الاعتبار — معناه عدم فهم التركيب الطبقي للمجتمع المصري الحديث وعدم العلم بأن بعض التجمعات الطبقية في الدول العربية (ومنها من تسيطر على مقاليد الحكم بينها) . مهتمة بتنمية العلاقات مع الاتحاد السوفيتي لأن هذه العلاقات قبل اى شيء آخر تساعد على توطيد مواقفها . وليس سرا ان نمو وعي جماهير الشعب العريضة يحدث في وقت واحد مع تنمية العلاقات السوفيتية — العربية . وهذا بالذات ما تخشاه الدوائر البرجوازية اليمينية في الدول العربية . غير أن عملية نمو الادراك الطبقي تزداد هناك بنشاط فائق . ويساعد على هذا النمو الوضع السياسي الداخلي والدولي الحالي في الدول العربية وخاصة عدم تسوية مشكلة ازالة اثار العدوان الاسرائيلي .

وليس سرا أن هناك في بعض الدول العربية من يروجون من حين لاخر وبتأييد نشيط من الخارج للرواية القائلة بأن مفتاح حل القضية في يد الامريكيين دائما . ومن هنا تتأتى بعض « النصائح التطبيقية » التي يروجها من وقت لآخر الاصدقاء الكاذبون للعرب في الغرب ، والتي تنحصر في الافكار الخاصة باحتمالات « تحييد » الولايات المتحدة الامريكية في النزاع العربي — الاسرائيلي ، ولكن طبيعة نظام الولايات المتحدة الاجتماعي الاقتصادي يثبت انه ليس في مقدورها الا ان تكون في النهاية الى جانب اسرائيل في مسألة النزاع العربي — الاسرائيلي مهما حاولت اخفاء ذلك .

غير ان عملية النضال التحرري في العالم العربي تهدد بشكل مباشر المصالح الامريكية وخاصة البترولية في منطقة الشرق الاوسط . ان الولايات المتحدة الامريكية وهي تراهن على اسرائيل لا ترفض في الوقت نفسه فكرة شق الصفوف العربية واثارة بعض الدول العربية من الداخل .

ان عدم تسوية آثار العدوان الاسرائيلي تؤدي الى زيادة نزعات القومية في سياسة بعض الدول العربية والى نمو الميول المتطرفة . وفي الاونة الاخيرة مثلا بدأوا في بعض الدول العربية يروجون لشعار « الاعتماد على القوى الذاتية » في النضال من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي ، وقد كان من الممكن الا يثير هذا الشعار اعتراضات خاصة لو انه كان موجها نحو تجنيد كل قوى وأموال العرب في الدفاع عن استقلالهم وفي درء العدوان . ولكن أعداء الصداقة العربية — السوفيتية يستغلون هذا الشعار قبل اى شيء آخر لعزل الدول العربية وفصلها عن حلفائها الحقيقيين وأصدقائها

المخلصين ــ الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى . والسوفييت بوصفهم امميين من الطبيعي انهم مهتمون بأن تتوطد قوى التقــدم فى الشرق العربى بأستمرار .

والمميز جدا أن نضال الشعوب العربية المعادى للامبريالية يكتسب من عام لاخر سمات جديدة يرتبط الكثير منها ارتباطا مباشرا بالعدوان الاسرائيلى المتواصل . والشيء الرئيسي عنــدئذ ــ اعــداد الخط التكتيكى السليم الذى يكمل النهج الاستراتيجي لحكومات الدول العربية التقدمية فى تعميق التحولات الاجتماعية الاقتصادية لما فيه صالح الاغلبية الساحقة من الشعب . ان اعداد هذا الخط التكتيكى الموحد بالنسبة لمسائل التسوية يصطدم بطــائفة كاملة من المصــاعب الخطيرة جدا واهمها ينحصر فى اختلافات الظروف السياسية الداخلية بكل من الدول العربية ومن هنا يتأتى خوف بعض الزعماء العــرب من مخاطبة الشعب حول ضرورة البحث المشترك عن طريق التسوية الذى من شأنه أن يستجيب الى أقصى حد لمصالح الشعب . ومن هنا تأتى محاولات التستر « برأى الشعب » أو بالعكس تكذيب هذه أو تلك الخطوات المتعلقــة بمسائل النضــال من أجــل الحــل العــادل للنزاع العــربى ــ الاسرائيــلى وزيادة على ذلك يدعى الشعب فى الوقت نفسه الى استحسان أى قرار تتخذه السلطات الرسمية فى هذا الموضــوع . ومن المميز أنه كلما زاد انشــقاق « الجبهة الداخلية » بالدول العربية كلما زاد دوى النداءات « الديماجوجية » حول ضرورة « اتباع النصائح التى ترد من « جماهير الشعب » وخاصــة بالنسبة لمسائل التسوية . وبالاضافة الى ذلك يرفضــون فى بعض الدول العربية سلفا الوثائق القانونية الدولية المعترف بهــا من الجميع مثــل قرار مجلس الامن الصــادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ ، وينــادون بضرورة حــل المشكلة الفلسطينية دون الاشارة الى الطرق الصريحة لحلهــا ودون الربط الواجب لهذا الحل بتسوية أزمة الشرق الاوسط بوجه عام .

وهكذا نجــد أن المشكلة الرئيسية التى تصطدم بهــا الدول العربية فى ظروف العدوان الاسرائيلى المستمر ــ هى تضافر كل القوى التقدمية الحقــة من أجــل تحقيق الهدف الموحــد ، وهو المقــاومة الحاســمة للدســائس الامبريالية الموجهة ضد الدول العربية . ومن هنا تظهر الضرورة الملحة لاتخاذ الموقف الموحــد ووجهة النظر الموحدة فى طريق التوصــل الى التسوية . ومن المهم جدا بالنسبة لمصائر العالم العربى بوجه عام ان الاحــزاب والمنظمــات السياسية الحاكمة فى الدول العربية مثل حزب البعث الاشتراكى العربى فى سوريا والعراق والاتحاد الاشتراكى العربى فى مصر ، والجبهــة القوميــة فى اليمن الجنوبية ، وجبهــة التحــرير فى الجزائر ــ تنتهج حتى فى ظروف العدوان الاسرائيلى المستمر النهج المعادى للامبريالية فى السياسة الداخليــة والخارجية ، كما انها تؤيد اعادة بناء المجتمع على أسس تقدميــة ، وتبحث وتوجد طرق التعاون الناجح كجبهة موحــدة مع القوى التقدمية الاخــرى .

وفى الوقت نفسه تتكتل القوى المعادية للامبريالية وتتضافر مع دول النظام الاشتراكى العالمى ، وخاصة مع الاتحاد السوفيتى وان كان ذلك يتم من خلال التغلب على المصاعب الخطيرة ذات الطابع الموضوعى والذاتى . وهذا كله يحتم نمو ادراك أكثر الدوائر اتساعا فى الاوساط الاجتماعية العربية والشخصيات القيادية فى غالبية الدول العربية ـ بالاهمية الحيوية للسلام العادل والوطيد وضرورته فى الشرق الاوسط وهذا يعتبر من أهم شروط التنمية المطردة للدول العربية فى طريق التقدم الاجتماعى والاقتصادى . ومن هنا يأتى التفهم الذى يتغلغل بعمق شديد فى ادراك جماهير الشعب وقادتها فى الدول العربية انه تفهم صحة النهج الثابت تاريخيا وعمليا والموجه نحو التسوية السياسية للنزاع العربى ـ الاسرائيلى ورفض المطالب والشعارات المتطرفة . والجدير بالذكر أن مثل هذه الميول تظهر بين جماهير المقاومة الفلسطينية وطبقا لما ورد بصحيفة « الاهرام » ايدت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية الاساليب السياسية فى تسوية النزاع العربى ـ الاسرائيلى بعدا أن أقرت فى الحقيقة ـ منهج مصر فى بلوغ التسوية القائمة على تنفيذ جميع أحكام قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (٢) .

أما استقطاب القوى الذى يحدث حاليا فى مجال العلاقات العربية فهو لا يقل أهمية بالنسبة لمستقبل العالم العربى فهذا الاستقطاب مرتبط ارتباطا وثيقا بعدم تسوية مشكلة ازالة آثار العدوان الاسرائيلى . ونشير بشكل عابر الى أن التفاقم الطبيعى فى الوقت الحالى بالنسبة لمشاعر القومية لدى الشعوب العربية يجد انعكاسه فى نمو اتجاه الجامعة الاسلامية . وكثيرا ما تدوى الدعوات الى « النقاء الدينى » وضرورة تربية الشباب فى روح أحترام الدين الاسلامى وعباداته ، وقد يبدو أن مثل هذه الدعوات الموجهة الى مشاعر المسلمين المؤمنين لا تقدم أى عناصر جديدة للوضع العام القائم فى العالم العربى . غير أن الامر له جوانب أخرى . فكما تبين حقائق الفترة الاخيرة بدا كل من يعمل ضد التنمية التقدمية للشعوب العربية يتنكر فى زى المتحمسين للدين الاسلامى . وبشكل واضح تخبو وراء أفكار تقارب الدول على أساس دينى رغبة القوى الامبريالية الغربية فى التوصل الى أهدافها البعيدة جدا عن الدين من خلال المضاربة بمشاعر المؤمنين .

ففكرة « الجامعة العربية القومية والقومية العربية خيبتا الآمال التى كانوا يعقدونها عليها فى القريب فى وقت ما . فلقد كانوا يعقدون الآمال على استغلال فكرة « الجامعة العربية » فى توجيه الحركة الوطنية التحررية للشعوب العربية الى مجرى معاداة الشيوعية . وحاليا يزداد اتجاه القومية العربية المعادى للامبريالية ـ يزداد وضوحا مع مرور الايام . ولذلك ، بالذات ، ظهرت ملابس الجامعة الاسلامية المهلهلة .

---

(٢) « انظر الاهرام » فى ٢٠ يناير عام ١٩٧١

وكما بين مؤتمر وزراء خارجية ٢٤ دولة اسلامية الذى عقـد فى مارس عام ١٩٧٠ ترفض غالبية الدول العربيـة هـذه الفـكرة . ان وزراء خارجية العراق مثلا وصفت تأسيس سكرتارية دائمـة للـدول الاسلامية بأنه سعى « لاستخدام قضية العرب فى اقامة حلف سياسى مشبوه » . ورغم أن بعض الافكار والآراء المقتبسة من الدين الاسلامى من الممكن أن تدخل فى خطب رجال الدولة العرب والوثائق التشريعية بالدول العربية (فى الدساتير مثلا) ــ رغم هذا بدأ الكثيرون من الناس يدركون أن الرجعيين المكشوفين وأعداء التقدم والاتجاهات العصرية يختفون وراء شعارات الجامعة الاسلامية ، ومن المعروف أن هذه الاحزاب السياسية الرجعية التى لها فـروع فى الـكثير من الدول العربية مثل « الاخوان المسلمين » و « التحرير » تستفيد قبل أى شىء آخر من احياء ميول الجامعة الاسلامية فى العالم العربى .

وخلافا للمحاولات العنيفة التى تقوم بها القوى الامبرياليـة للاطاحة بنظم الحكم المصرية التقدمية والاستفادة من حقيقة احتلال الاراضى العربية من أجل القضاء على تلك الاحزاب السياسية والتجمعـات والشخصيات الموجودة فى العالم العربى والتى تعارض فى تعـاقب ، العـدوان الاسرائيلى ومن أجـل التشهير بها ــ خلافا لذلك تقـاوم الدول العربية بحسم متزايد الدسائس الامبريالية وتسير فى طريق التحولات الاجتماعية الاقتصادية معتمدة على المساعدة الشاملة والتأييد من جانب الاتحاد السوفيتى والدول الاخرى بالاسرة الاشتراكية والقوى المحبة للسلام فى جميع أنحاء العالم . وهذا يعتبر السمة الرئيسية والمميزة لمرحلة النضال التى تعيشها الشعوب العربية ضد العدوان الاسرائيلى ان النضال من أجل السلام العادل والوطيـد فى الشرق الاوسط يحظى بالتأييد المتزايد فى جميع أنحاء العالم ، فالقوى المؤيدة للسلام تشق لنفسها الطريق مع جيرانها العرب حتى فى اسرائيل ذاتها .

ما اظهـرته احـداث اكتـوبر عام ١٩٧٣

أدى تفاقم الموقف فى الشرق الاوسط والاستفزازات الاسرائيلية المستمرة ضد الدول العربية المجاورة الى الزيادة الدائمة فى درجة حدة القلق فيمـا يختص بالنزاع العربى ــ الاسرائيلى . ومن الطبيعى ان هذا الوضع غير الطبيعى كان يجب أن يسفر عن انفجار جديد ان آجلا أو عاجلا .

ولما كانت الحكومة السوفيتية تدرك أن استمرار الوضع غير الطبيعى ــ « حالة عدم الحرب وعدم السلم » ــ من الممكن أن تنتهى الى احتدام نزاع عسكرى جديد ، فلقد استغلت جميع الوسائل بعد يونية عام ١٩٦٧ لجذب انتباه حكومة الولايات المتحـدة الامريكيـة الى ضرورةادراكهـا للمسئولية الخاصة الملقـاة على عاتق كل الدول العظمى فيمـا يختص بتسوية ازمـة الشرق الاوسط .

ولكن حتى المحادثات السوفيتية ـ الامريكية التى جرت على أعلى مستوى فى مايو عام ١٩٧٢ ويونية عام ١٩٧٣ أظهرت أن الامريكيين كانوا فى الواقع يواصلون التوكل على مقدرة اسرائيل العسكرية . وبعبارة أخرى لم تقلقهم الاحوال القائمة فى منطقة الشرق الاوسط التى بقى فى ظلها الاحتلال الاسرائيلى غير المشروع للاراضى العربيـــة الاصلية . وزيادة على ذلك قدر الجانب الامريكى تدريجيا التأثير السلبى لهذا الاحتلال على الوضع الداخلى فى بعض الدول العربية ـ قدر الجانب الامريكى ذلك ، على انه احتمال واقعى لممارسة الضغط على الدول العربية الامر المرغوب فيه بالنسبة للغرب .

وفى هذه الظروف كانت اسرائيل تواصل اتباع الموقف التعويضى بشكل سافر بالنسبة لمسائل تسوية ازمة الشرق الاوسط ، وكما هو الحال فى الماضى تجاهلت القرارات العديدة الصادرة عن مجلس الامن ودورات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة واوصلت الامر عن عمد الى نسف جميع الجهود الدولية الموجهة نحو بلوغ الحل السياسى العادل لمشكلة الشرق الاوسط .

ان التوتر وبقاء عدم الاستقرار في هذه المنطقة أمران بديا خطأ متأصلا فى تسلسل تواريخ الحوادث فى خلفية التحول الى الانفراج فى العلاقات الدولية وهو التحول الذى ميز عامى ١٩٧٢ ـ ١٩٧٣ والذى أصبح يمكننا بفضل النشاط الذى لا يكل فى هذا المجال من جانب الحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة السوفيتية .

وكنتيجة مباشرة لنمو التوتر فى الشرق الاوسط تتكون البيئة الصالحة لنمو وانتشار الشعور بعدم الارتياح فى العالم العربى ، اذ أن الحكومات العربية لا تجد فى نفسها القوة والامكانيات لحل المسألة الاصلية للتسوية دفعة واحدة ـ وهى مسألة انسحاب القوات الاسرائيليـــة من الاراضى العربيـــة المحتلة . وفى هذه الظروف لم يكن مصادفة بالمرة ظهور النداءات للحل الاساسى لمشكلة الشرق الاوسط بالاسلوب العسكرى . وبعبارة أخرى انتقلت الاحاديث عن ضرورة النضال المسلح مع اسرائيل ، انتقلت الى المجال العملى وسواء أردنا أو لم نرد دفعت القادة العرب الى اتخـــاذ مواقف حاسمة فى مسائل التسوية .

وقد كان من الممكن أن يحدث « ٦ اكتـــوبر عام ١٩٧٣ » قبل ذلك . ولم يكن هناك اى شك لدى اى شخص حتى لدى أولئك الذين يعملون بالموقف فى الشرق الاوسط بشكل سطحى أن الحرب العربية ـ الاسرائيليـــة الجديدة الاكثر عنفا وضراوة من الحروب الثلاث السابقة سوف تندلع آجلا أو عاجلا . وفى الواقع لم يكن من الممكن التوقع بأن العرب سوف يوافقون على اغتصاب الحقوق واستيلاء اسرائيل غير المشروع على اراضى العرب الاصلية . وكان قادة اسرائيل وحدهم هم المصابون بحمى الشوفينية

المعادية للعرب ، يأملون فى أن تستلم الدول العربيـــة بالسياسة الاسرائيلية « سياسة الامر الواقع » وتصبر على تلك الاهانات التى وجهتهـا اسرائيـل للعرب طوال أكثر من ربع قرن .

وجاء ببيان الحكومة السوفيتية بمناسبة اندلاع الاحـــداث العسكرية فى الشرق الاوسط أن « مسئولية تطور الاحداث فى الشرق الاوسط وآثارها تقع كاملة على عاتق اسرائيل والدوائر الرجعية الخارجية التى تتسامح دائما مع اسرائيل بالنسبة لمطامحها العدوانية » (٣) .

ومن الممكن اعتبار ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ بحق علامة تاريخيـــة بارزة فى العلاقات العربية ـ الاسرائيلية ورغم أن هذا اليوم يرمز بنفسه الى بداية أكبر حرب دموية عربية ـ اسرائيلية لا هوادة فيها فهو يعتبر فى الوقت نفسه وذلك الحد الذى لم يبق بعده لدى أى فرد فى العالم العربى أو اسرائيـــل ذرة من الشك فى أن شدة التوتر المطردة فى الشرق الأوسط والتصـــاعد المطـرد للعـداء فى العلاقات بين الدول العربيـــة واسرائيل ـ أمران من الممكن أن ينقلا العالم كله الى حافة الفاجعة . ان تطور الاحداث هذا بالنسبة لحالة العلاقات العربية ـ الاسرائيلية قد يؤدى حتما الى تهيئة الظروف التى قد لا يمكن فى ظلها التحدث عن تسوية الوضع فى منطقة الشرق الاوسط فقط بل التى قـد تؤدى الى بعث الروح العسكرية المتشددة فى الحياة السياسية الداخلية بالدول العربية واسرائيل ، وذلك قد يؤدى بدوره الى توسيع الصدامات العسكرية على نطاق متزايد جدا بين العرب واسرائيل والى التلوث الدائم للجو العالمى والقضاء على جميع باكورات العلاقات الجديدة فى هذه المنطقة .

ان النتائج العسكرية الصرفة لاحداث اكتوبر فى الشرق الاوسط معروفة على نطاق واسع ، وليس هناك ضرورة لتكرارها هنا . غير انه توجد وراء بعض النتائج العسكرية لاحداث أكتوبر عام ١٩٧٣ نتائج تاريخية خطيرة تذهب الى خارج اطار الصدامات العسكرية التى تجددت بين العرب والاسرائيليين وتعتبر انعكاسا لعمليات تطور العـلاقات بين الدول العربية واسرائيل وهى العمليات التى بدأت اعتبارا من عام ١٩٦٧ وادت الى احـــداث اكتـــوبر عام ١٩٧٣ الدرامية .

ان ١٦ يومـا من الصـدامات العسكرية الضـارية على الجبهـات المصرية ـ الاسرائيلية ، والسورية ـ الاسرائيلية قضت الى الابد على اسطورة عدم قهر اسرائيل وبددت الى الابد اختلاقات الدعاية الصهيونية القائلة بأن قدرة اسرائيل العسكرية ـ راسخة ولن تتغير ابدا وهى لا تحدد فقط الوضع السياسى العام فى هذه المنطقة بل تؤثر الى حـــد ما فى السياسة الخارجيـة

---

(٣) « البرافدا » فى ٨ اكتوبر عام ١٩٧٣

فى بعض الدول العربية . ولقد اظهرت الجيوش العربية انها مدربة تدريبا عسكريا ممتازا ، كما اظهرت القدرة على القتال فى ظروف استراتيجية وتكتيكية صعبة . ولقد منى الاسرائيليون ــ باعترافهم ــ بخسائر فادحة فى الارواح والمعدات .

واشار الرئيس انور السادات فى خطابه امام مجلس الشعب فى ١٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ الى أحداث عام ١٩٦٧ حيث قال : « لقد كان جيشنا ضحية الهزيمة فى حرب عام ١٩٦٧ وليس سببا لها ففى عام ١٩٦٧ كان الجيش قادرا على النضال بنفس البسالة التى حارب بها فى الوقت الحالى (فى عام ١٩٧٣) لو لم يفقد قادته فى ذلك الوقت عقولهم بعد الغارة الاولى التى قام بها سلاح الطيران الاسرائيلى ولو لم يصدر قرار الانسحاب دون علم عبد الناصر (٤) .

وأدت الحرب العربية ــ الاسرائيلية التى دارت فى أكتوبر عام ١٩٧٣ الى أن القيادة الاسرائيلية فقدت الايمان بمناعة اسرائيل وبشرعية افعالها العدوانية . ان خسائر اسرائيل فى الارواح والمعدات ــ وهى خسائر لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الصدامات العسكرية العربية ــ الاسرائيلية ــ بددت الى الابد اسطورة عدم قهر الجيش الاسرائيلى وافقدت شعب اسرائيل الثقة فى البيانات الدعائية المغرية التى تصدرها قيادته التى يذكر فيها أن مقدرة اسرائيل العسكرية وارتباطها الوثيق بالولايات المتحدة الامريكية ضمان قوى جدا لامن الدولة الاسرائيلية .

وبعد احداث اكتوبر اصبح ممكنا بالنسبة للقيادة العربية أن تتحدث مع اسرائيل على قدم المساواة دون وجود لوضع المنتصر والمنهزم وهو ما كانت تسعى اليه اسرائيل دائما طوال ٢٥ عاما . ان ادراك هذه الحقيقة بالذات أعطى للزعماء العرب الاساس للموافقة على الاشتراك فى مؤتمر جنيف اذ انهم قبل ذلك وكما هو معروف كانوا يرفضون أى شكل من أشكال الاتصالات أو المحادثات مع اسرائيل خوفا من أن تحاول قيادة تل أبيب أثناء هذه المحادثات أن تفرض بكل السبل التسوية التى تفيد بشكل خاص اسرائيل أى التسوية « من موقف القوة » .

وكانت الخطوات الواقعية للزعماء العرب فى تنظيم وحدة عملهم فى قضية درء عدوان اسرائيل العامل الجديد والخطير للغاية الذى ظهر بوضوح أثناء احداث اكتوبر . ان أزمة الطاقة التى داهمت العديد من الدول الغربية فى الوقت الحالى حدثت بالدرجة الاولى كما هو معروف ، بسبب الاجراءات المتعلقة بالطاقة التى اتخذها زعماء الدول المنتجة للبترول بخصوص تحديد وتخفيض تصدير البترول التى تؤيد اسرائيل بأى شكل من الاشكال .

---

(٤) « الاهرام » فى ١٧ اكتوبر عام ١٩٧٣

وكان لاشتراك وحدات عسكرية من العراق والمغرب والجزائر والكويت والاردن والسعودية فى الجبهات المصرية والسورية أهمية فائقة ورغم أن هذا الاشتراك كان رمزيا ولا يؤثر تأثيرا حاسما على مصير المعارك فى الجبهات ــ رغم هذا كان هذا الاشتراك الرمزى ضد اسرائيل ، علامة خطرة على نمو اتجاهات وحدة العمل العربى . ولم يكن فى الامكان عدم رؤية ان التعاون القتالى سالف الذكر بين الجيوش العربية فوق ارض المعركة فى ايام أكتوبر عام ١٩٧٣ يعتبر نموذجا مستقبليا لتلك الجبهات العربية الملتهبة التى سوف تطوق اسرائيل حتما آجلا أو عاجلا ربما ليس الآن وربما بعد ١٠ ، ٢٠ ، ٥٠ سنة اذا لم تتوقف قيادتها عن سياسة التوسع المفلسة والمشبوهة واذا لم تقدم هذه القيادة على تهيئة الظروف التى يمكن ان تعيش فى ظلها كل دولة من دول منطقة الشرق الاوسط فى سلام وفى ظروف الحدود الامنة والمعترف بها دون أن تتعرض للتهديد بالقوة أو باستخدامها .

وقدمت أحداث أكتوبر عام ١٩٧٣ فى الشرق الاوسط درسا واضحا جدا فى مجال تطور العلاقات الدولية . فلقد كانت هذه الاحداث أخطر اختبار لحيوية وشرعية منهج انفراج التوتر العالمى الذى أصبح منذ أمد بعيد من قوانين السياسة الخارجية السوفيتية والخط السياسى الخارجى الذى تنتهجه اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة السوفيتية . وليس من الصعب أن يتصور المرء نوعية العواقب التى كان من الممكن ان تؤدى اليها حرب أكتوبر العربية ــ الاسرائيلية بالنسبة للعالم كله لو لم تتكون فى هذه الفترة المقدمات المناسبة لتحسين العلاقات السوفيتية ــ الامريكية ولو لم تؤد محادثات ل. بريجنيف مع الرئيس نيكسون عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٣ الى اقامة آفاق جديدة فى العلاقات . ولقد ثبت أمام العالم كله ان عملية تسوية وتحسين العلاقات السوفيتية ــ الامريكية مفيدة لا للاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية فقط . بل ان هذه العملية تؤدى الى تهيئة الظروف الجديدة بشكل جيد لتنمية العلاقات الدولية الحديثة التى تصبح فى ظلها بؤر التوتر العسكرى التى لا تزال موجودة فى كوكبنا أخطاء تاريخية فى تسلسل تواريخ الحوادث وشذوذا ضارا . ولقد تعرضت عملية انفراج العلاقات الدولية والتحسن الذى طرأ على العلاقات السوفيتية ــ الامريكية ــ تعرضت لاختبار خطير تم اجتيازه بنجاح . فلقد أثبت الاتحاد السوفيتى أمام العالم كله من جديد نبل نواياه وأهدافه ولا يمكن أن يثير سلوك الاتحاد السوفيتى فترة حرب أكتوبر العربية ــ الاسرائيلية اى لوم ولو كان ضئيلا ، من جانب المراقبين غير المتحيزين سواء فى المجال السياسى والدبلوماسى أم فى المجال العسكرى . وفى الوقت نفسه كانت بعض أفعال حكومة الولايات المتحدة الامريكية تدل على أن الحكومة الامريكية ليست دائما فى حالة السيطرة على أعصابها فهى أحيانا تواصل العمل .. « على الطريقة القديمة » معتمدة على الخط الذى أصبح مفلسا منذ أمد بعيد وهو خط التأييد الشامل لاسرائيل .

ولقد فتحت أحداث أكتوبر عيون الالاف المؤلفة من العرب على حقيقة أن الاتحاد السوفيتي ودول الاسرة الاشتراكية فقط هم الحليف الطبيعي والمخلص والمضمون للدول العربية فى نضالها العادل من أجل استعادة الحقوق التى انتهكتها اسرائيل . أن الجسور الجوية التى أقيمت فى هذه الفترة بين الاتحاد السوفيتى ومصر وسوريا سمحت فى أقصر وقت بتعويض خسائر الجيوش العربية بأحدث انواع الاسلحة .

ففى نشاط كبير قامت الدول الاشتراكية بمد جيوش مصر وسوريا بكل ما هو ضرورى للنضال ضد المعتدى . ولقد أثبتت المعدات السوفيتية كفاءتها . واستحق الخزى كل أصحاب الاحاديث الخانقة القائلة بأن الاتحاد السوفيتى لا يقدم للعرب ما يسمى بالاسلحة الهجومية . أما الشهود على تفوق فاعلية طائرات وأجهزة الدفاع الجوى السوفيتية الصنع ، فهم ليسوا فقط الالاف المؤلفة من العرب بل كذلك الاسرى الاسرائيليون الكثيرون الذين أسروا بعد اسقاط « طائرات الفانتوم » التى كانوا يتباهون بها .

وكان النمو الفائق لسمعة الاتحاد السوفيتى فى الدول العربية ، وتوطيد وتوسيع علاقات الصداقة السوفيتية العربية باطراد ، نتيجة سياسية ، لا تقبل الجدال ، لاحداث أكتوبر عام ١٩٧٣ ولقد أشار حاتم نائب رئيس وزراء مصر فى كلمته بمجلس الشعب المصرى يوم ٨ ديسمبر عام ١٩٧٣ الى أن « المساعدة السياسية والاقتصادية التى قدمها الاتحاد السوفيتى للعرب والاسلحة السوفيتية التى واجهنا بها العدوان سوف تكون من أقوى عوامل الصداقة التى تربط بين شعبينا العظيمين » (٥) .

وكان القرار الخاص الذى أتخذه رؤساء الدول العربية فى مؤتمر نوفمبر عام ١٩٧٣ الذى تم فيه التعبير عن شكر وعرفان الدول العربية للاسرة الاشتراكية جمعاء على المساعدة والتأييد فى أكتوبر عام ١٩٧٣ قرارا لم يسبق له مثيل .

ان أحداث اكتوبر عام ١٩٧٣ اقنعت العالم كله فى وضوح بضرورة اقامة السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط . وبذلك الوعى بالذات تتحدد فكرة ومضمون قرارات مجلس الامن الاخيرة كما ينتج عن ادراك ضرورة تسوية الوضع فى الشرق الاوسط بالذات ، الشعور بالمسئولية التى تقع بالدرجة الاولى على عاتق الدولتين العظميين ـ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية .

---

(٥) « الاهرام » فى ٩ ديسمبر عام ١٩٧٣.

بداية مؤتمر السلام فى جنيف
اتفاق فصل القوات

يعتبر عقد مؤتمر السلام فى جنيف حول الشرق الاوسط فى ديسمبر عام ١٩٧٣ . الذى يضم الدول الاطراف بشكل مباشر فى النزاع بالاضافة الى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية مكسبا عاما لكل من يسعى الى اقامة السلام العادل والوطيد فى الشرق الاوسط .

ويطفو على السطح سؤال قانوني خاص بمدى واقعية التوصل الى تسوية أثناء المؤتمر . أن رغبة بعض الوفود (الحديث يدور حول وفد اسرائيل بالدرجة الاولى) فى منح المؤتمر دورا تظاهريا بحيث يكون مسجلا فقط للقرارات التى قد يتم التوصل اليها خارج اطار المؤتمر أى عن طريق اتصالات هـ. كيسنجر وزير الخارجية مع قادة مصر وسوريا واسرائيل مثلا ، هذه الرغبة ، تلفت الانتباه بصفة خاصة . وقد أعلن هذا صراحة أ. ايبان وزير خارجية اسرائيل الذى وصف مؤتمر السلام فى حديث أدلى به لصحيفة « نيويورك بوست » بأنه الساحة « التى تصدق على الاتفاقيات التى يتم التوصل اليها خارج جدران المؤتمر » .

وحتى لا نغفل الدور الهام لجهود الدبلوماسية الامريكية فيما يتعلق بعقد مؤتمر جنيف واتمامه ينبغى أن نقول مباشرة أن الرأى العام العالمى يتوقع أن يتم بالجهود المشتركة لجميع الدول الاعضاء فى المؤتمر التوصل الى صياغة القرارات البناءة المقبولة من جميع الاطراف ، تلك القرارات التى سوف تحدد لعشرات السنوات المقبلة شروط السلام فى الشرق الاوسط والتى سوف تسوى الوضع فى المنطقة مع أخذ القوانين الشرعية ومصالح كل الدول الموجودة فى المنطقة والشعوب التى تعيش هناك فى الاعتبار وفى هذا المجال من الممكن بحث اى اتفاق فصل القوات على أعتبار أنه خطوة أولى فى الطريق الى التسوية العامة .

ولقد تمت الاشارة الى ذلك فى الكلمة التى القاها فى المؤتمر أ. جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتى حيث أشار بشكل خاص الى أنه « وفقا لاقتناع الاتحاد السوفيتى التام ينبغى أن ينفذ بكل دقة المبدأ الاساسى فى الحياة الدولية ــ مبدأ عدم السماح بالاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب .

وينحصر فى ذلك مفتاح حل المشكلة كلها . واذا كان المشتركون فى المؤتمر يريدون بالفعل تجنيب منطقة الشرق الاوسط خطر النزاعات الجديدة ففى هذه الحالة ينبغى استبعاد السبب الاول للازمة ــ احتلال الاراضى العربية الذى أستمر اكثر من ست سنوات . ويجب أن تعود هذه الاراضى كاملة الى أصحابها الشرعيين . ونحن نرى انه لن يكون هناك سلام فى الشرق الاوسط

طالما ان القوات الاسرائيلية لا تزال موجودة فى هذه الاراضى . ان اى وثيقة تتم الموافقة عليها فى المؤتمر الحالى يجب أن تتضمن التزامات واضحة ودقيقة بانسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى المحتلة فى عام ١٩٦٧ .

وبدون التوصل الى اتفاق الاطراف على هذه المسألة المبدئية لن تتوفر التسوية التى يمكنها ضمان مصالح الدول العربية واسرائيل ومصالح الامن العالمى . ومن ناحية أخرى اذا تم التوصل الى أساس الاتفاق المشار اليه فلا ريب فى أن الجوانب الاخرى الكثيرة للتسوية قد تحل فى يسر أكثر .

والى جانب ذلك من الضرورى ضمان الاحترام والاعتراف بالسيادة والوحدة الاقليمية والاستقلال السياسى بالنسبة لجميع دول الشرق الاوسط وبحقها فى الحياة فى سلام . ونفس الوضع بالنسبة لاسرائيل . ان موقفنا واضح ومتعاقب من البداية الى النهاية ــ السلام والامن لكل شعوب هذه المنطقة . ومن الطبيعى أن يعنى هذا أن العدالة بالنسبة لشعب فلسطين العربى سوف تكون مضمونة . ويجب أن تتحدد حقوقه المشروعة . والبديهى أن المشكلة الفلسطينية لا يمكن بحثها وحلهـا بدون اشتراك ممثلى شعب فلسطين العربى » (٦) .

ولا داعى لان يكون الانسان نبيا حتى لا يرى خطورة الصدام العربى ــ الاسرائيلى العسكرى الضخم الجديد فى حالة اقتصار المؤتمر على اتخاذ أنصاف الحلول وعدم الوصول بقضية التسوية الى نهايتها .

غير أن كلمات هـ . كيسنجر وزير الخارجية الامريكى و ا . أيبان وزير الخارجية الاسرائيلى لم تتضمن أى تصورات صريحة عن آفاق التسوية . واصبح واضحا أن الامريكيين والاسرائيليين كانوا يسعون الى تحويل محادثات جنيف الى مجال للاتصالات بين وفدى مصر واسرائيل العسكريين حول مسألة ما يسمى بفصل القوات .

وبعد يومين من أعمال المؤتمر صدر بيان سكرتير عام هيئة الامم المتحدة الذى وافق عليه الجانبان والذى تضمن برنامج أعمال المؤتمر المقبلة . وجاء بذلك البيان مايلى : « بعد اجراء المناقشات الرسمية وغير الرسمية توصل المؤتمر الى اتفاق فيما يختص بمواصلة اعماله عن طريق انشاء مجموعة عمل عسكرية ومجموعات عمل أخرى قد يرى المؤتمر تكوينها مستقبلا . وتبدأ مجموعة العمل العسكرية مناقشة مسألة فصل القوات فورا . وسوف تقوم مجموعة العمل بتبليغ نتائجها وتوصياتها للمؤتمر الذى سيواصل أعماله على مستوى السفراء على أقل التقدير . وسوف يعقد

---

(٦) وثيقة هيئة الامم المتحدة صفحة ٦ فى ٢١ ديسمبر عام ١٩٧٣

المؤتمر على مستوى وزراء الخارجية فى جنيف عند الضرورة فى ضوء تطور الاحداث » (٧) .

وأثارت المخاوف على مصير مؤتمر جنيف حقيقة أن جهود مؤتمر جنيف تركزت كلها على أعمال اللجنة العسكرية باشتراك مندوبى مصر واسرائيل والجنرال سيلاسفو قائد قوات الطوارىء المسلحة التابعة لهيئة الامم المتحدة فى الشرق الاوسط ، وبدون اشتراك مندوبى رئيسى المؤتمر – الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية . كما كان من الطبيعى أن يظهر التخوف من أن يصبح حل مسألة فصل القوات المصرية – الاسرائيلية الموضوع الرئيسى فى المؤتمر ويصرف فى المستقبل انتباه أعضائه عن حل أهم المسائل السياسية المبدئية . وأظهر مندوبو بعض الدول وخاصة العربية شيئا من عدم الفهم نظرا لان المؤتمر اهتم منذ بدايته بتلك المسألة (الحديث يدور حول فصل قوات مصر واسرائيل) والتى سبق أن نوقشت أثناء محادثات الكيلو ١٠١ فى طريق القاهرة – السويس . وبعبارة أخرى سبب جدول أعمال المؤتمر المحدود فى البداية عن قصد – سبب قلقا واضحا بالنسبة لبعض ممثلى الدول العربية .

وكما يتضح من الانباء الواردة فى الصحف كشفت جلسات اللجنة العسكرية عن اختلافات خطيرة فى موقف الاطراف بالنسبة لمسألة فصل القوات . وفى الحقيقة أكدت الجلسات أن الاسرائيليين كانوا يسعون بكل قواهم الى المحافظة على رأس الجسر الذى استولوا عليه فى اليومين الاخيرين من الحرب وهو رأس الجسر الواقع على الساحل الغربى لقناة السويس ، وكما أكدت الجلسات لا ينوى الاسرائيليون الاقدام على سحب قواتهم من الاراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ فهم يحاولون بشتى الحجج والمبررات الحفاظ على هذه الاراضى والاكتفاء بالموافقة على ما يسمى بالحل المرحلى الذى يقضى بانسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية من قناة السويس وبدء الاجراءات التى يتخذها المصريون لاستئناف الملاحة فى القناة .

وأدت الجولة الدورية التى قام بها هـ. كيسنجر فى الشرق الاوسط فى يناير عام ١٩٧٤ الى توقيع مصر واسرائيل على اتفاقية فصل القوات . وطبقا لهذه الاتفاقية انتهت عملية فصل قوات الدولتين فى ٥ مارس . وأقيمت مناطق بها قوات محدودة العدد من مصر واسرائيل وكذلك منطقة محايدة رابطت فيها وحدات قوات الطوارىء المسلحة التابعة لهيئة الامم المتحدة .

ومن الممكن اعتبار اتفاق فصل القوات المصرية والاسرائيلية ايجابيا بوجه عام اذ أن الحديث يدور فيه بشكل حقيقى حول انسحاب القوات

---

(٧) وثيقة هيئة الامم المتحدة صفحة ١ فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٧٣

الاسرائيلية من جزء من الاراضى المصرية التى تحتلها القوات الاسرائيلية . ومن البديهى أن هذا الاتفاق سوف يكون مقبولا اذا ما تبعته خطوات أخرى موجهة نحو حل المسائل الجذرية فى تسوية أزمة الشرق الاوسط على أساس التنفيذ الكامل لقرارات مجلس الامن المعروفة . ومن الممكن التوصل الى هذه الخطوات فى اطار مؤتمر جنيف .

ولاتفاقية فصل القوات السورية ـ الاسرائيلية الموقعة فى جنيف فى ٣١ مارس عام ١٩٧٤ أهمية كبيرة . فطبقا لهذه الاتفاقية قامت مجموعة العمل العسكرية بمؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط التى تضم مندوبى سوريا واسرائيل ومصر والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية باعداد اجراءات فصل القوات التى على أساسها تم تنفيذ هذا الفصل بعد ذلك كخطوة أولى فى الطريق نحو الحل الشامل الكامل . ورغم أن الاتفاقية السورية الاسرائيلية لفصل القوات تم التوصل اليها نتيجة لجهود الوساطة من جانب وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية ، الا أن الواضح للجميع انه لولا ارادة الاتحاد السوفيتى الطيبة والجهود البناءة الدائمة للدبلوماسية السوفيتية لما توفرت فرص النجاح لمهمة هـ . كيسنجر فى الشرق الاوسط .

اما الامر الهام الذى يؤثر كثيرا بل يجب أن يؤثر على مضمون أعمال المؤتمر الخاص بالشرق الاوسط فهو أن المؤتمر يجب أن يتم تحت الرئاسة المشتركة لمندوبى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية . وهذا ـ شكل جديد فى أعمال المؤتمر الدولى . ان فكرة الرئاسة السوفيتية ـ الامريكية المشتركة التى تم الاتفاق عليها أثناء محادثات هـ. كيسنجر فى موسكو فى اكتوبر عام ١٩٧٣ تنحصر فى أن يأخذ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة على عاتقهما المسئولية وابداء استعدادهما للتأثير بشكل مشترك على تطوير الموقف فى الشرق الاوسط ومن خلال مؤتمر جنيف للسلام ، حتى تتمكن أطراف النزاع من التوصل الى حل معقول ومقبول من الجميع لكل مسائل التسوية لا بالنسبة لمشكلة فصل القوات فقط . وبشكل مباشر ترتبط بمسألة الرئاسة السوفيتية ـ الامريكية المشتركة مسألة الضمانات السوفيتية ـ الامريكية المقبلة للتسوية . وقطعا لم يحن الاوان بعد للتحدث عن الشكل الذى يمكن أن تتخذه هذه الضمانات ولكن اذا كانت مهمة المؤتمر منحصرة فى اعداد وثيقة ما قانونية دولية واسعة (معاهدة أو اتفاقية سلام) تضع حدا لحالة الحرب المستمرة فى الشرق الاوسط وتهيىء الظروف الضرورية للتسوية التالية للوضع فى هذه المنطقة فليس من الصعب افتراض ان الضمانات السوفيتية ـ الامريكية تبدو جزءا لا يتجزأ عن قضية التسوية كلها وسوف تتضمنها الوثائق التى تكون هذه التسوية .

ان الهدف الاساسى لمؤتمر السلام فى جنيف ينحصر بالذات حسب راى الإتحاد السوفيتى فى صياغة الوثائق التى قد تكون ملزمة بالنسبة لجميع أطراف النزاع ، والتى يمكنها أن تكون الاساس القانونى الدولى الوطيد لتسوية أزمة الشرق الاوسط . كما أن تنفيذ أحكام هذه الوثائق التى من الطبيعى أن تحمل طابعا مقبولا من جميع الاطراف يهيىء الظروف لتسوية مضمونة وطويلة الامد للوضع فى الشرق الاوسط .

الاتجاهات المعارضة للحرب في المجتمع الاسرائيلى

بعد أن قامت حكومة اسرائيل الصهيونية بمحاصرة جميع محاولات التسوية السياسية السلميه فى الشرق الاوسط منتهجة فى ثبات منهجا توسعيا بالنسبة للاراضى العربية المحتلة نتيجة لحرب ٦٧ العدوانية أخذت تصدر من حين لآخر بيانات مغرية وكأنها « نرغب عن طيب خاطر » ومستعدة لمحادثات السلام « دون سبق شروط » وعلى « قدم المساواة » وما شابه ذلك ، ولكن لمن توجه تشوقات الشخصيات القيادية الصهيونية المنافقة فى انها تبذل ما فى وسعها من أجل « فتح الطريق الى السلام » ؟ فلا جدال أن هذه الشخصيات تعلم جيدا بعدم قبول مطالبها المتطرفة التى تطالب العرب بها . وبالتالى فلدى « الديماجوجية » الصهيونية فكرة واحدة . استفزاز رد الفعل السلبى من جانب العرب ، وليس الرغبة اطلاقا فى « فتح الطريق الى السلام » وكل شىء يصبح أقل فعالية حتى محاولات خداع الرأى العام العالمى وتحويله ضد ضحايا العدوان . والكثيرون جدا فى خارج حدود اسرائيل يدركون عدم جدية التأكيدات الصهيونية ، بأن « مشاكسة » العرب هى حجر عثرة فى طريق السلام فى الشرق الاوسط .

ولاريب فى أن عدد الشخصيات المغالطة عن عمد بالنسبة للنوايا الحقيقية للدوائر الحاكمة فى نقصان . وهذا معروف جيدا بالنسبة لديماجوجى تل أبيب المضطرين الى الالتجاء الى التظاهر بالسعى نحو السلام ولو لعرقلة ووقف تطور الاتجاهات الخطيرة بالنسبة لهم ، والتى أدت الى قطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل من جانب ٢٠ دولة افريقية ، والى تأييد المطالبة بتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بجميع أحكامه من جانب غالبية دول غرب أوروبا واليابان ، والى عزلة اسرائيل الكاملة فى هيئة الامم المتحدة ، وحتى الى التصريحات العلنية التى جاءت على لسان ، نيكسون و هـ. كيسنجر من أن الولايات المتحدة الامريكية ، وهى تضمن أمن اسرائيل ، غير ملزمة بضمان مكتسباتها الاقليمية .

---

(٨) انظر « البرافدا » ٢٣ ، ٢٦ يونية عام ١٩٧٢

غير أن الوجهة السياسية الداخلية فى بيانات الحكام الاسرائيليين حول « جهود السلام » لا تقل أهمية بالنسبة لأولئك الحكام . أن مصـــير المناصب الوزارية مرتبط بميول غالبية سكان اسرائيل بل بالناخبين بالدرجة الاولى . ولذلك تنحصر احدى المهام الرئيسية للدعاية الصهيونية — تنحصر فى بعث الاطمئنان فى قلوب شعب اسرائيل وكأن حكومتهـــا تعتنى كلية بأمن بلادهـــا وتبذل كل ما فى وسعها من أجل السلام ، واذا لم يحل هذا السلام فالذنب فى ذلك ليس ذنب الوزراء والجنرالات الاسرائيليين .

ان الميول الطبيعية المعارضة للحزب من جانب « الاسرائيلى العادى » ترضى تماما الزعماء الصهاينة الذين لا يضمرون شيئا ضد هذه « المسألة » فهم يؤيدونها بتصريحاتهم حول الحب المزيف للسلام ويتأتى على هذه الزعامة تأييد هذه الميول اذ توجد بالمجتمع الاسرائيلى قوى غير مريضـــة تدرك عـــدم امكانية وجود المستقبل المضمون بالنسبة لاسرائيل بدون النضال النشيط من أجل السلام الذى يقضى بالنضال ضد ضم الاراضى قهرا والعنصرية وضـــد السياسة الداخلية الاجرامية التى تنتهجها الدولة الصهيونية وضد ميولهـــا الخارجية الموالية للامبريالية . وهذه القوى تتحـــدى علنـــا ايديولوجيـــة الشوفونية العدوانية المسيطرة فى البلاد وتسعى الى فتح عيون « الاسرائيلى العادى » على لا أخلاقية موقفه فى التغاضى عن أعمال المخاطرة التى يقوم بهـــا الصهاينة دعاة الظلام وتأييد هذه الاعمال وبالاضافة الى ذلك فان القوى غير المريضة بأسرائيل ، وهى تتجه الى غالبية الكادحين من سكان البلاد اليهود ، تحذر شعبها كله ضد العلاقة غير المتأملة وغير المسئولة بالنسبة لنية الوكالة الاسرائيلية للامبريالية العالمية والصهيونية فى الابقاء على اسرائيل — مهما كان الامر فى وضع غير عادى على اعتبار انها « الجسر المحصن » للغـــرب الامبريالى اى « الجسم الغريب » المندس فى العالم العربى والمتشبث بعدائه للعرب .

وعلى اعتبار ان النضال من أجل السلام العادل ضرورة حيوية وموضوعية بالنسبة للشعب الاسرائيلى لا يكتفى ممثلوه الاكثر تعقلا والناضجون سياسيا والمتميزون ببعد النظر — لا يكتفون — ، بالعبارات العامة والبيانات المسالمة التى ينقصها المضمون الواقعى . فهم يصوغون بدقة المهام الفعلية الملموسة والحد الادنى من البرنامج الفريد فى نوعه الذى من الممكن أن تنفيذه يؤدى الى بدء تنقية الجو السياسى فى جميع انحاء الشرق الاوسط ، وفى اسرائيـــل ذاتها ، ويقضى على النزاع ، ويضع أسس السلام العادل والمستقبل المضمون بالنسبة لكل الشعوب فى هذه المنطقة .

ان الدور البارز فى النضال من أجل تنفيذ هذا البرنامج يخص الحـــزب الشيوعى الاسرائيلى فهو المدافع الثابت القدم عن مصالح الـــكادحين ببـــلاده والذى يسترشد دائما فى سياسته الخارجية والداخلية بالمبـــادىء الانسانية

للاممية البروليتارية . ففى أصعب أيام ١٩٦٧ عندما اجتاحت البلاد كلها موجة « الشوفونية » العكرة ومن جراء « مآثر » العسكرية الصهيونية أصيب بعض اليساريين بالغـــرور وهم ممن يدعون أنفسهم « ماركسيين » وفيهم المنشقون عن جماعة ميركونيس التى انشقت عام ١٩٥٥ عن الحزب الشيوعى الاسرائيلى ووقفت موقفا مواليـــا للصـــهيونية غير أن الشيوعيين الامميين الاسرائيليين أدانوا المعتدين فى حسم ورجولة ومنذ البداية أيدوا قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ٦٧ وبالرغم من الابعاد السياسى والمطاردات التى تعرض لها الحزب الشيوعى الاسرائيلى بسبب رفضه الانضمام الى حملة معاداة العرب الجامحة ومعاداة الاتحاد السوفيتى ، وواصل قادته واعضاؤه العمل على كشف الجوهر الرجعى المعادى للشعب ، أى جـــوهر الصهيونية والسياسة الاجرامية التى تنتهجها الدوائر الاسرائيلية الحاكمة وهى السياسة التى تتناقض وتضر بشكل مباشر بالمصالح الوطنيـــة للشعب الاسرائيلى . وبفضل نشاط الشيوعيين الموجه الى هدف واحد والثابت والمبدئى والجسور تهيأت فى اسرائيل الظروف لتقارب وتضافر بعض المعارضين لنظـــام الحكم الصهيونى الذين يبدون اهتماما حقيقيا باقامة السلام فى الشرق الاوسط .

وفى ديسمبر عام ١٩٧١ وجهت اللجنة المركـزية للحــزب الشــيوعى الســوفيتى الى كـل الكـادحين وكل الشــباب وجماهير الشعب الاسرائيلى نداء لعدم انتظار تقرير مصيرهم فى سلبية والاشتراك بنشاط فى تكوين الجبهة الموحدة بهدف منع أى سفك جديد للدماء واستغلال جميع الامكانيات لتوفير السلام العادل والوطيد . وتطورت فكرة الجبهة الموحدة فى التقرير الختـامى الذى قدمه مير فالنر سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى فى المؤتمر السابع عشر للحزب الشيوعى الاسرائيـــلى الذى عقد فى يونيـــة عام ١٩٧٢ . وتقرر فى المؤتمر تقـوية وتعميق النضـــال الايديولوجى ضـــد الصهيونية مع مضاعفة الجهود لاقامة الجبهة الموحدة للكادحين للنضال من أجل السلام وعدم ضم الاراضى قهرا ومن أجل تنفيـــذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ٦٧ ومن أجل احترام الحقوق الشرعيـــة لـكل شعوب الشرق الاوسط . واتخذ المؤتمر قرارا خاصا : مناشدة القوى المحبة للسلام فى اسرائيل للتظافر فى النضال ضد الاحتلال ومن أجل السلام .

ويقول أميل توما عضو المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى : « توجد حاليا الظروف المناسبة لكى توحد القوى المحبة للسلام فى اسرائيل جهودها . وانى آخذ فى الاعتبار العلاقة التى تغـــيرت من جانب مختلف تجمعات المعارضة بالنسبة للحزب الشيوعى الاسرائيلى . واذا كانت هذه القوى قد قاطعت كل أشكال التعاون مع الحـــزب الشيوعى الاسرائيلى

بعد الحرب مباشرة فان احتمالات الاتصالات بين حزبنا والقوى الاخرى المحبة للسلام تجلت بوضوح كامل فى الوقت الحالى » (٩) .

وكانت الانتخابات البرلمانية التى جرت عام ١٩٦٩ دليلا قاطعا على أن الحزب الشيوعى الاسرائيلى لم يستطع فقط التغلب على المصاعب العارضة المرتبطة بالمقاطعة والمطاردة الجامحـــة من جانب السلطات الصهيونية ضــد الشيوعيين ، بل استطاع الحزب لذلك أن يضاعف عدد المتعاطفين مع الحزب والمؤيدين لمرشحيه ــ سواء من الناحية المطلقـــة أو النسبية فاذا كان ٢٧٫٤ الف ناخب (المنشقون عن مجموعة ميكونيس حصلوا على أصـــوات أقــل مرتين) قد أدلوا بأصواتهم عام ١٩٦٥ لمصلحة الشيوعيين ففى عام ١٩٦٩ جمع الحزب الشيوعى الاسرائيلى حوالى ٣٩ ألف صوت (مجموعة ميكونيس ــ أقل من ١٦ ألفا) . وفى عام ١٩٦٩ أدلى حوالى ٣٪ من الناخبين (١٠) بأصواتهم لصالح قائمة الحزب الشيوعى الاسرائيلى . ويستمر نفوذ الحزب الشيوعى الاسرائيلى فى الزيادة وتدل على ذلك زيادة صفوفه بنسبة ٢٢٪ (١١) وكذلك نتائج انتخابات عام ١٩٧٣ حيث حصل الحزب الشيوعى الاسرائيـــلى على ٤ مقاعد (مقابل ٣ مقاعد فى كنيست دور انعقاد عام ١٩٦٩) .

وفى وطيس معـارك أكتوبر عام ١٩٧٣ اتخذ الشيوعيون الاسرائيليـون موقفا مبدئيا ثابتا . ولقد قال م. فالنر سكرتير عام اللجنة المركزية للحــزب الشيوعى الاسرائيلى فى مقـــالة له نشرت فى صـــحف « زوجاديرنج » ، « الاتحاد » وبعض الصحف التقدمية الاخرى جاء بها : « من هــو المعتــدى فى هذه الحرب التى تعتبر استمرارا لحرب يونيه عام ١٩٦٧ ؟ المعتــدى هو ذلك الذى يستولى على أراضى الدول الاخرى . ان النضال ضــد الاحتــلال الاجنبى لا يعتبر عدوانا . والحرب من أجل التمسك بأراضى الدول الاخرى المحتلة ــ ليست حربا دفاعية وطنية بل هى حرب عدوانية ضد الوطنية » . وطالب م. فالنر بتغيير السياسة الاسرائيلية » اذ انه يوجــد حــل واحــد فقط لنزاع الشرق الاوسط وهو :

تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ... » (١٢) ..

ولقد رحب الشيوعيون الاسرائيليون « بالقسط الحاسم الذى ساهم به الاتحاد السوفيتى فى رقف سفك الدماء واتخاذ قرارات مجلس الامن الصادرة

---

(٩) « آسيا وأفريقيا اليوم » عام ١٩٧٢ رقم ٨ صـ ٢٢

(١٠) انظر « سياسات الحل الوسط : الدولة والدين فى اسرائيل » بقلم بيرتبوم ، نيويورك ١٩٧٠

(١١) انظر « البرافدا » فى ٢٠ يونية عام ١٩٧٢

(١٢) انظر « البرافدا » فى ١٧ أكتوبر عام ١٩٧٣

فى ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، أكتوبر (تحت ارقام ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠) التى أدت الى وقف اطلاق الناروالتى تطالب بتنفيذ قرار مجـلس الامن رقم ٢٤٢ وكذلك اجراء محـادثات تحت الرعاية المناسبة بهـدف اقامة السلام العـادل والوطيد » (١٣) . وكانت انتخابات الكنيست فى دور انعقـاده الثامن والتى جرت فى ٣١ ديسمبر عام ١٩٧٣ حدثا سياسيا ضخما .. ولقد انعكست على هذه الانتخابات أثناء حرب أكتوبر ، كما ان نتائج هذه الانتخابات تعتبر مميزة لتقدير آفاق مستقبل الوضع السياسى الداخلى فى اسرائيل . أن التـوتر الخطر القائم فى الشرق الاوسط بالاضافة الى عوامل عدم استقرار اسرائيـل خارجيا واقتصاديا ــ امور ادت الى زيادة عدم ارتياح النـاخبين الاسرائيليين بالنسبة لما يطلق عليه اسم ائتلاف العمل (المعراخ) . ولقد دل منهـج التمسك بالاراضى العربية ، وانكار حقوق شعب فلسطين العـربى الواردة فى برنامج المعراخ الانتخابى على عدم وجود اختلافات خطيرة فيما يتعلق بهذه المسائل فى برامج المعراخ وائتلاف ليكود اليمينى المتطرف الذى كان يسعى لزيادة عـدد مقاعده فى الكنيست .

اما كتلة الاحزاب الدينية المؤثرة جدا فى اسرائيـل « جبهـة التوراة الدينية » فلم تحصل الا على ٥ مقاعد فى مقابل ٦ مقـاعد حصلت عليهـا فى الانتخابات السابقة . ان ضعف مواقف الاحزاب الدينية كان الى حد ما نتيجة لعدم شعبية برنامجها الموجه نحو زيادة دور الدين فى الحياة الاجتماعية والعامة بالبلاد . وفى هذا المجال يتميز نجاح مجموعة « الحـركة من أجـل الحقوق المدنية » وهى المجمـوعة المنشقة عن « ماى » والتى اشتركت لاول مرة فى الانتخابات وحصلت على ٣ مقاعد . وهذه المجموعة تؤيد التسوية السلمية مع الدول العربية المجاورة على أساس « التنازلات الاقليمية » القضاء على نفوذ الدين فى الحياة الاجتماعية والثقافية بالبلاد وكذلك تؤيد ادخال نظام الزواج المدنى (الحر) ومساواة جميع المواطنين بصرف النظر عن انتماءاتهم الوطنية ودياناتهم . وتتقارب « الحركة من أجل الحقوق المدنية » فى خطتها السياسية مع حزب الاحرار المستقل الذى يشغل ٤ مقـاعد فى الـكنيست والمتحـالف مع المعراخ .

ولقد حقق الحزب الشيوعى الاسرائيلى نجاحا باهرا فى الانتخـابات السابقة اذ انه استطاعزيادة عـدد ناخبيه بنسبة ٣٨٫٢٪ وحصـل على ٤ مقاعد فى الكنيست بالرغم من أن الانتخابات جرت فى الحقيقة فى ظـروف قوانين الطوارىء والاضـطهاد السافر من جانب السلطات الاسرائيليـة للمنظمات التقدمية واليسارية بالبـلاد .

---

(١٣) « البرافدا » فى ٩ نوفمبر عام ١٩٧٣

وكما جاء ببيان المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى حول نتائج انتخابات الكنيست كان تعزيز مواقف الحزب الشيوعى دليلا على زيادة تأييد البرنامج الثابت للسلام الذى وضعه الحزب وتأييد نضاله الثابت فى الدفاع عن حقوق الكادحين وجماهير الشعب ومن أجل مساواة السكان العرب فى الحقوق وهذا ما يتناسب مع المصالح الحقيقية لشعب اسرائيل والشعوب العربية على السواء .

وأشار المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى الاسرائيلى الى أن « النضال من أجل نجاح مؤتمر جنيف ومن أجل منع استئناف العمليات العسكرية ومن أجل التوصل الى السلام العادل والوطيد عن طريق تنفيذ قرارات مجلس الامن ـ يعتبر واجبا ملحا بالدرجة الاولى للحزب وكل القوى المحبة للسلام » . ولقد عارض الحزب الشيوعى الاسرائيلى فى بيانه كل مخططات تشكيل « حكومة الوحدة الوطنية » أو « الحكومة الوطنية لحالة الطوارى » التى قد تكون احدى حكومات الحرب وقد تعنى فشل مؤتمر جنيف » (١٤) .

والى جانب القوى التقدمية وممثلى الحزب الشيوعى الاسرائيلى فى الحركة الاسرائيلية من اجل السلام تعمل طائفة كاملة من التجمعات والمنظمات الحزبية ويجدر بنا أن نذكر منها « ماتسبين » . ذلك التجمع الاشتراكى اليسارى الشبابى الذى تكون قبل العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ .. ان هذا التجمع العادى للصهيونية يعارض القوانين العنصرية السائدة فى اسرائيل كما يعارض العدوان واحتلال الاراضى العربية ، ويؤيد الاعتراف بالحقوق الوطنية لشعب فلسطين العربى . ويربط « ماتسبين » أماله فى اقامة السلام النهائى فى الشرق الاوسط أساسا بآفاق القضاء على صهيونية اسرائيل وآفاق الثورة الاشتراكية المظفرة الأمر الذى لا يمنع أعضاؤه من الاشتراك فى النضال اليومى ضد التطرفات السياسية الداخلية فى نظام الحكم الصهيونى وأفعاله السياسية الخارجية الموالية للامبريالية .

ولقد اكتسبت منظمة « هالاعوم هاذه » المعادية للصهيونية التى تجمعت حول الصحفى أورى أفنيرى قبل عدوان ١٩٦٧ الاسرائيلى بفترة طويلة ، والتى دخلت الانتخابات البرلمانية تحت اسم « القوة الجديدة » ، اكتسبت هذه المنظمة طابع الحزب السياسى ولقد حصلت على أسمها الاولى من المجلة الاسبوعية المعروفة التى يصدرها أورى افنيرى منذ بداية الخمسينات . وتحصل « هالاعوم هاذه » على الاصوات المؤيدة لها بشكل أساسى من بين شباب المثقفين الراديكاليين الذين ولدوا فى اسرائيل .

وبعد عدوان عام ١٩٦٧ ظهر فى المضمار السياسى باسرائيل تجمع « سياح » أو تجمع « اليساريين الجدد » ويضم التجمع الاعضاء السابقين

---

(١٤) انظر « زوجاد يريخ » فى ٩ يناير عام ١٩٧٤

فى حزب مابام الصهيونى « اليسارى » الذين خرجوا منه احتجاجا على انضمامه الى الائتلاف مع حزب العمل الذى ترأسه جولدا مائير . ولقد رمز هذا الانضمام الى انتقال مابام نهائيا الى المواقف (الشوفونيسة) بشكل متعاقب كما يضم التجمع كذلك العناصر اليسارية من مجموعة ميكونيس وهى العناصر التى انفصلت عن هذه المجموعة فى عام ١٩٦٨ . و « سياح » تعتمد أساسا على شباب الطلاب وتحظى بالتأييد فى بعض المستوطنات وفى دوائر المثقفين ولم يتخل فرع « سياح » فى تل أبيب عن الصهيونية بصفة نهائية فى الوقت الذى تحمل فيه منظمة القدس طابعا أكثر راديكالية ومعاداة للصهيونية . ولكن « سياح » بوجه عام تناضل ضد أى ضم قهرى للاراضى المحتلة وضد اقامة المستوطنات اليهودية عليها ومن أجل تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ ومن أجل الاعتراف بحق شعب فلسطين فى تقرير المصير .

والى جانب المعادين للصهيونية تنضم الى الحركة النشيطة من أجل السلام بعض مجموعات الاوساط الاجتماعية الاسرائيلية التى لا تزال أسيرة للاوهام وكأن الصهيونية « الاشتراكية » ، « العادلة » أمر ممكن بشكل ما . وكما يؤكد أورى افنيرى يلتزم ببرنامج القوى المحبة للسلام أعضاء حزب مابام السابقون الذين أنضموا الى « العصبة الاشتراكية الصهيونية اليسارية » والمجموعة المنشقة عن « حزب » ميكونيس برئاسة استرفيلينسكى وأصحاب « المهن الحرة » غير التابعين للاحزاب : الكتاب والفنانون وأساتذة الجامعات من أمثال النائب السابق ناتان ياللين مور المرتبط بـ « سياح » وامنون كابيليوك المراسل الخاص لصحيفة « موند » الفرنسية وآخرون .

ومن الوهلة الاولى قد تبدو القوى المحبة للسلام التى تعمل بنشاط حفنة من الرجال المحرومين من التأييد الجماهيرى ، أو جزيرة صغيرة جدا فى بحر سوء الفهم والعداء . غير أن حقيقة ظهور بضع عشرات الالاف من المناضلين النشطاء من أجل السلام العادل ، فى اسرائيل الغارقة فى مستنقع الصهيونية العدوانية ... وهم أولئك المناضلون الذين يبذلون الجهود من أجل اخراج شعبهم من هذا المستنقع . ان حقيقة ظهور هؤلاء فى اسرائيل لها أهمية ثابتة ، فهى تفتح أمام الكادحين الاسرائيليين الافاق الواقعية للمستقبل المضمون والجيد . أن الشعار الذى طرحه الحزب الشيوعى الاسرائيلى ــ «ليس مع حكام اسرائيل الصهاينة الموالين للامبريالية ضد الجيران العرب ولكن مع الجيران العرب التقدميين ضد الامبريالية » ــ يكتسب من عام لآخر مزيدا من الانصار الجدد القلقين على مصير اسرائيل فى بحر العداء السافر الذى سببه حكام اسرائيل لدى جميع الدول العربية بدون استثناء .

خاتمـــة

السلام العـــادل والوطيـــد فى الشرق الاوسط

خيـــال أم واقـــع ..؟؟

ان تعارض وتصادم مصالح القوى والدول الامبريالية مع مصـــالح ومساعى الحركة العربية الوطنية التحريرية أمور تحـــدد عدم الاستقرار القائم فى منطقة الشرق الاوسط . كما أن الاهتمـــام ببقاء عدم الاستقرار هذا . واشعال الخلافات بين الدول فى العـــالم العربى ، وتحـــريض بعض الدول العربية على الدول الاخرى ، وخلق المتاعب الداخلية التى قد تلهى الشعوب العربية وحكوماتها عن المهام الحقيقية فى النضـــال المعـــادى للامبريالية ، كل هـــذا لا يأتى فقط من جانب المستعمرين الســـابقين والمستعمرين الجدد العصريين ولكن يأتى كذلك من جانب كل « قوى الامس » داخل العالم العربى ذاته . ولذلك فان المستقبل فى الشرق الاوسط لتلك القوى التقدمية الحقة التى تعتبر النزاع العربى ــ الاسرائيلى مظهـــرا للتوسع الامبريالى السافر الموجه ضد الدول العربيـــة والتى تخـــوض نضالها من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلى انطلاقا من المهام الواضـــحة جدا لنضال الشعوب العربية ضد الامبريالية . ان الشـــعارات التى كانت تدوى فى الماضى القريب مثل القاء « اليهود فى البحر » و « مسح اسرائيـــل من على وجه الارض » . الهت شعوب الدول العربية عن أهداف نضالها وفى الواقع خدعت هذه الشعارات الناس ذوى الاطـلاع المحـــدود سياسيا (براديكاليتها) الخارجية . ولنكن صرحاء : ان أصحاب مثل هذه الشعارات يخدمون مصالح المعتدين الاسرائيليين اذ انهم بذلك يعطونهم البرهان على أن العرب « لا يودون لحياة فى سلام مع اسرائيل » وان تعـــايش اسرائيـــل مع الجيران العرب أمر غير ممكن من الناحية العملية .

ان الوضع الحالى فى الشرق الاوسط معقد جدا فهو يخفى خطـــرا كبيرا يهدد التطور الناجح للحركة الوطنية التحررية . غير أن هذا الخطر لا ينحصر فقط فى الدسائس الامبريالية المستمرة ضد الدول العربية .. تلك الدسائس التى تهدف فى سفور الى اضعاف جبهة الشعوب العربيـــة المعادية للامبريالية أو فى الاستفزازات الاسرائيلية المستمرة . ان تعقـــد الوضع الراهن فى الشرق الاوسط ينحصر فى تلك المصاعب التى تصطدم بها الدول العربية فى علاقاتها المتبادلة فيما بينها : بعضـــها مع بعض وهـــذه المصاعب بدورها تؤثر بشكل مباشر وسلبى جدا على امكانيـــات وقـــدرات الدول العربية فى مواجهة دسائس اسرائيل العدوانية المستمرة .

وكل شعوب الشرق الاوسط مهتمة بالسلام . فهو يعتبر شرطا هاما وضمانا أكيدا للبحث عن حل للنزاع العربى – الاسرائيلى على أساس عادل مع أخذ مصالح كل شعوب هذه المنطقة فى الاعتبار وفى ذلك شعب فلسطين العربى – ان هذا البحث عن حل للنزاع العربى – الاسرائيلى يغطى على المساعى المنغطرسة المتعلقة بفرض حل من طرف واحد لا يرون الا للمعتدى الاسرائيلى وانصاره .

والوضع فى الشرق الاوسط خطير ، قطعا ، ومعقد ومشحون بالمتاعب الجديدة . غير أن الوضع غير ميئوس منه . وليس سرا فى الواقع أن البحث عن الحل المقبول طويل الامد للنزاع لم يكن حتى يومنا هذا ناجحا بدرجة ما ولكن يعنى هذا أن هذه المحاولات سوف يحكم عليها بالفشل مقدما ؟ لا ومرة اخرى لا وسوف يبقى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى تنحصر فكرته الرئيسية فى ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧ ووقف حالة الحرب ، واقامة حالة السلام بين أطراف النزاع ، سوف يبقى هذا القرار الاساس الاكثر قبولا للحل السلمى للنزاع من الناحية العملية .

وحتى يومنا هذا كانت هناك محاولات كثيرة لايجاد حل للنزاع العربى – الاسرائيلى من الخارج – ولا تتوقف هذه المحاولات حتى فى الوقت الحالى . واصبحت احتمالات ما يسمى بالحل المرحلى للنزاع العربى – الاسرائيلى من الاحتمالات حديثة (الطراز) . وفى هذه الظروف ينطلق أصحاب هذا (الطراز) من الخطط من انه من المشكوك فيه أن تتفق الاطراف على مجموعة مشاكل النزاع العربى – الاسرائيلى بعد أخذ تناقض مواقفها فى الاعتبار . ومن هنا يأتى الاستنتاج بأنه ينبغى البدء فى حل مشكلة استئناف الملاحة فى قناة السويس . وعندئذ يشير الامريكيون الى أن خسائر الدول من اغلاق قناة السويس (بلغت هذه الخسائر حوالى ٤ مليارات من الدولارات سنويا) تعتبر حجة كافية لكى يتحول اهتمام جميع الدول – مع ضرورة تسوية مشكلة النزاع العربى – الاسرائيلى بوجه عام – الى حل أحد جوانب النزاع وهو الملاحة فى القناة . وجاء فى توصيات لجنة الشئون الخارجية بمجلس نواب الولايات المتحدة الامريكية حول هذه المسألة : « ان الولايات المتحدة تؤيد فتح قناة السويس كحل جزئى اذ أن هذا يعتبر خطوة هامة فى طريق التسوية . أن فتح القناة سوف يكون له فائدة اقتصادية ضخمة بالنسبة لغرب أوروبا . ورغم أن هذا سوف يعطى قابلية الحركة المتزايدة والمرونة للقوات المسلحة السوفيتية فى مناطق جنوب وشرق السويس

---

(١) انظر « الشرق الاوسط فى أزمة : مشاكل واحتمالات » تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكى واشنطن ١٩٧١ ، ص ٢٣

الا ان هذا فى النهاية لا يجب أن يواجه ميزات فتح القناة » . ان حل مشكلة حرية الملاحة فى القناة عد يقضى حسب رأى الجانب الامريكى بانسحاب القوات الاسرائيلية من خط القناة وتحرير جزء من شبه جزيرة سيناء . وعندئذ يرى الجانب الامريكى أن مصر سوف تذهب الى تلك التسوية اذ انها مهمته بسرعة اعادة تشغيل قناة السويس واستئناف الحصول على الارباح من نشاطها حتى لو كان تحرير شبه جزيرة سيناء تحريرا جزئيا ؛ أما اسرائيل فبعد أن توافق على الحل الجزئى سوف تتحمل الجزء الاكبر من الانتقادات الموجهة اليها بسبب عدم التساهل فى مسائل التسوية وسوف بمكنها فى النهاية أن تنسى . وان تضع على (الرف) مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضى العربية الاخرى المحتلة عام ١٩٦٧ ، وسوف تحصل على حق مرور سفنها فى قناة السويس قبل الانسحاب النهائى لقواتها الى خطوط ٤ يونية عام ١٩٦٧ . ولقد ظهرت مخططات الجانب الامريكي هذه على السطح بعد أن تمت مناقشة وتنفيذ مسألة فصل القوات العربية والاسرائيلية .

وحتى وقتنا هذا تنحصر الرغبة السائدة لدى الدوائر الحاكمة الاسرائيلية – تنحصر فى نية الابقاء فى اسرائيل على جو « القلعة المحاصرة » واستغلال عدم تسوية النزاع الى ابعد حد لمواصلة وتوسيع الصدقات المالية الكبيرة التى تحصل عليها من الدوائر الصهيونية العالمية ولتوطيد الوضع السياسى الداخلى فى اسرائيل ولعمل الدعاية النشيطة لفكرة السلام الطبقى فى المجتمع الاسرائيلى . أن التوصل الى تسوية النزاع العربى الاسرائيلى يمكن أن تكون انقاذا لاسرائيل ولكن هذا يعنى نهاية الصهيونية . فمجرد أن يختفى الخطر الخارجى ، يبدأ الحرص فى التلاشى . ان انقاذ صهيون – فى وجود الخطر الدائم » (٢) .

ومن هنا تظهر بالنسبة للدول والشعوب العربية مهمة من نوع آخر تنحصر فى النضال النشيط من أجل التسوية السياسية للنزاع .

والحياة تبين أن التطورات الايجابية فى مسألة التسوية سوف تساعد على تقليل التوتر فى الشرق الاوسط وعلى توطيد أوضاع نظم الحكم التقدمية وعلى تقليل خطر نشوب الصدام العربى – الاسرائيلى العسكرى من جديد . ولكن ، هل من الممكن أن تصبح التسوية الجزئية او اتفاق فصل قوات الاطراف تطورا ايجابيا فى ظلا الظروف المعروفة ؟ على ما يبدو ، لا توجد أجابة واحدة على هذا التساؤل . ولكن فى حالة ارتباط التسوية الجزئية الفاصلة (اتفاقية فصل القوات) ارتباطا وثيقا ، فى شكل ما شرعى ، أو قانونى دولى ، بالتسوية العامة ، وتقديرها من

---

(٢) انظر « اسرائيل والعرب » بقلم م. رودنسون ص ٧٠

جميع اطراف النزاع والدول العظمى ، بشكل رسمى ، على أنها الجزء الاول من التسوية الشاملة فى هذه الحالة فقط من الممكن القول بأن هذه التسوية الجزئية لها « حق الوجود » .

وفى الظروف الحالية يكتسب تضافر الجبهة الداخلية بالدول العربية والنضال بدون حل وسط مع الرجعية الداخلية التى تسعى الى التآمر مع الامبريالية والى تقويض نظم الحكم العربية التقدمية من الداخل ، تكتسب أهمية كبرى بالنسبة للدول العربية . وبشكل خاص يزداد دور تضافر كل الدول العربية وتنشيط العلاقات بين الدول العربية على أساس النضال الثابت الخطى المعادى للامبريالية بهدف سرعة تحرير الاراضى العربية التى تحتلها اسرائيل . ان العزة والثناء لأولئك الزعماء العرب المستعدين للابتعاد باسم هذا الهدف النبيل عن تخيلات الهيبة والمفسرة بشكل خاطىء والمفهومة بشكل كاذب أحيانا ، والمستعدين لتركيز جهودهم من أجل تضافر نظم الحكم العربية التقدمية اذ أن الدسائس الرئيسية تستهدف هذه النظم بشكل أساسى من جانب الامبريالية والرجعية الداخلية .

ومن هنا تأتى زيادة أهمية النشاط السياسى الخارجى للدول العربية . غير أن هذا النشاط سوف يسهم اسهاما كبيرا فى قضية النضال العربى المشترك اذا تضمنت الخطوات الدبلوماسية والسياسية التى تتخذها الدول العربية مضمونا صريحا معاديا للامبريالية . واذا ما اتخذت بعض الحكومات العربية فى مسائل السياسة الخارجية والنضال من أجل التسوية ، على أساس عادل ، خطوات غير منتظمة مع الاهتمام برد الفعل السلبى المحتمل من جانب الدول الغربية — فان الامبريالية لن تتراجع أبدا بل بالعكس سوف تبذل ما فى وسعها لاستغلال عدم الاصرار هذا لصالحها حتى ترهب بعض الزعماء العرب « بالخطر الشيوعى » الوهمى وحتى تحاول اضعاف المضمون المعادى للامبريالية فى السياسة الخارجية التى تسلكها الدول العربية وحتى تقضى على هذا المضمون . ولذلك تبرز بالدرجة الاولى ضرورة اعداد موقف موحد لكل الدول العربية بالنسبة لمسائل النضال المعادى للامبريالية ودرء العدوان الاسرائيلى .

ولقد أثبتت الحياة أن أكثر ما يزعج الامبرياليين هو آفاق التوسع المطرد فى علاقات الصداقة السوفيتية — العربية والتعاون اذ انهم يرون فى ذلك تهديدا واقعيا بنسف مواقفهم نهائيا وطردهم من الشرق الاوسط نهائيا أيضا . ومن هنا تأتى المحاولات العديدة لاظهار الجوهر الحقيقى للعلاقات السوفيتية — العربية فى مظهر كاذب وترويج الاشاعات حول « التآمر » السوفيتى — الامريكى الاسطورى على حساب الدول العربية .

وسعيا لاظهار الاسباب الحقيقية للوضع المتوتر الراهن فى الشرق الاوسط فى مظهر كاذب تعمل الدعاية الغربية والابواق التابعة لها من بكين على نشر الفكرة القائلة بأن النزاع العربى - الاسرائيلى « خروج عن النطاق الاقليمى » وأصبح نزاعا دوليا « تتوجه فيه وتناضل فيه وتتفق فيه » دولتـان من الدول العظمى - الاتحـاد السوفيتى والولايات المتحـدة الامريكيـة . ان كذب هذه « النظرية » واضح وهدفها جلى تماما - وهو طمس المضـمون الرئيسى للنزاع العربى - الاسرائيلى كاحدى محاولات الدول الامبرياليـة استغلال ربيبتها اسرائيل من أجل تعويق الطـريق المؤدى الى التقـدم الاجتمـاعى الذى انخرطت فيـه غالبية الدول العربيـة والذى يقود هـذه الدول الى المستقبل الذى سيختفى فيه الاستغلال من جانب الاحتكارات الامبرياليـة .

ان الموقف المبدئى للاتحاد السوفيتى بالنسبة لمسائل تسوية أزمـة الشرق الاوسط معروف للجميع فالاتحـاد السوفيتى يؤيد فى ثبـات وصلابة التسوية السياسية لهذا النزاع على اساس التنفيذ الكامل لقـرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر عام ١٩٦٧ . ان تنفيذ جميع احكام هذا القرار وفى مقدمتها انسحاب القوات الاسرائيلية وتهيئة الظروف الضرورية لضمان التعايش الآمن لكل شعوب هذه المنطقة ومنهم شعب فلسطين العربى - ان هذا التنفيذ يفتح الآفاق الواقعية لاقامة السلام الوطيـد والطـويل الامد فى الشرق الاوسط ولقد ذهب الاتحاد السوفيتى الى مؤتمـر السلام بجنيف الخـاص بتسوية أزمة الشرق الاوسط مسترشدا بهـذه الاهـداف النبيلة بالذات .

وعندما يؤيد الاتحـاد السوفيتى اقامة السلام الوطيـد فى الشرق الاوسط ، وليس المهادنة الهشة فهو ينطلق من أن جميع وجهات التسوية السياسية على أساس قرار نوفمبر الذى أصدره مجلس الامن يجب أن تحل كوحدة واحدة وفى ارتباط متبادل كما يجب مراعاة مبدأ عدم السماح بالاستيلاء على الاراضى عن طريق الحرب بكل دقة وشدة . وطالما ان هـذا المبـدأ الاساسى لن يوضع فى أساس تسوية أزمة الشرق الاوسط فان اى جهود موجهة نحو بلوغ التسوية العـادلة فى الشرق الاوسط على اساس تنفيذ جميع أحكام قرار مجلس الامن الصـادر فى نوفمبر مقضى عليهـا بالفشـل .

واذا وثقنا فى كلام القادة الاسرائيليين فان السلام بين الدول العربية واسرائيل سوف يظل هدفهم المنشود اما اذا حكمنـا على تصرفاتهم فان السلام يعتبر على حد قول بن جوريون « أكبر خدعة يدسها العـرب لنـا بصورة دنيئة » . وهذا السلام لا يمكن أن يصبح ممكنا الا بتخلى اسرائيل

عن سياسة الحرب والتوسع بالنسبة للدول العربية المجاورة وزيادة على ذلك يخلق انسحاب اسرائيل من الاراضى المحتلة عام ١٩٦٧ مع وقف حالة الحرب بين اسرائيل والدول العربية الاطراف بشكل مباشر الى النزاع وكل هـذا يخلق الاساس الضرورى لتنميـة العلاقات العادية ، بين الجميع فى المستقبل .

ان رفض القيادة الاسرائيلية الموافقة على انسحاب قواتهـا من جميع الاراضى المحتلة عام ٦٧ يحرم اسرائيل من الامكانية الواقعية والفعليـة ، للحصول على الاعتراف بحقيقة وجودها من جانب الدول العربية فى حـدود عام ١٩٦٧ أى يثبت تخطيط الحدود الاقليمية بين الدول العربية واسرائيل وهى الحدود التى جاءت نتيجة لحـرب فلسطين عامى ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ والتى لم تحدد من قبـل .

وكما يتضح من البيانات الرسمية لمندوبى القيادة الاسرائيلية لا تصل هذه الحقيقة البسيطة الى ادراكهم حتى وقتنا هـذا . فلقد أعلن أ. رابين رئيس الوزراء الجديد فى ٣ يونية عام ١٩٧٤ : « ان اسرائيـل لن ترجـع أبدا الى الخطوط التى كانت قائمة قبل يونية عام ١٩٦٧ حتى مع التهديد بحرب جديدة وزيادة النشاط التخريبى الارهابى ضد اسرائيـل وزيادة الضغط العالمى » .

ان قيام اسرائيل بتثبيت ولو جزء من الاراضى المحتـلة عام ١٩٦٧ يعطى سابقة لاعادة تخطيط الحدود العربية ـ الاسرائيليـة ، الامر الذى سيكون ، حتما ، مرتبطا بصدامات عسكرية جديدة خلفـه ولكن آجـلا ام عاجلا يجب أن تبدأ هذه العملية ـ انه المنطق التاريخى الذى من الممكن ان يؤدى فى النزاع العربى ـ الاسرائيلى الى خيار واحد من شيئين : أما حرب سفك الدماء التى لا يمكن تحديد طولها أو مداها واما أشكال ما من التعايش معترف بها من الجميع ومقبولة من الجميع .

ان مشكلة تسوية أزمة الشرق الاوسط مشكلة دوليـة معقـدة ، والنجاح فى حلها على أساس عادل وطويل الامد لا يمكن توفيره الا فى ظروف النضال المتعاقب والعنيد والطويل والمبـدئى الذى يستبعد الخطـوات غير المدروسة والمندفعة . وفى ظروف انفـراج التـوتر الدولى والآفاق المناسبة لتطوير الوضع الدولى بوجه عام تظهر الامكانيـات الجـديدة لتسوية النزاع العربى ـ الاسرائيلى ان مثـال التسـوية السياسية فى فيتنـام يبين أنه فى الامكان ايجاد الحل السلمى والعادل حتى بالنسبة لحالات النزاعات الاخرى وكذلك التوصل الى ازالة البؤر الخطرة التى لا تزال قائمة والمتميزة بالخطورة العسكرية ومنها بؤرة الشرق الاوسط .

كيف اذن يمكننا الاجابة على السؤال التالى : هـــل السلام العـادل والوطيد فى الشرق الاوسط خيال أم واقع ؟

اذا ما اقبلنا على الاجابة على هذا السؤال من المواقف المتطرفة واذا تركنا الدول العربية واسرائيل فى وضع المواجهة المسلمة فان الصعوبات فى قضية بلوغ السلام فى الشرق الاوسط ستكون هائلة قطعـا كمـا أن هـذه المنطقة سوف تقترب بخطوات سريعة من النزاع العسكرى الجديد بشكل اكثر اتساعا ودموية من حرب اكتوبر . وفى الواقع من الممكن فى الظـروف العصرية أن يتكون انطباع بأن العرب لن يوافقوا أبدا على ان تظل اسرائيل فى قلب العالم العربى فى نفس الوقت الذى ترفض فيه اسرائيل اعادة الاراضى العربية المحتلة . وقد يبـدو الوضع لا أمل فيه . غير اننـا بعيـدون عن التشاؤم المتطرف .

ان جهود الدول العربية من الناحية السياسية والعسكرية والاقتصادية تعتبر فى نهاية الامر نتيجة لذلك الشكل من الضغط على اسرائيل والقوى الامبريالية المساندة لها وهو الشكل الذى اقنـع القـادة الاسرائيليين بأن الزمن ليس فى صالح اسرائيل ومن البديهى انه ليس من السهل أن نجـد فى هذه الظروف الحل الذى قد يرضى به جميع اطراف النزاع الذى استمر طويلا . غير ان هذا الاستقصاء تبرره أهداف التنمية المطردة لجميع دول وشعوب الشرق الاوسط وهو التطور الذى قد يكون ناجحا وقد يسير فى طريق الاستقلال الحقيقى والتقدم فى ظـروف السـلام فقط ... ذلك السلام القائم على العدل وعلى الاعتراف بحقـوق كل شعب فى ان يعيش كما يريد . وجاء بكتاب « البحث عن السـلام فى الشرق الاوسط » الذى اصدرته فى لندن عام ١٩٧٠ منظمة كواكير الدولية « ان اقتناع الزعمـاء الاسرائيليين بأن الوقت فى صالحهم اذا ما تمكنوا خلال ذلك الوقت من خلق ما تسمى بالحقائق الجديدة » (الدعاية الاسرائيليـة تطـلق على استيلاء الاراضى العربية ومحاولات تبرير هذا الاستيلاء اسم « الحقائق الجديدة » فى العلاقات العربية ـ الاسرائيلية) وبأن القيادة المصرية سوف توافق مع مرور الوقت على شروط السـلام « على الطريقـة الاسرائيليـة » ، « اقتناع كاذب » .

انه تدارك عادل ويأتى فى حينه . فالاعتقـاد بأن العـرب سوف يوافقون على مثل هذا السلام ـ خيال لا أمل فيه . ومن المعتقد انه قـد قل عدد السذج والمخدرين بالدعاية (الشوفينية) والذين لازالوا يعتقـدون بأن « نموذج السلام » الاسرائيـلى من الممكن أن يوضع فى أساس تسوية ازمة الشرق الاوسط المقبولة من جميع الاطراف .

ان التسوية العادلة لنزاع الشرق الاوسط ممكنة فقط على أساس وقف احتلال القوات الاسرائيلية للاراضى العربية واحترام الحقوق الشرعية ومصالح جميع شعوب الشرق الاوسط ومنها شعب فلسطين العربى . ويؤكد هذه النتيجة القاطعة سير الاحداث المرتبطة بنضال الشعوب العربية والرأي العام العالمى التقدمى كله ، من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلية .

ان تسوية الوضع السياسي فى الشرق الاوسط تستجيب لمصالح جميع دول أوروبا وآسيا وأمريكا وأفريقيا بالفعل . ويشير ل. بريجنيف سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الى أن « الاتحاد السوفيتي مستعد للتعاون مع جميع الدول المعنية فى هذا الامر » (٣) — وهذا النهج بالذات انتهجه وينتهجه الاتحاد السوفيتى وهو يسترشد دائما بهذه الاهداف النبيلة ويعطى أهمية كبيرة لحل النزاع العربى — الاسرائيلى على أساس عادل ومتوازن ومقبول من جميع الاطراف . ان التنشيط المطرد لنضال كل القوى المحبة للسلام من أجل التسوية العادلة وكذلك سرعة تطور العلاقات الدولية العصرية أمور تؤدى حتما الى اقامة السلام الوطيد فى الشرق الاوسط .

---

(٣) « البرافدا » فى ٢٧ اكتوبر عام ١٩٧٣

المراجـــع

المقـــدمة

١ ـ وثائق برامج النضال من أجل السلام والديمقراطية والاشتراكيـــة « موسكو » عام ١٩٦١ ص ٧٦

٢ ـ « البرافدا » ٢٢ يونية عام ١٩٦٧

٣ ـ ج. لينسزوفسكى .

٤ ـ نفس المرجع ص ٥٧

٥ ـ د. بريجنيف ، النهج اللينينى . خطب ومقالات . موسكو عام ١٩٧٢ المجلد الثالث ص ١٢٣ ـ ١٢٤

٦ ـ « واشنجتون بوست » ٥ يونية عام ١٩٧٢

٧ ـ انظر « واشنجتون بوست » ٥ يونية عام ١٩٧٢

٨ ـ انظر النشرة الاحصائية للامم المتحدة الشهرية ـ يونية ١٩٧٣

٩ ـ انظـر النشرة الاقتصـــادية للشرق الاوسط . بيروت . لنـــدن ـ ١٩٧٢ ص ٦٦٤

١٠ـ نفس المرجـع .

١١ ـ « البرافدا » فى ٢٨ نوفمبر عام ١٩٧٣ .

١٢ ـ « البرافدا » فى ٢٢ يونية عام ١٩٦٧

١٣ ـ وثيقة هيئة الامم المتحدة رقم أ ـ ب ف ، ١٨٨٢ ص ٢٩

البـــاب الاول

١ ـ ى. صايغ . النفط والتنمية الاقليمية العربية ـ ١٩٦٨ ص ١٢

٢ ـ ف. لينين ، مجموعة المؤلفات ـ الكاملة المجلد ٢٤ ص ١٢٢

٣ ـ نفس المرجـــع ص ١٢٦

٤ ـ انظر أ. ريابينون ، افلاس أيديولوجية وسياسة الصهيونية العالمية . « الاقتصاد العالمى والعلاقات العالمية » عام ١٩٧٢ رقم ٦ ص ١٨ .

٥ ـ أنظر ف. لينين . مجموعة المؤلفات الكاملة المجلد ٨ ص ٧٤ .

٦ ـ أنظر ل. بولياكوف تاريخ المعاداة للسامية المجلد ١ عام ١٩٦٨ ص ٣٠٧ ـ ٣١١

٧ ـ أنظر « دائرة معارف الصهيونية واسرائيل » ، نيويورك عام ١٩٧١ المجلد الاول ص ٤٣٤

٨ ـ نشرة الامم المتحدة الاحصائية الشهرية ـ يونيو ١٩٧٣

٩ ـ نشرة (جيروساليم بوست ماجازين) ٣١ مارس عام ١٩٧٢

١٠ ـ أنظر « جيروساليم بوست » ٢٣ مارس عام ١٩٧٢

١١ ـ انظر (الموند) ٣ مارس ١٩٧٢

١٢ ـ أنظر الكتاب السنوى اليهودى الامريكى ـ نيويورك ـ فلادليفيا ١٩٧١ ص ٤٧٤

١٣ ـ انظر (جيروساليم بوست) ١٨ أبريل عام ١٩٧٢ ونفس الارقام واردة بصحيفة « الموند » ٢٣ فبراير عام ١٩٧٢ .

١٤ ـ نفس المرجع

١٥ ـ « جيروساليم بوست » ٢٦ ابريل عام ١٩٧٢

١٦ ـ انظر « لوموند ديبلوماتيك » يونية ١٩٧١

١٧ ـ انظر « بعث اسرائيل ومصيرها » بقلم بن جوريون ـ نيويورك عام ١٩٥٤ ص ٢٩٢

١٨ ـ أنظر « الموند » ١٥ أكتوبر عام ١٩٧١

١٩ ـ «الموند » ٣ يونية ١٩٧٢

الباب الثانى

١ ـ أنظر «موشى منوحين يتحدث عن اسرائيل الكبرى » ، « العالم العربى » أغسطس ـ سبتمبر ١٩٧١ ، ص ٣

٢ ـ نفس المرجع .

٣ ـ « دائرة معارف الصهيونية واسرائيل » نيويورك ١٩٧١ المجلد الاول ص ١١٥٢

٤ ـ أنظر « ربماركيوس افريكانيس » ٢٤ اغسطس عام ١٩٦٧

٥ ــ انظر « جون أفريك » أول يولية عام ١٩٧٢

٦ ــ « جون أفريك » ٣ مارس عام ١٩٧٠ ص ٥٩ ــ ٦٠

٧ ــ انظر ى. بيرتباوم . « سياسات الحل الوسط والدولة والدين فى اسرائيل » نيويورك ١٩٧٠ .

٨ ــ نفس المرجــع ص ٢٨٠

٩ ــ « البرافدا » فى ٢٠ يونية عام ١٩٧٢ .

١٠ ــ « جيروساليم بوست » ٢٦ أبريل عام ١٩٧٢

١١ ــ نفس المرجــع .

١٢ ــ انظر « جيروساليم بوست » ١٨ ، ٢٣ فبراير عام ١٩٧٢ ، ١١ ، ١٧ ابريل عام ١٩٧٢ ، ٣ مايو عام ١٩٧٢ ، ١٦ يولية عام ١٩٧٢ . وحول الموضوع نفسه انظر (ميدل ايست) ، « ايكونوميك ديجيســت » ٣١ ديسمبر عام ١٩٧١ .

١٣ ــ « الفيجارو » ٢٠ فبراير عام ١٩٧٠ .

١٤ ــ انظر ن. « جولدمان » مذكرات حياته . باريس ، ١٩٧١ ص ٣٠٣

١٥ ــ انظر « جيروساليم بوست » ١٠ ابريل ص ١٩٧٢ .

١٦ ــ انظر « الموند » ٣ ، ٦ يونية عام ١٩٧٢

١٧ ــ انظر « انعكاسات حول مستقبل اسرائيل » بقلم أ س. فريد لاندلر عام ١٩٦٩ ص ٦٠

١٨ ــ انظر « منوحين » المصدر السابق .

١٩ ــ « العالم العربى » اغسطس ــ سبتمبر عام ١٩٧١ ص ٤

٢٠ ــ انظر « سيرج » المصدر السابق ص ١٧٥

٢١ ــ انظر « باركلايز انتوناشيونال ريفيو » ابريل عام ١٩٧٢ ص ٢٨ .

٢٢ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٢٣ فبراير ١٩٧٢ .

٢٣ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٥ مايو ١٩٧٢

٢٤ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٢٨ يولية ١٩٧٢

٢٥ ــ انظر « نظرة عسكرية عامة » العدد ٢ لعام ١٩٧١ ص ١٦٩ .

الباب الثالث

١ ـ انظر وثيقة هيئة الامم المتحدة رقم ٢٧٩٢ / د فى ٦ ديسمبر عام ١٩٧١

٢ ـ انظر « المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية ، وثائق ومواد موسكو ٥ ـ ١٧ يونية ١٩٦٩ » موسكو عام ١٩٦٩ ص ٢٩٠ .

٣ ـ « لوموند ديبلوماتيك » يونية عام ١٩٧١

٤ ـ انظر « جـون افريك » ، ١٨ مارس عام ١٩٧٢ ، « البرافـدا » ٢٣ ـ ٢٥ يونية عام ١٩٧٢ .

٥ ـ ف. لينين ، مجموعة المؤلفات الكاملة المجلد ٣٠ ص ١١٣

٦ ـ انظر « الموند » ٢٣ ، ٣٠ مارس عام ١٩٧٢ ، « لوموند ديبلوماتيك » ابريل عام ١٩٧٢ « البرافدا » ١١ مايو عام ١٩٧٢ .

٧ ـ انظر وثيقة هيئة الامم المتحدة أ / ٧٢١٣ ص ١

٨ ـ انظر « هل يقوم كيان صهيونى ؟ » بقلم د. بيرتيز ، أ. ويلسون ، ب. وارد ، ١٩٧٠ ص ٢٥

٩ ـ نفس المرجع ص ٢٦ ـ ٢٨ .

١٠ ـ انظر « الصراع العسكرى والمستقبل غير الواضح فى فلسطين » بقلم : ب. روندو ١٩٦٨ ص ١٦٨٣ .

١١ ـ المادة التى وردت فى هذا الفصل مأخوذة اساسا من المصادر التالية : « المقاومة الفلسطينية بقلم ج. شالياند ، ١٩٧٠ ، هل يقوم كيـان فلسطينى ؟ » المصدر السابق ، مجلة جون افريك ، عـدد مارس ١٩٧٠ ، « من أجل حل ديمقراطى للمشاكل الفلسطينية والاسرائيلية » بقلم ن. حواتمة ، صحيفة لوموند فى ٢٧ يناير ١٩٧٠ ، « روندو » المصدر السابق ، « المقاومة الفلسطينية بين دولتين » بقلم ج. داردو .

١٢ ـ انظر د. بيريز ، نفس المصدر ، ص ٣٦ .

١٣ ـ انظر شالياند ، المصدر السابق ص ٨٩ .

١٤ ـ « لوموند » ٢٧ يناير عام ١٩٧٠ .

١٥ ـ انظر شالياند ، المصدر السابق ص ٧٨ .

١٦ ـ « الموند » ١٦ مارس ١٩٧٢ .

١٧ ـ انظر « لوموند ديبلوماتيك » يونية ١٩٧١ .

١٨ ـ « نيويورك تايمز » اول يونية ١٩٧٢ .

١٩ ـ انظر « فلسطين : نحو حل ديمقراطى » ، بغداد ١٩٧٠ ص ٢١

٢٠ ـ « الموند » ٢٧ يناير ١٩٧٠

٢١ ـ « جون افريك » ٣ مارس عام ١٩٧٠ ص ٥٦ ـ ٦١ .

٢٢ ـ انظر « الصهيونية ضد اسرائيل » بقلم ن. وينستوك ١٩٦٩ ص ٥٦٥

٢٣ ـ انظر « البرافدا » فى ٢١ يولية ١٩٧٢

٢٤ ـ « البرافدا » ٢٩ اغسطس ١٩٧٢

٢٥ ـ انظر « لوموند » ٦ نوفمبر عام ٧٣ ، « انترناشيونال هيرالدتريبيون » ٢٦ نوفمبر عام ١٩٧٣ ، « لوفيجارو » ٢٧ نوفمبر عام ١٩٧٣ .

الباب الرابع

١ ـ « وثائق برامج الاحزاب الشيوعية بالشرق » موسكو ١٩٣٤ ص ١٥٠

٢ ـ ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين المجلد ٤٤ ص ٣٨ .

٣ ـ فى شىء اكثر تفصيلا ، انظر « نضال حزب البعث من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية » . المجلد الاول بيروت عام ١٩٦٣ .

٤ ـ فى شىء اكثر تفصيلا انظر ، اسحاق الحسينى ، « الاخوان المسلمين » اكبر حركة اسلامية ، بيروت ، ١٩٥٣ .

٥ ـ ف. لينين . المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين . المجلد ١٧ ص ١٧٧

٦ ـ جمال عبد الناصر . فلسفة الثورة ـ القاهرة ص ٣٣ .

٧ ـ نفس المرجع ص ٦٠

٨ ـ نفس المرجع ص ١٩ ـ ٢٠

٩ ـ نفس المرجع ص ٢٢ ـ ٢٣

١٠ ـ « ميثاق العمل الوطنى » القاهرة ١٩٦٢ .

١١ ـ عبد الرحمن البزاز . حول القومية العربية . لبنان ١٩٦٥ ص ١٢ .

١٢ ـ « النور » ١٠ فبراير عام ١٩٥٨ .

١٣ ـ « نيويورك تايمس » ٢ أبريل عام ١٩٥٧ .

١٤ ـ « الاخبار » ١٩ فبراير ١٩٥٧ .

١٥ ــ انظر ف. مرسى الناصرية ونظرية الثورة ، « جمال عبد الناصر » ، فى مذكرات المجلد الاول ، القاهرة فى ١٩٧١ .

١٦ ــ « الاهرام » ٢٧ اغسطس عام ١٩٥٣.

١٧ ــ « المصور » ١٨ فبراير عام ١٩٦٠.

الباب الخامس

١ ــ ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المجلد ٣٠ ص ١٢٠

٢ ــ ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المجلد ٣٥ ص ٢٢٢

٣ ــ المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية وثائق ومواد ص ٢٨٧

٤ ــ « البرافدا » ٢٧ مايو عام ١٩٧١

٥ ــ « البرافدا » ١٦ يناير عام ١٩٧١

٦ ــ « البرافدا » اول يولية عام ١٩٧٠

٧ ــ بريجنيف . بالنهج اللينينى . خطب ومقالات . المجلد ٣ ص ٣٨٩

٨ ــ « البرافدا » ٢٨ مايو عام ١٩٧١ .

٩ ــ « اخبار اليوم » فى ٢٩ مايو عام ١٩٧١

١٠ ــ « الاهرام » فى ٢٥ مارس ١٩٧٠

١١ ــ ف. لينين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته المجلد ٣٩ ص ٣٢٨

الباب السادس

١ ــ « قائمة مجلس السوفييت الاعلى للاتحاد السوفيتى » رقم ٤٣ (١٢٣٤) ٢١ اكتوبر عام ١٩٦٤ .

٢ ــ وثيقة هيئة الامم المتحدة أ / ٣٥٢٢ فى ٢٤ يناير عام ١٩٥٧ ص ٩

٣ ــ انظر « اخبار اسرائيل » نشرة اعلامية تصدرها سفارة اسرائيل فى باريس عدد ١٥ اكتوبر ١٩٦٧ .

٤ ــ الحديث الصحفى الذى ادلى به جمال عبد الناصر لمجلة (ايفيتمينيت) نوفمبر عام ١٩٦٧ .

٥ ــ وثيقة هيئة الامم المتحدة أ / ل ٥٢٣ فى ١٣ يولية عام ١٩٦٧

٦ ــ انظر « نيويورك تايمز » فى ٢٢ يونية عام ١٩٦٧ .

٧ ــ « الاهرام » فى ٢٤ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

٨ ــ « الاهرام » فى ٢ سبتمبر عام ١٩٦٧ .

٩ ــ « جيروساليم بوست » ٢٢ ديسمبر عام ١٩٦٧ .

١٠ ــ « الثورة » فى ٢٣ فبراير عام ١٩٧١ .

١١ ــ نفس المرجــــع .

١٢ ــ « ألف باء » فى ١٥ يناير عام ١٩٧١ .

١٣ ــ « المجاهد » (الطبعة الفرنسية) فى ٣٠ مارس عام ١٩٧١ .

١٤ ــ « التايمس » فى ١١ مارس عام ١٩٧١

١٥ ــ « الموند » فى ٢٧ فبراير عام ١٩٧١

١٦ ــ انظر « الاهرام » فى ١٧ مارس عام ١٩٧١ .

١٧ ــ « ريماركيس افريكاني » ٢٤ اغسطس عام ١٩٦٧ ص ٤٠٠ ، سبتمبر عام ١٩٦٧ ص ٤٤٠ .

١٨ ــ « جيروساليم بوست » ، ٢٦ مارس عام ١٩٧٢ .

١٩ ــ « جيروساليم بوست » فى ٢٠ يوليــــة عام ١٩٧٢ ، « لوموند » ٣٠ مارس عام ١٩٧٢ .

٢٠ ــ « جيروساليم بوست » ، ٢٣ مارس عام ١٩٧٢ و ٢٨ أبريل عام ١٩٧٢

٢١ ــ انظر « لوموند » ١٦ مارس عام ١٩٧١ .

٢٢ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٢٠ فبراير عام ١٩٧٢ .

٢٣ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٢٨ يولية عام ١٩٧٢ .

٢٤ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٢٠ يوليــــة عام ١٩٧٢ ، « لوموند » فى ٢٠ اكتوبر عام ١٩٧١ .

٢٥ ــ انظر « لوموند » فى ٢٩ مارس عام ١٩٧٢ .

٢٦ ــ « جيروساليم بوست » فى ١٧ مارس عام ١٩٧٢ .

٢٧ ــ نفس المرجــــع .

٢٨ ــ « لوموند » ٣٠ مارس عام ١٩٧٢

٢٩ ــ انظر « جيروساليم بوست » ٩ اكتوبر عام ١٩٦٨ .

٣٠ ـ « نيويورك تايمس » ٥ يونية عام ١٩٦٩ .
٣١ ـ « نيويورك تايمس » ٢٦ ابريل ١٩٦٩ .
٣٢ ـ « نيويورك تايمس » ٢٣ يولية عام ١٩٧٠ .
٣٣ ـ نفس المرجـــع .
٣٤ ـ « نيويورك تايمس » ٦ اغسطس عام ١٩٧٠ .
٣٥ ـ « الاهرام » فى ٢١ اغسطس عام ١٩٧٠
٣٦ ـ « الاهرام » فى ٥ سبتمبر عام ١٩٧٠ .
٣٧ ـ ل. بريجنيف . بالنهج اللينينى . خطب ومقالات المجلد ٣ ص ١٤٣ .
٣٨ ـ وثيقة هيئـــة الامم المتحـــدة أ / ب ف ١٨٩٦ فى ٤ نوفمبر عام ١٩٧٠ ص ١٣ ، ١٧ .
٣٩ ـ « التايمس » ١٢ مارس عام ١٩٧١ .
٤٠ ـ « جيروساليم بوست » ١٨ فبراير عام ١٩٧١ .
٤١ ـ « جيروساليم بوست » ٢١ فبراير عام ١٩٧١ .
٤٢ ـ « لوفيجارو » ٢٣ فبراير عام ١٩٧١ .
٤٣ ـ « نيويورك تايمس » ١٧ فبراير عام ١٩٧١
٤٤ ـ انظر محاضر جلسات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكى ، واشنطن ١٩٥١ .
٤٥ ـ « التايمس » ٥ فبراير ١٩٧١ .
٤٦ ـ انظر استعراض للعلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية « بقلم ليلى قاضى » بيروت ـ ١٩٦٩ ص ٢٠٨ .
٤٧ ـ « البرافدا » ٢١ فبراير عام ١٩٧١ .
٤٨ ـ « التايمس » ٥ فبراير عام ١٩٧١ .
٤٩ ـ انظر نشرة وزارة الخارجية الامريكية رقم ١٨٦٤ ، ١٠ يوليو ١٩٦٧ ص ٣٣ .
٥٠ ـ المصدر السابق ، العدد ١٥٩٣ ، ٥ يناير ١٩٧٠ ص ٨ ، ٩ .
٥١ ـ نفس المرجـــع ص ١١

٥٢ ـ ج. كامبيل ، النزاع العـربى ـ الإسرائيـلى ، « فورين افايرز » أكتوبر عام ١٩٧٠ ص ٧٠ .

٥٣ ـ « البرافدا » فى ١٣ أكتوبر عام ١٩٧١ .

٥٤ ـ أنظر محاضر جلسات لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس الامريكى واشنطن ١٩٧١ ص ١٧٠

٥٥ ـ « التايمس » ١٠ يونية عام ١٩٦٧ .

٥٦ ـ أنظر « التايمس » ٧ يولية عام ١٩٦٧ .

٥٧ ـ « التايمس » ٢٧ سبتمبر عام ١٩٦٧ .

٥٨ ـ أنظر النشرة الصحفية لبعثة المملكة المتحدة لدى الامم المتحـدة ، العـدد ٧٩ ، ١٩٧٠ .

٥٩ ـ « لوموند » ٨ فبراير عام ١٩٦٨

٦٠ ـ أنظر « لوموند » فى ٢٣ يناير عام ١٩٧١

٦١ ـ أنظر محاضر لجنة الشئون الخارجية ص ١٢٤ .

٦٢ ـ « دى ويلت » فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٧٢ .

٦٣ ـ « أزفستيا » ٢٠ يونية عام ١٩٦٧ .

٦٤ ـ « البرافدا » ١٠ يونية عام ١٩٦٧ .

٦٥ ـ وثيقة هيئة الامم المتحدة أ / ل ١٩٠ ب فى ١٩ يونية عام ١٩٦٧ .

٦٦ ـ « البرافدا » ٢٢ يونية عام ١٩٦٧ .

٦٧ ـ « البرافدا » فى ٢٥ يونية عام ١٩٦٧ .

٦٨ ـ وثيقة هيئة الامم المتحدة س / ٨٢٥٣ فى ٢٠ نوفمبر عام ١٩٦٧ .

٦٩ ـ « الازفستيا » فى ٢٣ مارس عام ١٩٦٨ .

٧٠ ـ أنظر « البرافدا » فى ١٥ أكتوبر عام ١٩٧٠ .

٧١ ـ أنظر « البرافدا » فى ٥ فبراير عام ١٩٧٢ .

٧٢ ـ « البرافدا » فى ٣٠ ابريل عام ١٩٧٢ .

٧٣ ـ « البرافدا » فى ٤ يولية ١٩٧٤ .

٧٤ ـ وثيقة هيئة الامم المتحدة ص ٩ فى ٢١ ديسمبر عام ١٩٧٣ .

البـــاب السابع

١ ـ « روزاليوسف » فى ٢٨ اكتوبر عام ١٩٧٢ .

٢ ـ انظر « الاهرام » فى ٢٠ يناير عام ١٩٧١ .

٣ ـ « البرافدا » فى ٨ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

٤ ـ « الاهرام » فى ١٧ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

٥ ـ « الاهرام » فى ٩ ديسمبر عام ١٩٧٣ .

٦ ـ وثيقة هيئة الامم المتحدة صفحة ٦ فى ٢١ ديسمبر عام ١٩٧٣ .

٧ ـ وثيقة هيئة الامم المتحدة صفحة ١ فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٧٣ .

٨ ـ انظر « البرافدا » ٢٣ ، ٢٦ يونية عام ١٩٧٢ .

٩ ـ « آسيا وافريقيا اليوم » عام ١٩٧٢ رقم ٨ ص ٢٢ .

١٠ـ انظر « سياسات الحل الوسط : الدولة والدين فى اسرائيل » بقلم : بيرنبوم ، نيويورك ١٩٧٠ .

١١ ـ انظر « البرافدا » فى ٢٠ يونية عام ١٩٧٢ .

١٢ ـ انظر « البرافدا » فى ١٧ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

١٣ ـ « البرافدا » فى ٩ نوفمبر عام ١٩٧٣ .

١٤ ـ انظر « زوجاديريخ » فى ٩ يناير عام ١٩٧٤ .

الخـــاتمة

١ ـ انظر الشرق الاوسط فى ازمة : مشاكل واحتمالات تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة الشئون الخارجية بالكونجوس الامريكى واشنطن ١٩٧١ ، ص ٢٣ .

٢ ـ انظر « اسرائيل والعرب » بقلم م . رودنسون ص ٧٠ .

٣ ـ « البرافدا » فى ٢٧ اكتوبر عام ١٩٧٣ .

الفهـــرس

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

البـاب السابع

مسلسل	الموضوع	السنة
٩٣	٢١٣٦	١٩٨٠

مطابع الهيئة العامة للاستعلامات

جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
القــــاهرة

